

BOBST LIBRARY



3 1142 02823 2505



**Elmer Holmes  
Bobst Library**

**New York  
University**

Provided by the Library of Congress  
Public Law 480 Program

75 - 960077.



# حَقَائِقُ تَابِعِي فِي سِرِّ الْأَسْرَاءِ

يُجَادِلُ الْمُنْحَرِفُونَ طَمَسَهَا . وَالتَّخْلِصَ مِنْهَا

لِلابْنِ الْخَطِيبِ

عِصْمَةُ الرَّسُولِ . تَعَدُّ الزَّوْجَاتِ . زَوْجَاتِ الرَّسُولِ . خِدِجَةُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ

الطَّلَاقِ . تَحْيِيدُ النَّسْلِ . التَّبْرُجُ وَالسَّفُورُ . التَّعْطِيلُ . أَيْنَ اللَّهُ ؟

الْإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ

أَخْطَاءُ الْمُفْسِّرِينَ ، وَسَقَطَاتُ الْمُحَدِّثِينَ . اللَّهُ مَعَنَا ، فَهَلْ نَحْنُ مَعَ اللَّهِ ؟



Ibn al-Khatīb, Muhammad  
" muhammad 'Abd al-Latif

# حَقَائِقُ ثَابِتَاتٍ فِي الْأَسْئَلَةِ

يُجَاوِلُ الْمُنْحَرِفُونَ طَمَسَهَا. وَالتَّخْلَصَ مِنْهَا

لابن الخطيب

Haqā'iq thābitah fī al-Islām.

yuhāwiku al-munḥarifun tamasa

فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ

الطبعة الأولى

١٣٩٤ - ١٩٧٤

حقوق الطبع والنقل محفوظة

مطبعة الأفق - طهران

أحمد حسن ملاديني

BP  
88  

---

123  
H36  
c.1



## فهرس

الصفحة	الموضوع	
(ط) ... ..	مقدمة الدكتور لياس محمد العتي	...
(ل) ... ..	لماذا أسميت هذا الكتاب « حقائق ثابتة في الإسلام »	...
٥ ... ..	عصمة الرسول عليه الصلاة والسلام	...
٧ ... ..	عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم في صباه ، وقبل بعثته !	...
٧ ... ..	رأى أوبس القرني في الرسول عليه الصلاة والسلام	...
٨ ... ..	لإراءة الله تعالى للمصطفى . منة المولى سبحانه على المؤمنين ببعثته	...
٩ ... ..	ردّ بعض العلماء على ماجاء بكتابنا « أوضح التفاسير » خاصا بالرسول	...
٩ ... ..	الرسول : يصيب كما نصيب ، ويخطئ كما يخطئ . ( حاشاه أن يخطئ )	...
٩ ... ..	نزول القرآن بترجيح رأى عمر	...
١٠ ... ..	حجاب نساء الرسول عليه الصلاة والسلام	...
١١ ... ..	نصح الرسول عليه السلام لساثر النساء بالصدقة	...
١١ ... ..	تعقيبنا على هذا الردّ	...
١٢ ... ..	الإسلام : كاد أن يعود غربياً كما بدأ	...
١٣ ... ..	أم المؤمنين : زينب بنت جحش . مثلية الرسول للبشر : ليست مطلقة	...
١٤ ... ..	يوسف عليه السلام وامرأة العزيز	...
١٥ ... ..	سقطلة الغزالي في قصة زينب بنت جحش	...
١٦ ... ..	أحاديث مكذوبة : نبت إلى أفضل خلق الله ! الدليل القطعي على كذبها . تأبير النخل	...
١٧ ... ..	« فلتولينك قبلة ترضاها »	...
١٩ ... ..	ردّ الأستاذ على أبو طالب على تعقيبنا	...
١٩ ... ..	ليس كل نظر ، ولا كل حب محرماً ( بل كلاماً محرم ) بنص القرآن	...
٢٠ ... ..	المولى : يريد العصية ، ولا يرضاها ( وكيف يتم شيء لا يرضاه ) سبحانه !	...
٢٢ ... ..	« حجب إلى من دنياكم : الطيب والنساء » ( حديث مردود عقلاً ونقلاً وذوقاً )	...
٢٣ ... ..	التأويل الصحيح لنسيان الرسول في الصلاة	...
٢٣ ... ..	لإساءة فهم قدر الرسول عليه الصلاة والسلام	...
٢٤ ... ..	بعض ضحايا الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وبعض ما دسه عليه الزنادقة ، والملاحدون واليهود	...
٢٥ ... ..	طلب الرسول عليه الصلاة والسلام من زيد خطبة زينب له ( إنك واضح فاضح )	...
٢٦ ... ..	فساد قول من يقول « من نلد عالماً : لنى الله سالماً »	...
٢٧ ... ..	تعدد الزوجات	...
٢٧ ... ..	تأويل : آية التعدد بما لا يجوز . وضوح لإباحة التعدد	...
٢٨ ... ..	« وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة »	...
٢٨ ... ..	« ولن تستطعموا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل »	...
٢٩ ... ..	المرأة : تملك زمام أمرها في كل زواج : تعدد أو توحد	...
٢٩ ... ..	الأسباب الموجبة لعدم التعدد	...

- ٢٩ سبب منع زواج علي رضي الله تعالى عنه : عدم جواز التزوج بمن تقل عن الزوجة حسباً ونسباً
- ٣٠ فساد التقنين بعدم التعدد ، والمضار التي وقعت بسببه ؛ في شتى الأمم .....
- ٣١ المآسى التي وقعت في البلاد التي حرمت التعدد .....
- ٣١ رأى الشيخ محمد عبده في التعدد ، وخطأ هذا الرأي .....
- ٣٢ تشريع التعدد : يحول بين العلاقات الآئمة .....
- ٣٣ « ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف » .....
- ٣٤ خطأ التطور العالمي المزعوم . الزنا ، الحمر ، السرقة .....
- ٣٥ رأى المحافل النسائية .....
- ٣٦ الرد على المرحوم وحيد الأيوبي فيما قاله في التعدد .....
- ٣٧ رأى المرحوم عبد العزيز باشا فهمي ، والرد عليه .....
- ٣٧ التعدد : من أدق النظم الاجتماعية وأرقها .....
- ٣٨ الرسول عليه الصلاة والسلام : أباح التعدد مع النافذة .....
- ٣٩ أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام .....
- ٣٩ أزواج الرسول : كن مقربات ، مكتهلات ، نيبات .....
- ٣٩ نزول آية التخيير : « إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها » .....
- أسباب تزوجه عليه الصلاة والسلام لكل واحدة من زوجاته . لم يكن من بينها شهوة ،  
ولا استمتاع .....
- ٤٠ علافته عليه الصلاة والسلام بزوجاته .....
- ٤٤ الكذب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فيما يروونه من أحاديث .....
- ٤٥ أم المؤمنين خديجة .....
- ٤٧ جمال الروح والنفس ؛ لا جمال الصورة والحس ! .....
- ٤٧ سبب عدم تزوجه علي خديجة .....
- ٤٨ واجب كل زوجة مسلمة . متى يتنعم التعدد ، ومتى يجوز ؟ .....
- ٤٩ مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ولم يشع أهله من خبز الشعير .....
- ٥١ الطلاق .....
- ٥١ الفراق الجسماني : في المسيحية .....
- ٥١ تأديب المرأة - في الإسلام - قبل الطلاق .....
- ٥١ اتخاذ الخيلات ؛ مكان الخيلات .....
- ٥٢ الفضائح التي انتشرت بين من لا يدينون بالإسلام .....
- ٥٢ براءة الزاني ، وعقوبة المحبى عليه .....
- ٥٣ الطلاق في الإسلام : هو الواحة : التي يستظل بها ، وهو متنفس الزوجين .....
- ٥٤ « أبقض الحلال عند الله الطلاق » .....
- ٥٥ تحديد النسل .....
- ٥٥ « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق . . . ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق » .....
- ٥٦ تحديد النسل ، أو تنظيمه : واحد في الجرم والإثم ! إذ هما معاندة للخالق سبحانه .....
- ٥٧ إحصاء المواليد التوائم .....

- أضرار حبوب منع الحمل ، ورأى كبار أطباء العالم فيه ... ٥٧
- المناداة بتعقيم الرجال : وهو أشبه بالخصاء ... ٥٩
- التعقيم في الدول المتأخرة ... ٦٠
- ما جاء في الأحاديث الشريفة عن التحديد ... ٦٢
- مناسبة المعارضون إلى الإمام الغزالي في التحديد ، وخطوهم فيه ... ٦٢
- التحديد : هو الشرك الخفي . تعقيب الغزالي على مقاله في التحديد ... ٦٣
- التحديد : مناقض للتوكل . نفاق من ألفوا كتباً يجاوز تحديد النسل ... ٦٤
- « من ترك الزواج مخافة العيال : فليس منا » صدق رسول الله ! ... ٦٤
- الطمع في التحديد ، ومن يقولون به « شعر » ... ٦٥
- خطأ أجهزة الإعلام ؛ في إذاعة التحديد ، وتحبيذه ؛ رغم ما قدمنا من أدلة بطلانه ... ٦٥
- الفرق بين الجعل والهبة « يجعل ويهب » ... ٦٦
- المولود : مستمك أولاً ، ومنتج آخرأ ... ٦٧
- قرار المؤتمر الإسلامي المنعقد في عام ١٩٦٥ في هذه المسائل . وهو مقر لجميع ما قلناه ... ٦٨
- شكر العلماء القادمين لهذا المؤتمر من شتى البلاد الإسلامية ... ٦٩
- التبرج والسفور ... ٧١
- أمر المولى سبحانه وتعالى لسائر نساء المؤمنين بالحجاب . الأمر بفض البصر ... ٧١
- النظر : بريد الزنا ؛ وهو من الشيطان . مقاله الشراء المساجنون في النظر ... ٧٢
- قصة الشافعي رضي الله تعالى عنه من تلاميذه ... ٧٣
- الذين يجوز إبداء زينة المرأة لهم . اللباس الذي لا يجوز للمرأة لبسه ... ٧٤
- الدعوة إلى السفور . الرد على من يدعو للسفور « شعر » ... ٧٥
- دعاة تحرير المرأة ، ونتيجة دعوتهم ... ٧٦
- مأدته المرأة المسلمة - من صالح الأعمال - في شتى العصور ... ٧٧
- الإطار العام الذي يجب أن تبدو فيه المرأة المسلمة ... ٧٧
- وصية امرأة فاضلة لابنتها ؛ حين زفت لزوجها ... ٧٨
- حرية المرأة الغربية في شتى المجالات ... ٧٨
- انحلال الشابات والشبان ؛ في هذا العصر ... ٧٩
- التعطيل « إنكار وجود الله » ... ٨١
- شاعر العراق « جيل صدق لزهاوى » وتأنيده لتعطيل ... ٨٢
- كفره فيما قاله ... ٨٣
- حول إنكار البعث ... ٨٤
- الرد على الزهاوى ... ٨٤
- شكر الأمير شكيب أرسلان للدولت على رده على الزهاوى ... ٨٧
- أين الله ؟ ... ٨٩
- المولى سبحانه : يجمل عن الرؤية البصرية ، ولا يمتنع عن رؤية العقل والبصيرة ... ٨٩

الصفحة	الموضوع
٩٠	بعض الأدلة على وجوده تعالى . فساد القول بالطبيعة
٩١	زيادة الموالي من الذكuran - في ألمانيا - عند حاجتها إليهم بعد الحرب
٩١	اختلاف الطوم ، والألوان ، والأجناس
٩٣	الإسراء والمعراج
٩٤	مقدمة البحث
٩٥	أحاديث المعراج ، والتشكك في صحتها
٩٦	قدر الرسول عليه الصلاة والسلام
٩٧	زيف أحاديث المعراج . وجوب تبجيل المولى سبحانه وتعالى
٩٨	العودة إلى حديث المعراج
٩٩	بطلان بعض هذه الأحاديث . وجوب إخضاع المفاهيم ؛ لمفاهيم العقل
٩٩	القول بخلق الرسول عليه الصلاة والسلام قبل آدم ، وأدلة بطلانه
١٠٠	بطلان القول بكتابة اسم الرسول عليه الصلاة والسلام على ساق العرش
١٠٠	مغالاة المادحين للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وبطلان هذه المغالاة
١٠١	وجوب تحرى الأحاديث . بطلان حديث إرضاع الكبير
١٠٢	مقاله الدكتور هيكل في كتابه « حياة محمد » والرد عليه
١٠٣	ذبوع هذه الأحاديث . حديث الفرانقي ، والرد عليه
١٠٤	البخارى ومسلم - الدس في الأحاديث وغيرها
١٠٥	كتمان الحق : لأم . من حق كل مسلم أن يجهر برأيه
١٠٥	نتيجة أحاديث المعراج
١٠٦	موسى عليه السلام في السموات
١٠٦	محمد عليه الصلاة والسلام ؛ وكيف انتقاد إلى موسى في صراحة ربه تعالى
١٠٦	جبريل عليه السلام . المولى جل وعلا ؛ وكيف يراجعه إنسان ؟
١٠٧	إذاعة حديث المعراج بالتلفزيون . الأستاذ محمد شعراوي : مذبذب الحديث
١٠٧	الابن العزير : الدكتور محمد عمر زبير ، وانصياعه لما قاله الشيخ الشعراوي
١٠٨	نقض حديث المعراج
	المولى سبحانه وتعالى : وعد بحفظ كتابه المجيد ، ولم يعد بحفظ كتاب آخر ؛ ولو كان هذا
١٠٨	الكتاب : البخارى ، أو مسلم !
١٠٨	المطأ جائر على كل مخلوق ؛ عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
	قواعد مناقشة حديث المعراج ، وماورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعن صحابته
١٠٩	رضوان الله تعالى عليهم ؛ في رؤية الرسول لربه
١٠٩	مكلمة المولى سبحانه وتعالى لعبده : « وحيأ ، أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا »
١١١	شق صدر الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ ومبلغ صحته
١١٢	هل تحمل الحكمة والإيمان في الطسوت ؟ فساد القول بربط البراق
١١٣	البراق : ليس بداية ؛ بل هو ملك
١١٣	صلاة الرسول عليه الصلاة والسلام في بيت المقدس
١١٣	أحاديث القصص

الصفحة	الموضوع
١١٤	طرق جبريل عليه السلام لأبواب السموات . علم الملائكة : أوسع من علم البشر
١١٤	بكاء موسى ؛ عند لقاء محمد عليهما الصلاة والسلام (حقداً عليه وحسداً له)
١١٦	سن الرسول عليه الصلاة والسلام عند الإسراء
١١٦	تقدم محمد ، وتراجع جبريل عليهما الصلاة والسلام
١١٧	فرض الصلوات . دليل عدم استطاعة القيام بها
١١٨	يجب أن تكون الصلاة : أحب العبادات للمؤمن
١١٩	مال مدعى الإيمان من الصلاة ، وضيقه بأدائها
١١٩	مراجعة الرسول لربه - في شأن الصلاة - تسع صحرات
١٢٠	ارتفاع صوت موسى على مولاه تعالى ا
١٢١	« ثم دنا فتدلى » عن به جبريل ؛ لارب العزة ( تعالى عن الذنوب والتدلى )
١٢١	الأستاذ الشعراوي : يؤيد التأويل المرجوح ( بل الفاسد )
١٢٢	إبراهيم عليه السلام والملائكة
١٢٣	محمد عليه الصلاة والسلام والملائكة
١٢٣	تأويل الأستاذ الشعراوي لقوله تعالى « لقد رأى من آيات ربه الكبرى »
١٢٤	مشابهة الآية لما خوطب به موسى عليه السلام « انزبك من آياتنا الكبرى »
١٢٤	رد أفاضل المتقدمين لهذه الأحاديث ، ومنهم الإمام ابن كثير
١٢٦	الإفراط والتفريط
١٢٦	اليهودية ، النصرانية ، الإسلامية
١٢٦	الطريق الوحيد إلى تقضى ما أتجهنا إليه
١٢٨	كلمة أخيرة
١٣١	أخطاء المفسرين ، وسقطات المحدثين
١٣٢	النظريات القطعية في القرآن . أعداء الإسلام
١٣٣	تزييف اليهود ، وإصافتهم بالإسلام : ما ليس منه
١٣٤	قصة زينب بنت جحش
١٣٥	قصة داود عليه السلام . نصرة سليمان عليه السلام
١٣٥	موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ؛ والمعراج
١٣٦	زيادة ما ليس في القرآن . سحر الرسول عليه الصلاة والسلام
١٣٦	يوسف عليه السلام
١٣٦	نسبة الفحش إلى أزكى خلق الله تعالى وأطهرهم
١٣٨	التفاسير الحديثة ؛ وما فيها
١٤٠	الدين ينتسبون إلى الإسلام وهو منهم براء
١٤٠	من يحرم تعدد الزوجات ( وقد أحلها الله تعالى )
١٤١	الدكتور مصطفى محمود ، وما يذيعه من إنك
١٤١	لإنكاره للجنة والنار ؛ كما أراد الله تعالى بهما
١٤١	تشغيبه على الحدود الواردة في القرآن الكريم ، وتهكبه بها وعليها !
١٤٢	مساعدة أجهزة الإعلام له ؛ فيما يذيعه من باطل وإنك ا

- واجب علماء المسلمين ..... ١٤٣
- الله معنا ! فهل نحن مع الله ؟ ..... ١٤٥
- « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » تقوى المولى سبحانه وتعالى ..... ١٤٧
- البعد عن الله : يبعث الهزيمة ، والتقرب إليه : يبعث النصر ..... ١٤٧
- صلاح الناس : بصلاح علمائهم وأمرائهم ..... ١٤٧
- يوم ١٠ رمضان عام ١٣٩٣ يوم نصر المؤمنين على اليهود الملاحين ! ..... ١٤٧
- استمرأ اليهود لإلاء الله تعالى لهم « وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من الله » ..... ١٤٨
- رؤية بعض أفاضل المؤمنين للرسول عليه الصلاة والسلام في المعركة ! الإيمان بالغيب ..... ١٤٨
- الدكتور فؤاد زكريا : الأستاذ بجامعة عين شمس : ينكر ما لا يجوز إنكاره عقلاً ودينياً ..... ١٤٨
- التفكير اللاعقل : معترف به عند سائر العقلاء ..... ١٤٨
- التوكل على الله تعالى ، والاستعانة به : مدعاة للنصر على الأعداء ..... ١٤٩
- « فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم » « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً » ..... ١٤٩
- « سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب » حرب البقر ..... ١٤٩
- رؤية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في المنام : جائزة ، وواقعة ؛ ولا ينكرها : إلا جاهل ! ..... ١٥٠
- كيف ينصر الرسول عليه الصلاة والسلام غيره بعد موته ؟ وقد كان لا يستطيع نصر نفسه ..... ١٥٠
- حال حياته ؟ ..... ١٥٠
- الرسول عليه الصلاة والسلام : حتى بيننا . ولا يستطيع مسلم إنكار قدرته على إنجائنا من النار ؛ فكيف لا يستطيع إنجاءنا من الهزيمة ؟ ! ومن يستطيع إنجاء غيره من النار : يستطيع إنجاءهم من الهزيمة ..... ١٥١
- عبد المولى سبحانه من يشاء من عباده بقوى : خفية ، وظاهرة ..... ١٥٢
- من حديث رئيس أركان حرب القوات المسلحة ..... ١٥٢
- من لطف المولى بعباده : أت ينصرهم ، ويلقى الرعب في قلوب أعدائهم ..... ١٥٢
- سبب انتصار اليهود عام ١٩٦٧ ..... ١٥٢
- الله أكبر ..... ١٥٣
- بالتكبير : يحصل النصر على الأعداء دائماً ..... ١٥٣
- عودة الدكتور فؤاد زكريا لما قال ، وإصراره عليه ، وزاد على ذلك : الدعوة إلى التنكر لماضينا الأستاذ الكبير عبد المنعم النمر : مدير البحوث الإسلامية : يرد على الحاد الملاحين ، ويضع العقائد الإسلامية في موضعها الصحيح ..... ١٥٤
- أكبر الفضائل : التقوى ، والتوكل ..... ١٥٥
- زجر المؤلف للمادح ..... ١٥٦
- المدح : يجب أن يكون لله ، لا لشخص المدوح ..... ١٥٦
- الدكتور إلياس محمد العتيبي : واضح مقدمة الكتاب ..... ١٥٦
- زجر المؤلف للقادح ..... ١٥٧
- الدم : يجب ألا يكون لهوى في النفس ، وشهرة مبتغاة ..... ١٥٧
- تلخيص أبواب الكتاب ، ووجهة نظر المؤلف ..... ١٥٧

## مقدمة

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لمن لا يحمد غيره ، ولا يعبد سواه : والصلاة والسلام على من آتاه الله تعالى من الخير أجلة ، ومن الفضل أكمله ، وعلى آله الطاهرين ، وأصحابه المتقين ؛ وعلى من تبعهم إلى يوم الدين !

أما بعد : فقد تبلذت ربحاً من الزمن — ما أحلاه — على إمام الكلام ، وفخر الإسلام ، وسيد من أمثاق القلم : الإمام ، العالم ، العامل ؛ العارف بالله : سيدي وسندي الأستاذ الكبير محمد محمد عبد اللطيف ابن الخطيب : الذي ذاع عنه وفضله ؛ وملاً بقاع الأرض تقي ، ومعرفة ، وبركة !

وهو — حفظه الله — رغم علمه الغزير ، وفضله الكثير : يترفع أن يذكره إنسان بفضل ، أو يثني على علمه بما هو له أهل : تواضعاً منه ، وزهداً في مباح هذه الحياة الدنيا !

فكم رأيت يتدلى من عليائه : فيستمع إلى من هم دونه علماً ؛ بل دون تلاميذه قائلاً : عسى أن أهتدي على يد أحدهم بما لم أهتد إليه .

وبمثل هذا التواضع الجهم ، وهذا الخلق النادر : سار أستاذنا الجليل في حياته العلمية : مدافعاً عن الدين ، محافظاً على جبل الله المتين !

وبينما نراه دائماً كالماء الزلال : هدوءاً وصفاء : إذا به يتقلب فجأة كالأسد المصور : إذا ما اعتدى على حرمة الله تعالى ، أو أخل أحد — بمن يعرف أو لا يعرف — بسنة رسول الله !

فهو دائماً يرضى في الله ؛ ويغضب في الله !  
وكم مرة رأيت ، والدمع ملء عينيه حينما يذكر الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

وكم رأيتُه ونشيجه يقطع نياط القلوب : إذا مرّ في قراءاته بذكر واقعة أودى فيها  
الرسول حال حياته ، أو أصيب بسوء نزل به !

ولم أره إلا تالياً لكتاب الله ، دائم المدارسة فيه !

وكتابه « أوضح التفاسير » ، وقد صدر منه سبع طبعات حتى الآن : لم يؤلفه  
إلا بعد أن استوعب أمهات كتب التفسير : مطبوعاً ومخطوطاً .

وهو — رغم ما ظهر من مؤلفاته — له مؤلفات ضخام : لم نسمع بمشارك  
أنوارها بعد .

فقد أراني تفسيراً للقرآن الكريم : صاغه ببيانته ، وكتبه بقلمه : يبلغ حوالى عشرين  
جزءاً . وقد يزيد عن تفسير القرطبي ، ويقارب تفسير الطبري .

ومن عاداته — حفظه الله تعالى وأطال بقاءه — ألا يقلد أحداً فيما يكتب ، أو ينقل  
عما كتبه الأوائل ؛ بل يقرأ ، ويقراء ؛ وبعد ذلك يكتب بطريقة : هي بالإلهام الذى  
ينزل على القلب أشبه منها بالعلم الذى ينطق به اللسان !

وقد صار حتى مراراً أنه إنما يكتب ما يكتب بدافع إلهي . يبتغى به مرضاة الله  
سبحانه ، وكيد الشيطان اللعين !

وقد يقضى الليالى الطوال : ساهراً مؤرقاً : لأن واحداً من الناس طعن فى الدين ،  
أو عاب فى القرآن ، أو افترى على الرسول عليه الصلاة والسلام !

هذا وقد رأيتُه — عند قدومى إلى مصر — يكتب هذه المباحث ، ويهذب فيها  
ثائراً على بعض الكتاب : الذين يراءون فيما يكتبون ، ويظهرون غير ما يبطنون !  
ويريدون الشهرة بما يبشونه من سموم بين سواد الأمة .

وهو كثيراً ما يكتب بقصد النفع ؛ لا بقصد الطبع ! وقد أعجبت بما كتبه من  
دامغ الحجة وبلغ الاستدلال ، وواضح البرهان . فى هذه المباحث التى تعتبر متممة  
لكتابه « أوضح التفاسير » ، التى سماها — محقاً — « حقائق ثابتة فى الإسلام » .

فاستأذنته فى طبعها : لينتفع بها : فأذن بذلك مشكوراً .

ونحن إذ نطبعها الآن : فى هذا العصر المليء بالكفر والإلحاد : فإنما نريد بذلك  
قطع الألسن المفترية الباغية ، والوقوف بالمرصاد لكل من تحدّثه نفسه بالخروج عن جادة  
الحق ، أو التعرض لهذا الدين القيم بالفساد والإفساد !



هذا وليس معنى طبعنا لهذه المباحث : أننا ندين بكل ما جاء فيها .  
فقد علمنا أستاذنا الجليل : عدم التسليم لما لا ترتاح إليه ضمائرنا ، وأن نقد ما نراه  
قابلا للنقد .

لذا فإنني - نزولا على ما علمني - أقول بحق : إن جميع ما كتبه : يبلغ غاية  
الإبداع ؛ فقد غاص في طلب لآلئ القرآن والإيمان : حتى استخرجها من أصدافها :  
بيضاء ناصعة ؛ شديدة النور واللمعان ، فأبان حسنها ، وجلا بريقها !  
غير أني لا أوافق سيادته في بعض ما كتبه في المعراج ؛ رغم أن ما كتبه  
رائع ونفيس !

لإذ أنه لا حرج مطلقاً أن يربط المختار أو جبريل عليهما الصلاة والسلام البراق  
في حلقة المسجد ، أو في الصخرة .

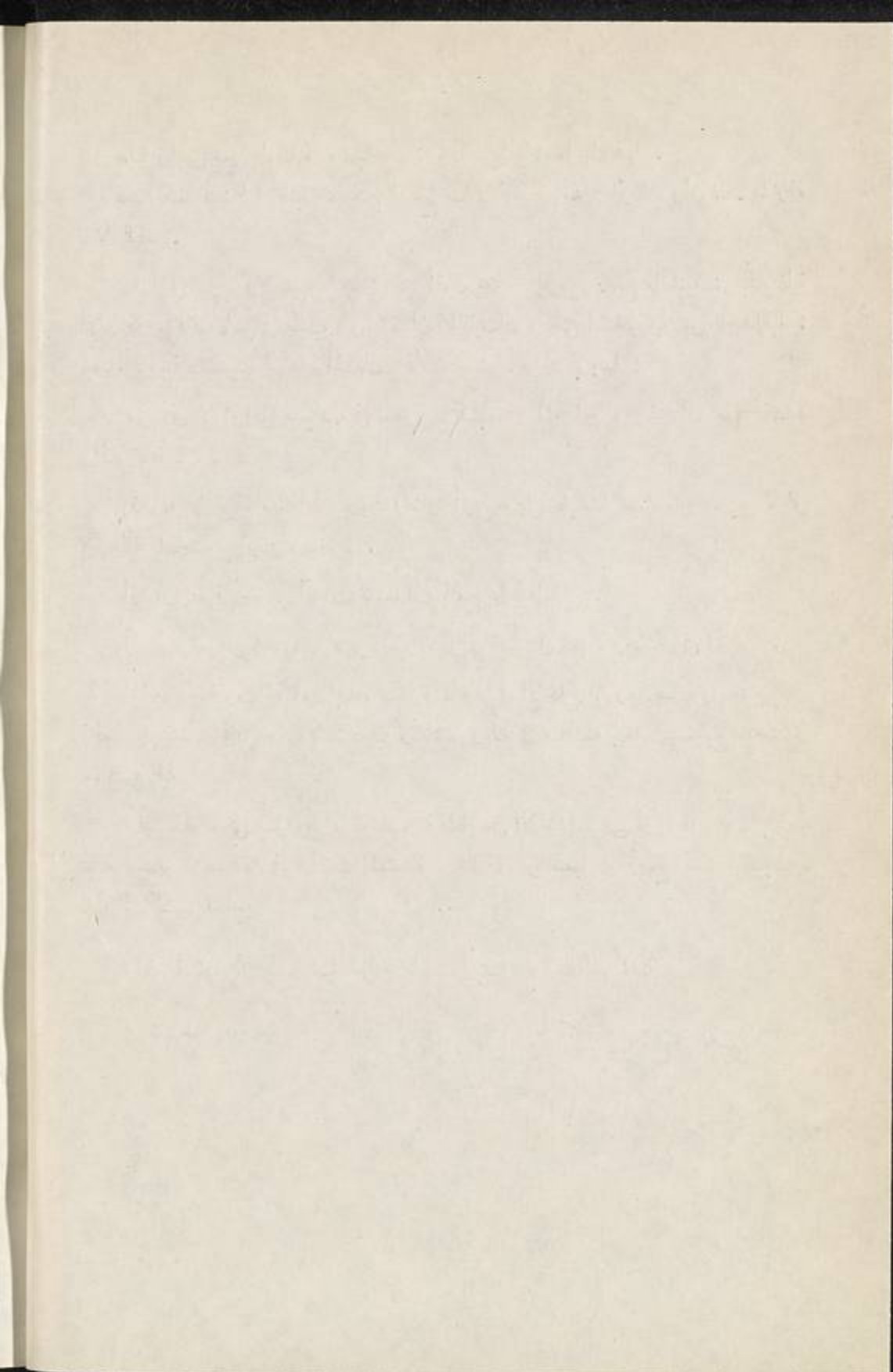
أو أن يطرق جبريل أبواب السموات ؛ مع علم أهلها به .  
أو أن تفرض الصلوات خمسون ، وتنزل إلى خمس في العد ، وخمسين في الاجر .  
أما مراجعة رب العالمين بهذه السكثرة ، وهذا الإلحاح ، وما نسب إلى موسى من  
الحقد على محمد : فقد أجاد الاستاذ فيه وأفاد : وبلغ في مناقشته ؛ ما لا يستطيع الزمخشرى  
مناقشته فيه !

وقد بلغ تعجبي مما أثاره أستاذنا الجليل من الأحاديث التي أوردتها : أن بدا له  
عدم تصديق لوجودها في الكتب المعتمدة ؛ فأراني مواضعها في أصح كتب الحديث ،  
وأوثق كتب التفاسير .

والله المسئول أن ينفع بما عمل وعملناه ، وبما علم وعلمناه !

دكتور الياس محمد العتيبي

٤ شباط ١٩٧٤



لماذا أسميت هذا الكتاب :

## حقائق ثابتة في الاسلام

يحاول المنحرفون طمسها . والتخلص منها

عصمة الرسول عليه الصلاة والسلام :

هل يوجد مسلم يتوهم أن الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه : غير معصوم — قبل النبوة وبعدها ؟

إذا افترضنا وجود هذا الإنسان ؛ أليس من حقنا أن نقول : إنه منحرف !

فإذا لم توافقني على انحرافه : فاقرا ما كتبته لك !

تعدد الزوجات :

لا يوجد مسلم يسمع قوله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع . فان خفتن ألا تعدلوا فواحدة . » .

ويرى سنة الرسول الكريم ، وسنة صحابته ، وتابعيهم من بعدهم ، وتابعي تابعيهم إلى يومنا هذا : وينسب إلى القرآن الكريم التناقض بقوله « وان تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، ويعتبر أن هذا إلغاء صريح للتعدد . ويفضل أنه تنظيم للتعدد ؛ لا إلغاء له .

ألا يجوز لي أن أقول بحق : إنه منحرف ، وإنه يريد أن يهدم « حقيقة ثابتة في الإسلام ، ؟

أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام :

لم يتزوج الرسول واحدة ممنه : ابتغاء جاه ، أو شهوة : فكلهن ثيبات مكتهلات — عدا عائشة — فإذا قال قائل : إنه شهنائي ؛ مستدلا بكثرة زوجاته : حق لنا أن نقول : إنه منحرف ؛ بل كافر ! وألقمناه حجراً بما سقناه من أدلة ، وما أوردناه من براهين !

## أم المؤمنين خديجة :

رضى الله تعالى عن أم المؤمنين خديجة ؛ فقد ضربت الامثال تلو الامثال : للزوجات الصالحات الطيبات ؛ مما جعل الرسول الكريم لا يتزوج عليها إلا بعد موتها ، وافتقاره إلى ذلك الحنان الضخم ، والحب الذى لا يعدله حب ؛ وقد صار ذلك شريعة لمنع التعدد : إذا توفر مثلها لزوج ؛ وأين مثلها ، أو من يضاهاها بين الأزواج ؟  
فهل يحسر إنسان مسلم أن يخالفني فيما قلت ؟

## الطلاق :

وهو حق مطلق من أى قيد — ولو أنه أبغض الحلال عند الله — وليكنه سمي حلالاً ، وعقدته بيد الزوج وحده ، أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح ، .  
فإذا ما قال قائل : يجب أن يكون بيد القاضى : وجب علينا أن نسميه منحرفاً ؛ يريد طمس شريعة المولى سبحانه ومحوها ؛

## تحديد النسل :

حسبه أنه تخلصاً من الفقر ؛ فكانت الدعوة إليه : هى الفقر بعينه ؛  
لقد خلق الله تعالى الأرض ، وجعلها صالحة لإطعام من يخلفه عليها ؛ فلما عجز الناس عن إصلاحها وإفلاحها ؛ لجأوا إلى الدعوة إلى التحديد ؛ فأضافوا بذلك عجزاً إلى عجزهم ،  
وتقصيراً إلى تقصيرهم ؛  
والدعوة إليه منكراً ، يرفضها كل من ملا الله تعالى قلبه بالإيمان ، ووثق بوعد المولى سبحانه ؛ برزق من خلق وبرأ .  
ولا شك أن الدعوة إليه ؛ انحراف عن الجادة ، وطمس آيات الرحمن ، فى الأكوان ؛

## التبرج والسفور :

من ذا الذى يرضى بما نراه الآن ، ويطمئن على أهله وبناته ؛ وقد صرن نهياً  
لأنظار الأشرار والفجار ؛  
أليس من يخالفني فى هذا : خارجاً على تعاليم الدين والقرآن ، باعثاً ما يبثه الشيطان  
فى قلوب بنى الإنسان ؟

## التعطيل :

من ذا الذى يقول بعدم وجود إله ؟ بعد أن أثبت وجوده بنفسه ، وأقام الأدلة والبراهين ، على رحمته وبأسه ؛ ورأينا بطشه فى عفوه ، وشفوه فى بطشه !  
 وإن الذى يقول بغير الذى قلناه : كافر بنص كلام الله ؛ غير جدير بأن يتسبب إلى بنى الإنسان ؛ وليس من بينهم من ينكر الديان : حتى الكفرة الفجرة : آمنوا بوجوده وسيادته ؛ ولو أنهم انحرفوا عن طاعته وعبادته !

## أين الله ؟

ها هو الله : سبحانه وتعالى عن الافكار رسيمة !  
 فإن شئت : رأيته فى أخذه ، وإن شئت علمته فى عفوه ! ومن يقل — بعد ذلك —  
 أين الله ؟ فهو منحرف أتم انحراف : كافر أشخس الكفر !

## الإسراء والمعراج :

مرحباً بالرسول الكريم ، والنبي العظيم : فى بيت المقدس : إماماً لسائر الأئمة !  
 ومرحباً به فى السموات العلى ؛ ليرى من آيات ربه الكبرى !  
 كل ذلك نسلم به ، ونؤمن بحقيقته ؛ كأنما نراه صلى الله تعالى عليه وسلم فى مروره بالمسجد الأقصى ، وفى عروجه إلى الملا الأعلى !  
 نؤمن بذلك بقلوبنا قبل عقولنا ! ولسنا ننكر كل ما يشكره العقل والدين ، ونحكم ببطلان الإفك والزور ، الذى بذره أعداء الدين فى الدين ، وسقاه ورعاه السذج والبسطاء من المسلمين ، وبث فيه ما ليس فيه إلا فاكون والمبشرون !  
 فهل لمسلم : يحترم عقله ، ويحل ربه ، أن يقول لى أخطأت !  
 فإذا قالها مؤيداً من عقله : فهو يجتهد مخطيء ! وإذا قالها معانداً مكابراً : كان منحرفاً ضمن المنحرفين !

## أخطاء المفسرين وسقطات المحدثين :

والله : كم عابنا من أخطائهم وسقطاتهم ، ووقفنا مشدوهين بما نقرأ ونسمع !  
وقد حال بين تقدمهم وتفنيدهم آرائهم : عظم اشتهاهم ، وضخامة سمعهم وأسمائهم !  
ولا يخلو حالهم من إحدى اثنتين : سذاجة مطلقة ، وحسن نية ؛ فيما أخذوه ونقلوه  
من الغير .

أو أن ما وجد في مؤلفاتهم : قد دس عليهم .

وهم في كلا الحالين معذورون !

ولكن لا عذر لمن يكتشف الباطل ؛ فلا يعلى عليه الحق ! ويتيقن من الكذب ؛  
فلا يعلى عليه الصدق ! ويتأكد من الكفر ؛ فلا يعلى عليه الإيمان !  
فإذا ما وجد إنسان مسلم يجادل في هذا الباطل ، ويريد أن يعليه على الحق ؛ أليس من  
حقنا أن ننادى بانحرافه عن جادة الصواب !

## الله معنا ! فهل نحن مع الله ؟

يقول المولى سبحانه ، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، فقرر جل شأنه  
أنه مع من يتقى ربه ، ويحسن عمله !  
فأين المتقى ، وأين المحسن ؟

فإذا طلع علينا إنسان يدعى الإيمان ؛ وقال : إن هذا ليس بصحيح ، وإن مجهود  
الإنسان الفردي : هو المؤثر في أعماله وأفعاله ، وإن النصر : من جهد المقاتل ؛ لا من  
معونة الله سبحانه ؛ القائل : إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .

ولم يبق في ذهن هذا القائل سوى قول قارون : إنما أوتيته على علم عندي ،

فهذا الإنسان في نظر كل مؤمن : منحرف عن الإيمان !

لهذا سمينا كتابنا هذا « حقائق ثابتة في الإسلام » .

وشكر الله لمن أحسن الظن ، وأتقن الفهم !

وغفر لمن أساء الظن ، وأخطأ الفهم ؟

محمد بن عبد الله الطائفة الحبيب

# مباحث

عصمة الرسول . تعدد الزوجات . زوجات الرسول  
أم المؤمنين خديجة . الطلاق . تحريم النسل  
التبرج والسفور . التقطيل . أين الله؟  
الإسراء والمعراج

11

الحمد لله

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

وبعد فقد حضر في هذا المجلس

الذي أقيم في يوم الاثنين

العاشر من شهر ربيع الأول

سنة 1345 هـ الموافق 1926 م



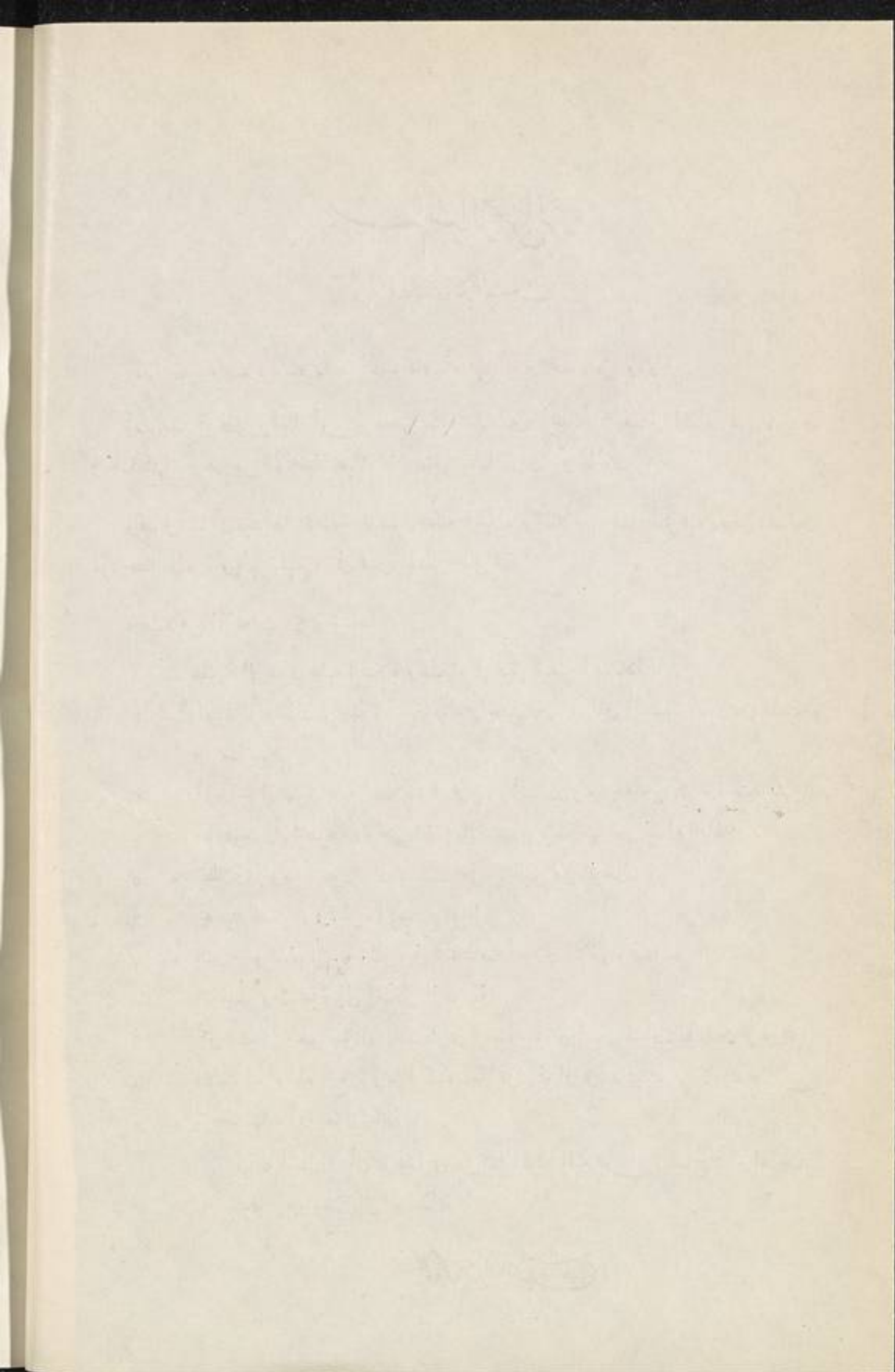
# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستهدى ونستعين

حمد الله ، وصلاة وسلاما على مصطفىاه ، وعلى آله وصحبه ومن والاه !  
أما بعد : فقد رأينا أن نلحق بهذا التفسير أبحاثاً : ضاق المقام عن سردها  
في أماكنها ؛ وهي من الأهمية بحيث لا يستغنى عنها قارىء أو باحث .  
وقد رأينا أن نبدأها بعصمة الرسول عليه الصلاة والسلام : لما يقع فيه بعض المسلمين  
من خطأ بالغ ، ولأثم شنيع : في قدر أفضل خلق الله !  
وهذه هي الأبحاث كما رتبناها :

- ١ — عصمة الرسول عليه الصلاة والسلام : قبل البعثة وبعدها .
  - ٢ — تعدد الزوجات ، وما أثار حوله من جدل بين المسلمين أنفسهم ، وبين المسلمين  
وأعدائهم .
  - ٣ — أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام . وأسباب زواجه من كل واحدة منهن .
  - ٤ — أم المؤمنين وخديجة ، رضى الله تعالى عنها ، ومكانتها بين نساء العالمين .
  - ٥ — الطلاق . وهل يجوز أن يسلب حق التطليق من الرجال ؟
  - ٦ — تحديد النسل . ونظرة الإسلام له !
  - ٧ — التبرج والسفور . وآثاره في انحطاط أخلاق الأمم وفسادها !
  - ٨ — التعطيل والدعوة إلى إنكار الربوبية .
  - ٩ — أين الله ؟ وهو سؤال استنكارى : شاع أخيراً بين شباب المسلمين وغيرهم .
  - ١٠ — الإسراء والمعراج ، وما اكتنفهما من أقوال وأحاديث ، لا يصح أن  
يؤخذ بها ، أو يعول عليها .
- والله أسأل : أن يوفقنا في كل ما ذهبنا إليه من كفاح : نراه جهاداً  
في سبيله ، وسبيلاً إلى مرضاته !

محمد بن عبد العزيز الازد الحلي



عِزَّةُ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ

قَبْلَ الْبَعْثَةِ وَبَعْدَهَا

مُنْذُ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى حَتَّى حَقَّقَهُ بِالرِّفْقِ وَالْأَعْلَى

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أكرم المرسلين : الذي جاءنا بالكتاب  
المبين ؛ وأفاض علينا من عظيم أخلاقه وكريم خلاله : ما يجعلنا — لو اتبعناه وسرنا على  
هداه — في أعلى عليين !

وأنى لنا أن نتخلق بها : وقد اختصه المولى لها واجتباها ؛ ليكون نموذجا للكمال  
البشرى ؛ الذي لم تبلغ شأوه ملائكة الرحمن ! ونبراساً يستضيء به كل من استنار  
قلبه بالإيمان !

وان يستنير قلب : إلا إذا آمن إيماناً يقينياً بعصمته عليه الصلاة والسلام من شبهة  
الخطايا والآثام !

وكيف لا يكون مبرءاً من الخطيئة : وقد أرسله مولاة لينجيننا من الخطيئة !

اللهم إلا إذا زعم زاعم أن المولى سبحانه ليس في استطاعته أن يبرئه من الخطيئة !

تعالى المولى عن العجز عما أراد ويريد !

خلقه تعالى : ليكون شفيحاً لسائر الناس ؛ وكيف يشفع للناس من هو كسائر الناس ؟  
بل كيف يشفع فيهم ؛ وفيهم من يفوقه خلقاً ؟ !

تعالى المولى سبحانه أن يرسل رسولا : دون المرسل إليهم ، أو بمائلا لهم !

وكيف يقع الرسول الكريم في الإثم : وهو الناهي عنه ، المتوعد عليه ، المبغض لمن يأتيه !  
صلى الله تعالى عليه وسلم : صلاة دائمة بدوامه ، قائمة بقيامه ؛ ولقائنا به في الجنة ؛  
وهو عنا راض ان شاء الله !

وجنبنا بفضلله ومنه : الوقوع في شرك البدع ، والسقوط في مهاوى الضلالة والجهالة !  
وباعد بفضلله بيننا وبين ما يغضبه ، وحال بكرمه بيننا وبين عذابه ! إنه تعالى أهل التقوى  
وأهل المغفرة !

وسبحانك ربنا : لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم !

وإنه لمن المعلوم — عقلا ونقلا — أن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ،  
قد عصمه مولاة من الوقوع في مثل ما يقع فيه سائر البشر .

وأنة تعالى قد أعده ليكون نبراساً : تسير أمته على هدايه ، وتفتق آثاره في كل ما يأخذ وما يدع .

وأنة لا يبدر منه ما هو خلاف الأولى ؛ فضلاً عن إتيان ما نهى الله تعالى عنه ، وترك ما أمر به !

وأنة صلى الله تعالى عليه وسلم كان يرعى ربه في كل أموره : ليس في العبادة وحدها ؛ بل فيما يتعلق بشئون ديناه أيضاً !

وأن الله تعالى قد حماه — في صباه — من الوقوع فيما يقع فيه أنداده من الصبيان ؛ من عبث ساذج ، وهو برى !

حتى السمر : الذي كان يسمره الناس في عصره : حماه مولاه تعالى منه !

فقد ورد أنه في ليلة ما : أراد أن يسمر كما يسمر الفتيان ؛ فالتقى مولاه عليه النوم ، فلم توهظه من نومه سوى الشمس !

وهذه إرادة المولى سبحانه : ليعلى شأنه ، وليعلم المبعوث إليهم : أن رسوله هذا — ولو أنه كالمرسل إليهم خلقه — غير أنه ليس كأحدهم خلقاً !

لهذا كان محمد عليه الصلاة والسلام بشراً واضح البشرية : يأكل كما يأكل البشر ، ويمشي في الأسواق كواحد من البشر في خلقه ؛ في حين لا يدانيه — في خلقه — واحد منهم ؛ ولا النبيون ، صلوات الله تعالى وسلامه عليهم !

وحين قال المولى سبحانه : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، أراد بذلك : التأسى به فيما ناله من أذى قومه وعنتهم ؛ ولم يرد أن يكونوا مثله ؛ إذ أن المثلية لا تتحقق إطلاقاً ! وأنى لهم ذلك ؟ وقد كتب عليهم الخطأ ، والخطيئة ، والإثم ؛ في حين أنه صلوات الله تعالى وسلامه عليه مبرأ من جميعها !

فهو عليه الصلاة والسلام : خيرة الله تعالى من خلقه جميعاً : يوم ذرأهم وبرأهم !

وهو خير خلق الله تعالى قدراً ونسباً على الإطلاق !

فإذا ما قال قائل : كيف ذلك والمولى سبحانه يقول : قل إنما أنا بشر مثلكم .

نقول له : إنما أراد المولى بهذا القول : إهبات بشريته ، ونفي ملائكيته !

وقد ورد أن أويسا القرني رضى الله تعالى عنه ؛ وهو من سادات التابعين قال

لأصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ما رأيتم من مولانا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلا ظله .

قالوا : ولا ابن أبي قحافة ؟ (يعنون أبا بكر) قال : ولا ابن أبي قحافة .  
ولما ذكر هذا الكلام عند العارف الأكبر : أبي الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه ،  
قال : صدق والله أويس رضي الله تعالى عنه .

وإلى هذا أشار البغدادي بقوله ؛ مخاطباً أويسا :

صدقت : لقد حاز الحبيب مناقباً تقاصر عن إحصائها كل مستقصى !  
صحابته : لم تحص ما خصه به إله البرايا ؛ ليت شعري من يحصيها ؟  
وحيثما يقول له مولاه « إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ،  
يظهر لنا جلياً أن تلك هي العصمة بأجلى معانيها !

وذلك لأن إراءة الله : هي حقيقة عليه . تعالى الله أن يخطئ !

وكان عمر رضي الله تعالى عنه يقول : أيها الناس اتهموا الرأي ؛ فإن الرأي لم يكن  
مصيباً إلا من محمد وحده : لأن الله تعالى كان يريه ؛ وذلك قوله « إنا أنزلنا إليك  
الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله » .

وحيثما نظر المولى سبحانه إلى ناسوته <sup>(١)</sup> قال له « ليس لك من الأمر شيء » .  
وحيثما نظر إلى لاهوته <sup>(٢)</sup> وهو حقيقته التي أوجده عليها .  
قال « والله ورسوله أحق أن يرضوه »

وحسبه — صلوات الله تعالى وسلامه عليه — سمواً عن البشرية ؛ أنه الحق الذي  
عميت عنه أبصار المشركين وبصائرهم « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون » فعاقدتهم  
المولى سبحانه على عنادهم : بعدم التمتع برؤية نوره واستجلاء محاسنه !

ولا تنس أيها المنصف الحكيم قول الرحمن المنان « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث  
فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة »

فهو عليه الصلاة والسلام : منة الله تعالى على عباده ، ونوره الساري بين خليقته ،  
والواسطة في رحمته ، والشفيع لمن رضي عنهم من عباده !

أذاقهم عز الطاعة ، بعد ذل المعصية . ثم تاب عليهم ، وعفا عنهم ، وشفع الحبيب فيهم !  
فهل هذا بشر مثلنا يا أولى الألباب ؟ !

١ — الناسوت : طبيعة الانسان البشرية . وقيل : إن الناسوت : البشر . واللاهوت : الله

٢ — اللاهوت : ما في الانسان من صفات إلهية : مستمدة من الإله سبحانه ؛ قال صلى الله تعالى عليه  
وسلم « تخلقوا بأخلاق الله » .

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها : « كان خلقه عليه الصلاة والسلام القرآن » .

ردّ أحد العلماء على بعض ما جاء بكتابنا

هذا وقد تفضل الصديق الصدوق : الأستاذ الكبير الشيخ على أبو طالب : أستاذ الدراسات الإسلامية بالأزهر : بالتعقيب على بعض ما جاء ، وأوضح التفاسير ، متعلقاً بعصمة الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ مثبتاً أن الرسول الكريم كان بشراً مثلنا : يخطئ كما نخطئ ، ويصيب كما نصيب ؛ عدا ما يتعلق بالرسالة .

وقد رأينا أن نعقب على هذا بما يرتاح إليه ضمير المؤمن الصادق الإيمان !

قال الأستاذ : عافاه الله من الإثم ، وحماه من كيد اللعين !

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين : سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين . أما بعد :

فإن أصدق الحديث : كتاب الله تعالى ، وخير الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار ! اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً ؛ وأنت تجعل الحزن إذا شئت سهلاً ؛<sup>(١)</sup> فاجعل لنا الحزن سهلاً .

اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم ، وأكرمنا بنور الفهم ، وجنبنا الخطأ والزلل فيما نقول ونعمل ، وافتح علينا بحكمتك ، وانشر علينا خزائن رحمتك ، يا أرحم الراحمين !

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم !

أخى صاحب السيادة الأستاذ الجليل محمد عبد اللطيف ابن الخطيب

يقول الله عز وجل في غير آية « قل إنما أنا بشر مثلكم ، كما قال « هل هذا إلا بشر مثلكم » ومقتضى المثلية أن يكون نبينا صلى الله عليه وسلم كسائر البشر ؛ فيما عدا ما يوحيه الله إليه : فيصيب كما نصيب ، ويخطئ كما نخطئ ؛ وإليك الدليل :

قال الله عز وجل في سورة الأنفال « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض . . . الخ » .

عند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « لو نزل عذاب من السماء ما نجا غير عمر » فكان الرسول عليه الصلاة والسلام في الجانب المقابل لعمر .

١ - الحزن : بفتح الحاء ، وسكون الزاى : الأرض الفليضة ، غير المستوية . والسهل : ضد الحزن .

ولقد هم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصل على أحد الكافرين ؛ فجدبه عمر من ثوبه ، وقال له : إنه كافر ولا ينبغي لمثلك أن يصل عليه . فأنزل الله سبحانه وتعالى . موافقا عمر حيث يقول « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا . ولا تقم على قبره ... الخ » . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يضيق صدره من الإيذاء كما يضيق صدرنا ، قال الله عز وجل « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » .

وكان يحزن مما ينسب إليه ، كما جاء في الآية « ولا تحزن عليهم ، ولا تك في ضيق مما يمكرون » ، وقال عز وجل « ولا يحزنك قولهم » ، كما قال عز ذكره « فلعلمك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » .

وقد عرض سيدنا عمر عليه صلى الله عليه وسلم أن يحجب نساءه بقوله له إن نسائك يدخل عليهن البر والفاجر ؛ فر نساك أن يحتجبن . فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل حتى نزل قوله عز وجل « وإذا سألتوهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب » . إلى غير ذلك من موافقات عمر للقرآن الكريم .

وجاء أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب من أهل المدينة ألا يؤبروا النخل . فتركوا تأبيره ، فلم يشمر النخل ، فقال لهم « افعلوا ما كنتم تعملون » ، أو كما قال .

وجاء في حديث القسم أنه صلى الله عليه وسلم قال « هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك » . فمن ذلك نعلم أن القلوب بيد الله يقبلها كيف يشاء . وعليه أن نقول بميل قلب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى زينب بنت جحش زوجة مولاه زيد بن حارثة ليرتب الله على ذلك ما رتب ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحب ، ويحب النساء أيضا ويعجبه حسنهن ؛ بدليل قول الله سبحانه وتعالى « لا يحل لك النساء من بعد ، ولا أن تبدل بهن من أزواج ، ولو أعجبك حسنهن ... الخ » .

ويمكن أن نحمل حب الرسول للنساء : رفعا لشأنهن ، وإعزازاً لهن . فلقد كان العرب يدون بناتهم صغاراً ، ويجعلون نساتهم متاعا يتصرفون فيهم كما يتصرف الإنسان في سلعه وأمتعه ، وقد قال الله عز وجل « وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم ... الخ » .

كما قال في الآية بعد « وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالص لذكورنا ومحرم على أزواجنا ، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء » .



وقد كان صلى الله عليه وسلم كثيراً ما يجتمع بالنساء فيبايعهن ويعظهن كما جاء في القرآن الكريم « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً . . . الخ ، وكان يجعل لهن يوماً يعظهن فيه ويأمرهن بالصدقة ؛ فكن يلقين بالقرط والخاتم وبلال يأخذ في حجره .

يا أيها الاخ الكريم رجائي منك أن تتأمل هذه الأدلة ، وأن تخلي نفسك من كل تعصب ، وأن لا تجعل حرجاً على فضل الله ، وتقيداً لما يريد . فله أن يمنح بما شاء ، فكم منح من عباده مالا يحصيه عد ، ولقد منح عز وجل سليمان بن داود قوة بمقتضاها كان يطوف على نساته في ليلة واحدة وكن سبعين أو أكثر ، كما جاء في الحديث أن سليمان عليه السلام قال لأطوفن الليلة على نساتي فتأتني كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله ، ولم يقل إن شاء الله ، فاحملت واحدة منهن غير واحدة أتت بشق ولد ، وعند ذلك قال صلى الله عليه وسلم : « لو قال سليمان : إن شاء الله لآتت كل واحدة منهن بفارس يجاهد في سبيل الله . »

وعليه أن لا تستكثر على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمنح قوة أربعين رجلاً مع فضله على سائر الأنبياء والمرسلين .

وفقمكم الله لما فيه الخير ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين !

### تعقيبنا على هذا الرد

هذا وقد رأينا أن نعقب على ما كتبه أستاذنا الفاضل ، حيث إن ما كتبه في حاجة إلى مزيد من الإيضاح :

أستاذنا الجليل النبيل : الشيخ على أبو طالب : حفظه الله تعالى هادياً مهدياً ، وأفاض عليه من العلم والفهم ؛ ما يجعله أهلاً لما يحمله من وراثة الأنبياء !

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

وبعد : فقد أتاني كتابك الكريم ؛ الذي يصلح أن يكون رسالة مستقلة يدرسها الدارسون في بشرية الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ بشرية مطلقة !

ولم يقل ذلك — على ما أذكر — سوى بعض المستشرقين ؛ وتابهم في ذلك بعض من لا أريد أن أضعك في زميرتهم ؛ فأنت مني الاخ الصادق ، والمحب المخلص الأمين !

ولولا حيي لك ، وحرصى عليك : لما عقبته على كتابك هذا ، ولا اعتبرته ضمن ما قرأت وأقرأ مما أعده من سقط القول !

أما وقد عززت كتابك بالآيات الكريمة ، والأحاديث النبوية : فقد صار لزاما على أن أكتب ما عن لى عند قراءته .

وفوق كل ذلك فإن كتابك يستلزم منى ابتداء شكرك على تفضلك بالتعقيب على بعض ما ذكرته فى كتابى ، وأوضح التفاسير ،

وأقسم غير حائث أنى ما كتبت فى حياتى شيئا إلا بعد اقتناعى به ، ورغبى فى مرضات الله من أجله !

فإذا مارأيتنى فى ردى هذا : متبرما مما قلت ، أو محذآ : فذلك طبعى الذى جبلت عليه . وأعتذر مقدما عما يبدر منى من ألفاظ قد لا تستسيغها : دفعنى إليها شدة مخافتى وخشيتى من تسرب هذه الآراء إلى العامة ؛ فتصبح عقيدة عندهم ؛ يتوارثها الأبناء عن الآباء ! ونصبح بين يوم وليلة ؛ وقد سقط محمد بن عبد الله : خير خلق الله ؛ من عليائه التى بوأه الله تعالى إياها ، وصار مثلى ومثلك : بمن يحتاجون إلى من يسندهم عند مرورهم على الصراط ، ويدفع عنهم العذاب : حيث لا دافع ، ويمنعهم السقوط حيث لا مانع ! وإن شر ما أخشاه على هذا الدين القويم — وقد أصبح غريبا أو كاد — هو الاستهانة بقدر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام : الذى ليس فيه من البشرية سوى اسمها لحسب ! وسأرتب ردى على ما جاء فى كتابك حسب ما أوردت من أدلة : رأيتها أنت قوية متمعة ، ورأيتها أنا ضعيفة واهنة !

أولا — أوردت قول الحكيم العليم ؛ لنبيه الرؤوف الرحيم ، وقل إنما أنا بشر مثلكم ، وخرجت من تأويلها بأنها تقتضى المثلية الكاملة !

بل وذكرت بالحرف : يخطئ كما نخطئ ، ويصيب كما نصيب ! لإنسان اختاره الله تعالى من بين سائر مخلوقاته جميعا : ماضيا وحاضرها ومستقبلها . وقال له : يا محمد خاطب أمتك ؛ وقل إنما أنا بشر مثلكم ، وأست ملكا من الأملاك . فهل يكون ذلك البشر المختار من خيار الخيار : يخطئ ويصيب مثلى ومثلك بمن يخطئون دائما ، ولا يصيبون إلا نادرا ، وهى حالة أظن أنك لا تخالفنى عليها ، ولا تجادلنى فيها .

فإذا كنا — وهذا حالنا — لا نرضى أن يفسب إلينا ما نسبته للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

أترضى وأنت العارف بالله ؛ الملتمس عفوه ورضاه ، الخاشع بأسه وغضبه وعذابه : أترضى أن تنظر إلى حليمة مسلم ، فضلا عن أن يكون ذلك المسلم منك ؛ أنزلة الإبن أو الخادم ؟

وأنت خير من يعلم : أن النظر في ذاته جرم ؛ فإذا كانت المنظور إليها مزوجة : كان الجرم مزدوجا ، فإذا كانت زوجة ابن : كان الإثم بالفأ حد الخروج — لاعن الإسلام لحسب — بل عن الإنسانية ، وعن كل دساتير الفضيلة !

أما تسترک وراء أن هذا أمر واجب التنفيذ ، لأن الله تعالى قضاه ، وأن منفذه : متعبد بتنفيذه . فهو أمر يخرج بنا إلى حد تحليل كل إثم ، وتحسين كل جرم ؛ لأن كل ما يقع في ملك الله : لا يخرج عن رضاه وتدبيره . وهذا — كما ترى — يخرجنا من عداد الطائفة الناجية والعياذ بالله !

وهنا تطل علينا أنوار آيات الله تعالى البينات : « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ... لمن شاء منكم أن يستقيم . . . ولا يرضى لعباده الكفر » والآيات التي تؤيد هذا : كثير لا يتسع لها هذا المقام ، ولا تخفى على عليك وفضلك ! وقد توسعنا في تأويل هذه الآيات وأمثالها في « أوضح التفاسير » .

فلا مناص حينئذ من أن نعتقد أن المثلية في القرآن : ليست مثلية مطلقة : بل هي خروج من دائرة الملائكية إلى البشرية : في الحلقة وحدها ، ولو جعلناه مسلكا لجعلناه رجلا ولبسنا عليهم ما يلبسون .

وهي سنة الله تعالى مع أنبيائه عليهم الصلاة والسلام « قالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم . . . هل هذا إلا بشر مثلكم . . . ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه . . . ما أنت إلا بشر مثلنا . . . »

وهكذا يسجل المولى سبحانه على خاصة رسوله وأنبياؤه : البشرية ؛ لا ليحط من أقدارهم ؛ ولكن ليعلم المرسل لإيهم : أن هؤلاء المرسلين بشر أمثالهم ، وليسوا ملائكة كما يرغبون ! وإلا صار الإيمان عن طريق القسر والإلجاء !

وحاشا أن يكون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم : الأمين على دعوته ، الأمين على أمته : مثلى ومثلك ، بل وإن تكون هذه المثلية بينه وبين أى نبي آخر . فالأنبياء جميعهم : دون محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام . وهذه — كما تعلم — قضية لا تحتاج إلى تدليل !

وحينما يقول المولى سبحانه في كتابه المجيد ؛ مخاطبا رسوله عليه الصلاة والسلام : « قل إنما أنا بشر مثلكم ، في حين أن المخاطبين جميعا يعلمون هذه البشرية ، ويلبسونها ؛ وهو أمامهم من عداد البشر : فليس ثمة سبب للتعريف ببشريته : سوى ملائكيته في الخلق ، والسير والسلوك ؛ التي ينكرها أمثالك عليه : فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم !  
ثانيا — لست أدري ماذا أردت بما أوردته من إصابة عمر رضى الله تعالى عنه . وموافقة القرآن له ؟

لقد أبرزت ياسيدي معنى لا يجوز إبرازه بهذه الصورة ؛ وكأنك تريد أن تقول :  
أخطأ محمد ، وأصاب عمر !

ولم يبق بينك وبين غلاة الشيعة ، الذين قالوا : أخطأ جبريل في حمل الرسالة إلى محمد ، وقد كان المقصود بها عليا : غير تعديل طفيف ، وهو أن المقصود بالرسالة عمر لا علي .  
ثالثا — قولك : إن القلوب بيد المولى سبحانه يقبلها كيف شاء . فهذا مما لا يخالفك فيه أحد من المسلمين ؛ لأن ذلك وارد في الكتاب المستبين ، وفي أحاديث إمام المرسلين .  
أما الذى يخالفك فيه المسلمون قاطبة ويحاربونك عليه ، وأنا أولهم : أن الله تعالى قلب قلب الرسول الكريم ، الرؤف الرحيم ؛ إلى حب زينب ؛ فهذا ما لا يوافقك عليه مسلم ؛ ذاق حلاوة الإيمان بقلبه ، وان وافقك عليه جل المفسرين ؛ سامعهم الله !  
وقد قلت فى ذلك ؛ من قصيدة طويلة :

لم يخن نفسه بنظرة إثم وخيبت النفوس آتت زناها

ولم تسوّ بين أكرم الرسل عليه الصلاة والسلام ؛ ويوسف الصديق عليه السلام : حيث هرب يوسف مما أحاط به ، وانغمس أرقى الناس خلقا ؛ فيما نبرى أنفسنا من الانغماس فيه !  
يوسف : الممتلىء شبابا وفتوة : تختل به امرأة مشبعة بالجمال والفتنة ؛ وفى نفس الوقت هى مالكته وسيدته : فيستغيث بربه ، ويولى هاربا مما عساه أن يوقعه فى الإثم ؛ ولم يكن فى هذا الوقت نبيا ، ولا رسولا !

ويأتى محمد بن عبد الله : إمام الرسل ، وخير خلق الله : فتفتنه امرأة هي في مرتبة زوج الإبن ؛ فلا يلجأ إلى مولاه ليحفظه ، ولا يتهرب مما عساه أن يحط من قدره كبشر ! فلم يبلغ شأو يوسف عليه السلام !

رابعا — ما ذكرته من اجتماع الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه بالنساء .

ومن المعلوم عقلا ونقلا : أن اجتماعه بهن كان للمبايعة والعظة وحدها . كما يدل على ذلك مدلول الآية الكريمة ومنطوقها : « يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبأيعنك على ألا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ،

فالاتحاد بهن : لم يكن كاجتماع الفجرة الذين تريد أن تنزل بالرسول الكريم إلى مستواهم . وتقول : لأنه كان يحب النساء ، ويعجبه حسنهن !

والذي عجبت له كثيرا ، وضحكت له كثيرا : نصحك لي بأن أخلى نفسي من كل تعصب ، وألا أجعل حرجا على فضل الله تعالى ، وتقيداً لما يريد .

كأنك تريد أن تقول : إن من فضل الله تعالى على رسوله أن وهبه نعمة النظر إلى ما لا يحل ، وقد تابعت الغزالي رضى الله تعالى عنه في ذلك عنى الله تعالى عنك وعنه ! انظر تأويلنا لقصة أم المؤمنين زينب . آية ٣٧ من سورة الأحزاب ) .

خامسا — انتقلت بعد ذلك إلى حديث : زعم الأفاكون أنه منقول عن الرسول الكريم صلوات الله تعالى وسلامه عليه . وهو « أوتيت قوة أربعين في البطش والجماع ، وقد رددنا عليه بما فيه الكفاية في آخر المبحث المقبل ( أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام ) .

وإذا كان فضل الرسول عليه الصلاة والسلام لا يتحقق إلا بإتيانه قوة أربعين في الجماع — كما ذكر في هذا الحديث المكذوب التافه : الذى تمسكت به — فما رأيك إذا ما زعم زاعم أنه أوتي قوة واحد وأربعين ؛ فهل يصير بذلك أفضل من الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ؟

وقد أيدت قولك هذا بأن سليمان عليه السلام قد منح قوة سبعين أو أكثر ، وأنه كان يطوف عليهن جميعا في الليلة الواحدة .

وتقتضى هذه الأفيسة التى سقتها : أن تكون قوة الرسول عليه الصلاة والسلام في الجماع تعادل ثمانين رجلا أو أكثر ؛ لأنه مما لا شك أفضل من سليمان . وتقتضى المفاضلة أن يكون أعلا منه شأما في كل شيء ؛ حتى في الجماع !

ولماذا نذهب بعيداً ؛ وأمامنا كتب الحديث الصحيحة ، وفيها عن إحدى أمهات المؤمنين . قالت : « كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يطوف على نسائه في الليلة الواحدة بغسل واحد ، فما أشبه طوافه على نسائه بطواف سليمان ؛ لولا أن سليمان يفوقه في عدد النساء !

وقد رددنا على ذلك الحديث السقيم — في إحدى كتاباتنا — بأن هذا الحديث لا يثبت إلا بإحدى اثنتين ؛ لا ثالث لهما .

إحدهما : أن أم المؤمنين — راوية الحديث — جاءها الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، فاختلى بها ؛ وبعد ذلك خرج من عندها فبتمته خلصة إلى أن دخل بيت إحدى أمهات المؤمنين الأخريات ؛ فتسمعت عليه ، وعلت أنه قد نال منها ما نال منها . وتبعته بعد ذلك حتى دخل إلى أخرى ، ثم إلى أخرى . حتى علته أنه أتى نساءه جميعاً بغير اغتسال !

ثانيتها : أن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه قال لإحدى زوجاته رضى الله تعالى عنهن : إنى أتيت في هذه الليلة ضرائك جميعاً .

وكلا الفرضين : مستحيل عقلاً ، وعرفاً ، وذوقاً ، وإيس فيها ما يدل على مكارم الاخلاق التي بعث الرسول عليه الصلاة والسلام إلينا ليتممها ؛ إنما بعثت لأتم مكارم الاخلاق ، . وما أشبهتا — في هذه الحالة — باليهود الملاعين : الذين لم يدعوا نبياً من الانبياء إلا ألصقوا به فرية :

فقد زعموا أن لوطاً شرب من الخمر حتى فقد صوابه ، ثم زنى بابنتيه فحملتا منه ؛ سادسا — ذكرت في كتابك حديث تأبير النخل — وفي النفس من صحته الشيء الكثير — وهو على فرض صحته : تعليم للامة للأخذ بما يقومون به في حياتهم الدنيا من مصادره ، ويسألون عنه أولى العلم به .

وفيه إشارة دقيقة إلى أن الرياح تقوم في كثير من الأحيان بهذا التأبير ، وأرسلنا الرياح لواقح ، فتنقل من ذكور النخل إلى إناثها ، ومن ذكور النبات والازهار إلى إناثه . وكيف يستساغ أن يدلى الرسول الكريم — في أمر من الأمور — برأى لا يهله ، ولا يتقنه .

إنها لإحدى المفتريات . وهذا رأي الذى ألقى الله تعالى عليه آمناً يوم القيامة !

وان لم توافقني ؛ كما مدتك معي دائما : في التحيز إلى الكسفة المرجوحة ؛ سأمحك الله  
يا أخي وعني عنك !

سابما — استدلت بالآية الكريمة — وهو من الغرابة بمكان — يقول المولى سبحانه  
لنبيه الحبيب ، وحبيبه النبي ، لا يحمل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج  
ولو أعجبتك حسنهن ، وأولت هذه الآية تأويلا لا أرخصه للرسول صلوات الله تعالى  
وسلامه عليه ؛ وهو خير الخلق قاطبة !

ولا أرخصه لك ، وأنت من خاصة المسلمين . بل ولا أرخصه لنفسى وأنا من عامتهم !  
فقلت — سأمحك الله — إن معنى الآية : أن الرسول المعصوم كان ينظر إلى حسن  
النساء ، ولو أعجبتك حسنهن ، وأن ذلك كان رفعا لشأن النساء وإعزازاً لهن .

وإذا نسجنا على هذا المنوال التفسيري الفذ : لظهر لنا أن قوله تعالى ، فانكحوا  
ما طاب لكم من النساء ، أن تزوج منهن ما تناولته تجربتنا ووثقنا من طيبه لنا .

وغاب عنك ياسيدي أن المرأة المسئلة : قد تنقل وصف المرأة إلى الرجل : فيعجبه  
حسنها . وليس من الضروري أن يتابعها بالبصصة : كما يفعل جفار اليوم !

أما وقد انتهيت من الرد بإيجاز على ما قدمته لي في كتابك من نصح أردت به  
وجه الله : فما أنذا بدوري أبذل لك النصح مبتغيا به وجه الله ، وإنجائك مما أظنه  
لاحق بك من لوم !

فأقول لك — وأنت مني بمنزلة الأستاذ — أن تتق الله في خير خلق الله : الذي خلقه الله  
من البشر ، وأرسله إليهم ليألفوه ويأنسوا له ، قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون  
مطمئين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا ،

خلقهم مولاة من البشر ، وليس فيهم جميعا من يساويه ، أو يدايه !

الرسول الكريم : الذي تريد أن تنزل به إلى مصاف عصاة البشر : هو نفسه الذي  
خاطبه مولاة سبحانه وأعالى بقوله : « قد ترى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها ،  
القبلة التي هي مقصد المسلمين جميعا ؛ وملتقى أرواحهم في أجل عبادته الله : يدلله مولاة بقوله  
« فلنولينك قبلة ترضاها ، وكرر في خاطرك لفظ « ترضاها » فإن فيه من الأسرار  
ما لو تسكثف لك : لوصلت إلى مالم تصل إليه بعلمك ؛ الذي قضيت فيه طوال حياتك !

وتذكر ما قلته أنا في الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ( من قصيدة طويلة ) :

أى نفس زكية صاغها الله لظه ؛ فبلفت منهاها !  
لم يخن نفسه بنظرة لإثم وقبيح النفوس : أنت زناها !  
بات يرعى الإله صوما وقوما حيث باتوا والخمر تملأ الشفاها !  
جاع خبير العباد حيث شبعنا وملأنا البطون حيث طواها !  
أنزل الله آية فتلاها لجميع العباد : ما أحلاها !  
إن عزمت الصلاة : صل لوجهي ولك القبلة التي ترضاها !

الرسول الذى يخاطبه مولاه بقوله « فإنك بأعيننا » ويمول له « امرك » .

هذا الرسول : ليس بالإنسان الذى عذبتة فى كتابك ؛ بل هو إنسان من نوع خاص : لا يخطئ - ولو كتب الخطأ على سائر بنى الإنسان - ولا ينظر إلى حليلة ابنة فيثماها ؛ ويقول سبحان مقلب القلوب ! وفى نفس الوقت ينهانا عن النظر ، وهو دون التشى !

فاتق الله يا عبد الله : فى منزلة رسول الله ، وراجع نفسك فيما قلت وفيما كتبت ؛ نسى أن يغفر المولى سبحانه لى ولك ، وأن يشفع فىنا رسوله عليه الصلاة والسلام الذى لم يخطئ أصلا ، ولم يتطرق الخطأ إلى ضميره يوما ما : بعد الرسالة أو قبلها !

ويصح لى فى ختام حديثى معك : أن أعتذر عما وقعت فيه مما نهيتنى عنه فى كتابك من التعصب . وعذرى أنه فى نظرى : تعصب فى الحق ، ودفع للباطل : الذى تشهد به كل العقول الذكية الأبية ؛ وأنت أولها وأولها !

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

محمد بن عبد العزيز اللطيف بالله

١٩٧٣/٤/١٢



هذا وقد غضب أستاذنا الفاضل من تعقيبنا على تعقيبه . وحق له أن يغضب !  
لأنه قد توهم — مخطئاً لا خاطئاً — أن في تعقيبنا ؛ مغالطة له ، أو تحويراً لما أراد  
أن يشبهه ، ونسى — حفظه الله تعالى — أني قلت ولا أزال أقول : إنى لا أكتب شيئاً  
إلا ابتغاء مرضات الله ، وحسن ثوابه !  
وقد ردّ علينا بما ندونه هنا إتماماً لما بدأناه من بحث . نرجو أن يخرج القارىء  
منه بنتيجة حتمية : هي عصمة النبي المعصوم عليه الصلاة والسلام — قبل البعثة وبعدها —  
من الخطأ الذى هو دون الخطيئة طبعاً !  
وها هو ردّه كما أرسله ؛ وتعقيبنا عليه :

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين : سيدنا محمد الرسول الكريم وعلى آله وصحبه وسلم :

١ — لم أقصد بقولى « يخطئ » أن يفعل الخطيئة : إذ هو يستحيل فى حقه أن يرتكب  
إثماً أو خطيئة . وإنما أقصد الخطأ الذى قد رفعه الشارع عنا بقوله صلى الله عليه وسلم  
« رفع الخطأ عن أمتى والنسيان وما استكروها عليه » كما جاء فى القرآن الكريم « ربنا  
لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا » ، ولقد نسى الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ فصلى الرباعية  
ركعتين ، كما نسى ودخل المسجد وهو جنب ؛ ولم يكن ذلك نقصاً فى مقامه الشريف !

٢ — لا يجمل أحد قط أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس بملك إذ هو مولود  
من أب وأم كسائر البشر ، ويجوز عليه ما يجوز على كل بشر مما لا يقدح وينقص  
من مقامه الشريف ، وبلا شك أن كل مسلم مهما كان جهله ؛ لا يقول إلا أن مقام النبي فوق  
كل مقام ممن خلق الله جل وعلا ولم يعلوه سوى المقام للإلهى جل وعلا . وأخشى  
ما أخشاه أن يبالغ المبالغون كل المبالغة فيخرجوه من البشرية إلى الإلهية ، ولقد صدق  
البوصيرى حيث يقول :

دع ما ادعته النصرارى فى نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم

٣ — ليس كل نظر ولا كل حب محرماً ؛ ما خليا من قصد الشهوة ؛ فالحب الشريف  
لا يقول أحد بمنعه ، ولا مجرد النظر أن يقول أحد إنه محرّم !

٤ — وأما دعوى أن فعل المعصية : تنفيذ لمكتوب فباطل ؛ إذ لا اطلاع لفاعل المعصية على أنها مكتوبة . وإنما قدم إليها لقضاء شهوته ، ولو قدر لأحد أن يطالع على اللوح المحفوظ فيرى أن الله قدر عليه فيه أن يفعل معصية ثم فعلها بقصد التنفيذ لا بقصد الشهوة ؛ لا شك أنه يكون في ذلك غير آثم !

وأني لأحد الاطلاع على ما سطره الله تعالى وقضاه في عبده سبحانه !

٥ — ليسكن من المعلوم أن الله جل وعلا يريد المعصية ولا يرضاها لقوله عز وجل « ولا يرضى لعباده الكفر ، وإرادة الله جل وعلا إنما تكون لعلم الله ألا بما يفعله كل أحد ، ولقد رتب سبحانه على كل إنسان من شقاء وسعادة : حسبما عبه الله ، وأن السعيد إنما يتوجه لفعل الخير ، والضد بالضد .

٦ — أما الغرض من قوله سبحانه وتعالى « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » إنما هو للتهديد والإنذار كقوله تعالى « اعملوا ما شئتم » .

٧ — أقول إن المثلية بعيداً عما خصه الله به ، وميزه : هي مثلية مطلقة فيأكل ويشرب ويتزوج . . . الخ .

٨ — القصد من ذلك تحديد قدرهم ، وأنها ليست خارجه عن قدرة البشر ؛ حتى يأتوا لهم ما يريدون من اقتراحات .

٩ — لا يشك أحد أن الرسل من البشر ؛ فذكر البشرية للعلم بأنهم لا يستطيعون فوق ما يستطيعه البشر ، فليس بمقدور أحد منهم أن يخسف بقرية أو يقاها كما حصل من الملائكة .

١٠ — سبق أن قررت وأقرر ، وأدين الله به : أن مقام محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعاوه سوى المقام الإلهي .

١١ — ليسكن في معلومك أي لم أكن المصوب لعمر رضى الله تعالى عنه إنما المصوب له الإله الحكيم الخبير ، وأن موافقة عمر رضى الله عنه للقرآن الكريم فيما يزيد على ثلاثة عشر موضعا ، إنما ذلك هو مزية له ، وهذه المزية لا يمكن لأحد أن يقول بتفضيل عمر على أبي بكر رضى الله عنه ، فضلا عن تفضيله للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ومن اعتقد شيئا من ذلك فهو خارج عن الدين ، مارق والعياذ بالله !

١٢ — سبق أن قلت : إن كل حب ليس إثما . حُب الرسول صلى الله عليه وسلم لزِينب أو خلافها من الحب الشريف الذى لا غبار عليه ، على أننى أقول : إن الذى أخفاه الرسول عليه الصلاة والسلام فى نفسه هو اعلام الله إياه بتزويجه زينب ، وليس ما أخفاه فى نفسه حب زينب ، كما ذهب إليه الكثير .

١٣ — أقول إن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان يجتمع بالنساء ليبايعن وليعظهن ، وقد ذكرت فى ردى آية المبايعه وحديث الوعظ فكيف بك تحوّر الموضوع وتنسب إلى ما يستحيل أن يكون منى .

١٤ — أقول : إن وجود أحد يزيد على الرسول الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم لا يقتضى أفضليته عليه ؛ وإلا للزم أن نقول إن سليمان عليه السلام أفضل : لما خصه به من إيتائه ملكا لا ينبغي لأحد بعده . كما قال عز وجل حكاية عن سليمان « رب هب لى ملكا لا ينبغي لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب . . . »

وأن الحديث القائل « أوتيت قوة أربعين . . . » لم أذكره فى ردى ، ولم أقل به .

١٥ — قلت وأقول : إن المزية لا تقتضى الأفضلية قط .

١٦ — هذا الحديث لم أذكره ، ولم أقل به ، أما بخصوص سيدنا سليمان عليه السلام هو الذى حدث عن نفسه وأخبر كما جاء فى الحديث بقوله « لأطوفن على نساءى . . . » إلى أن قال الرسول صلى الله عليه وسلم آخر هذا الحديث : لو قال سليمان عليه السلام إن شاء الله لآت كل واحدة منهن بفارس يجاهد فى سبيل الله .

١٧ — أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهن منزهات أن يتسمعن .

١٨ — سبق أن قررت أنه لا يلزم من النظر أن يكون مصحوبا بشهوة بهيمية ؛ لأن ذلك مما لا يليق به صلوات الله تعالى عليه وسلم فنخلص من ذلك أن النظر البرى لا مانع منه أصلا . خصوصا أنه قد أرسل إلى الخلق عامة ذكورهم وإناثهم ، فكيف لا يجتمع بالنساء ويبدى لهن ما شرعه الله لهن ؟ كيف ! وانهن نصف المجتمع ، وأولى بالعناية والرعاية والعلاج لقصور عقولهن .

وأما قول الله عز وجل « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » مشروط بشروطه ، ومقيد بقيوده ؛ فالعدد محدود وشرطه الاستطاعة على النفقة ومؤن النكاح ، كما جاء فى الحديث الشريف « يامعشر الشباب ، من استطاع منكم البائة

فليتزوج... الخ، وهناك شرط أهم وهو العدل بينهن : في الكسوة والنفقة والقسم ، وبدون هذين الشرطين أو أحدهما : لا نكاح .

وما المانع أن يقصد قول الرسول صلى الله عليه وسلم « حبيب إلى من دنياكم الطيب والنساء » وهو حديث ثابت رواه : أحمد في المسند ، والنسائي ، وابن ماجه : أن يقتلع من صدور العرب جذور بغضهم للنساء ، فلقد كانوا يجعلونهم كالمناع ويشدونهن خشية العار ، حتى جاء الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه بالعمل على إنقاذ نصف المجتمع من هذا الوباء .

١٩ - نصيحتك مقبولة على العين والرأس ؛ لو أنها مبنية على فهم صواب من جهتي ؛ لأن مثلي لا يجمل قيمة الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم وعصمته ، وأن اعتقادي الجازم بأنه فوق كل ما خلق الله جلّ وعلا ولولاه ما كانت الدنيا ؛ فهو النور الإلهي الذي جعله الله أصلا للبشر فصلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وسأحسب الله حيث أخطأت الفهم في ، وجل من لا يخفى !

٢٠ - كما دله ؛ كما تقول ، وجه إليه باعتباره عبداً له النواهي والعبي حيث يقول الله عز وجل « ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي » « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا... » « ما كان لني أن يكون له أسرى حتى يشخن في الأرض... » « عفا الله عنك لم أذنت لهم... » « عبس وتولى أن جاءه الأعمى... » إلى أن قال « وأما من جاءك يسعى ، وهو يخشى فأنت عنه تلهي » .

فالرسول الكريم أيها الأخ الفاضل : هو عبد من عباد الله الصالحين ؛ شرفه الله ، وجعل مقامه فوق كل مقام ؛ مأمور من قبل الله ؛ كما نحن مأمورون ، ومكلف كما نحن مكلفون .

٢١ - ومن نسب إلى الرسول الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينظر نظرة لثم ، أو يخون ؛ إلا المشركون المنافقون . أما المسلمون مهما تنزلوا وقل علمهم : فهم بالضرورة ينزهون الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم عن كل ما يؤثم ؛ فقل لي بالله من أين جاءتك هذه الأفهام والأغلاط التي تريد أن تلصقها بربي مثلي ؛ وبمن يقدر الرسول العظيم صلى الله تعالى عليه وسلم قدره ، ويهظمه حق تعظيمه !

على أبو طالب

هذا وقد حاول الأستاذ الفاضل - في رده هذا - التخلص مما ألصقه بنفسه ، ولم نلصقه نحن به ؛ ولا زلت أكرر أن ما ارتكبه : زلة عالم ؛ تزول عنه بزوالها عن إصراره ! على أن مانفاه عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من الخطأ - كما زعم أخيراً - لم يكن خطأ ، بل هو خطيئة بأجل معانيها ، وأقبح مراميها !

فلم يقل أحد : إن رؤية زينب بنت جحش ؛ وهي امرأة أجنبية متزوجة ؛ واشتهاؤها ، والأسف على الحرمان منها ؛ بقوله : سبحان مقلب القلوب ! لم يقل أحد : إنها خطأ ؛ وإست بخطيئة .

وقد أبرز الأستاذ في تعقيبه : هذه الخطيئة واضحة مجادلة ، الأمر الذي دعاني إلى ما كتبه محمداً !

وقد أصر على أن الرسول قد نسي فصلى الرباعية ركعتين . وأغفل ما ذكرته في تعقيبى من أنه لم يكن نسياناً - بالمعنى المفهوم - بدليل قوله عليه الصلاة والسلام : حينما قال له ذو اليمين : أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال : كل ذلك لم يكن ، أى لم تقصر ولم أنس .

وقد تمسك بأن الرسول عليه الصلاة والسلام : مولود من أب وأم كسائر البشر - وهذا مالا أخالفه عليه ، وإنما الذى خالفته فيه : أن هذا البشر المولود من أب وأم : ليس كسائر البشر ؛ وأنه لا يقع فيما يقع فيه جميع البشر أمثالنا فكيف وقد أوقعه فيما لا يرضى ، ولا أرضى الوقوع فيه : وهو النظر إلى مالا يحل وتشهيه ! وهذا واضح في تعقيبه عند قصة زينب بنت جحش رضى الله تعالى عنها .

أما ما زمانى به - تليحاً - من المبالغة في حق الرسول مبالغة تخرجه من البشرية إلى الإلهية : فهذا الذى أبرىء نفسى منه : متمسكاً بما تمسك به من قول البوصيرى رضى الله تعالى عنه :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحا فيه واحتمك

وقد قال البوصيرى : واحكم بما شئت مدحا ؛ ولم يقل قدحا . وقد مدحته أنا بما هو دون حقه ؛ فى حين أن أستاذنا الفاضل قد تمسك بما يقدر فى مقامه الكريم ؛ جريا وراء أناس أساءوا فهم قدره العظيم الذى لا يصل إلى معرفته سوى منثته ومبدعه تعالى وتقدس عن المثل والنظير !

وأزيد على ما ذكره من قول البوصيري رضى الله تعالى عنه :

دع ما ادعته النصارى . . . الخ

فإن فضل رسول الله ليس له حد فيعرب عنه ناطق بفهم  
فالنسب إلى ذاته ما شئت من شرف وأنسب إلى قدره ما شئت من عظم

ولا أدري ماذا يعنيه من الحب الشريف الذى وقع فيه سيد الخلق ؟

وأى حب شريف هذا ؟ أن يحب الرجل حليمة رجل مسلم ، فنقول : إنه كان حباً  
شريفاً ، فبئس هذا الحب ، إذا صدر من عامة الناس : فما بالك بخاصتهم ؛ بل فما بالك بخيرة  
الخلق وصفوتهم ؟!

أما ما أردت ياسيدى أن توقعنى فيه من خضم الشكوك والرزايا ، التى ابتلى بعض  
المسلمين بها : من أن الله تعالى يريد المعصية ولا يرضاها . فهو قول مردود بمثله ؛ من  
سلسلة المجادلات البيزنطية ؛ التى نظمها الأوائىل ؛ فقالوا جواباً على ما قلت : كيف يتم  
فى كون الله ما لا يرضاه الله ؟

ولا نملك حيل ذلك سوى التسليم ، والتمسك بقول الحكيم العليم : « لمن شاء منكم  
أن يستقيم ، وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين » .  
وقولك إن المثلية : مطلقاً بعيداً عما اختصه الله تعالى به وميزه .

ورددى على ذلك : أن المولى سبحانه ؛ وقد اختصه عليه الصلاة والسلام بمزايا بلغت  
حدّ العجز عن الإحاطة بها ؛ وأنه لا يماثلنا فى شيء : إلا كونه من أب وأم ، ومن لحم ودم !  
أما قولك : إن الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يستطيعون فوق ما يستطيعه البشر .  
فهو قول مردود أيضاً : لأن البشر ليس فيهم من يستطيع أن يدعى العصمة لنفسه :  
وهم معصومون جملة وتفصيلاً !

أما تصويبك لعمر ؛ فلم أقل : إنك الذى صوبت ما فعل ، بل أنا أعلم علم اليقين أن  
المولى سبحانه هو الذى صوب فعله — هذا إذا صح ما ورد فى ذلك من أحاديث .

ولأنما الذى عتبه عليك : هو إبرازك صواب عمر مقارناً بمخاطبة الرسول عليه الصلاة  
والسلام ، إبرازاً قد يسيء إلى مقام الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ بل قد أساء !

أما حديث « حجب إلى من دنياكم الطيب والنساء . . . » ومبلغ ثبوته عند الرواة :  
فلسنا بسبيله الآن ، ولأنما الذى أقصده تضافر الأحاديث على حب الرسول للنساء ، وقوته  
فى الجماع ، وقدرته على إتيان العدد العديد منهن فى الليلة الواحدة بغسل واحد !

كل هذا يؤيد ما ذهب إليه وأذهب إليه دائماً من أنها مؤامرة اسرائيلية : ترى إلى الخط من قدر الرسول الكريم ؛ الذي بعثه الله ليتم مكارم الاخلاق : فأرادوه متمماً لاحط الخلال ، وأقبح الخصال !

وقد أخذنا مآدسوه : قضية مسلمة ؛ بسداجة الأبله ، وبساطة الذي لا يتفهم . وبذلك أنجحنا معسى الأعداء ، وكفيناهم مؤنة الإقناع !

وأما قولك : إن أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام منزهات أن يتسمن . فهذا ما أوافقك عليه تمام الموافقة ؛ وقد سقت ما سقت مبرهنأ على عدم معقولية هذا التسمع ! كما قلت : إن النظر لا يلزم أن يكون مصحوباً بشهوة بهيمية : لأن ذلك بما لا يليق به صلوات الله تعالى وسلامه عليه .

وأقول : كيف يكون النظر بلا شهوة ؛ وقد زعمت مع الزاعمين أنه صلى الله تعالى عليه وسلم . رأى زينب فأعجب بحسنها ، وقال سبحان مقلب القلوب ! وأنها ذكرت ذلك لزوجها زيد ؛ فطلقها .

وقد زاد غيرك — من جرفهم تيار هذا الإفك — بقوله : إن الرسول الكريم طلب من زيد أن يخطبها له !

وزاد الغزالي — عفا الله تعالى عنا وعنه — بأن من خصائص الرسول عليه الصلاة والسلام : أنه إذا رأى امرأة مزوجة فأعجبته : وجب على الزوج تطليقها وتزوجها الرسول . وهو كما ترى كلام غير معقول ، وغير مقبول ؛ بل وهو بالكفر أشبه !

إنسان كمحمد ؛ يرسله الله تعالى على قمة المجد الأخلاقي : ليكون نبراساً لسائر بني الإنسان ؛ فيتعشق حليمة ابنة ، ويفجعه فيها ؛ وبعد ذلك يطلب منه أن يخطبها له ! ورجل كالغزالي : ملك ناصية العلم والفضل ، يزعم أن محمداً يجوز له أن ينظر إلى حلائل المؤمنين فيعجب ببعضهن ، ويجب على أزواجهن التخلي عنهن له !

ومثل هذا الإفك الفاضح الواضح : يلقى رواجاً بين فضلاء المسلمين : الأمر الذي يلصق بمن يصدقه الغفلة والوقوع في الضلال ؛ بل الوقوع في الكفر والعمياذ بالله ( انظر تأويل آية ٣٧ من سورة الأحزاب في أوضح التفاسير ) .

ومثل هذا لا يصحح أن يكون تكرماً للمرأة ، وإعزازاً لها واقتلاعاً لجذور بعضها من القلوب ؛ كما قلت .

ولإفاننا على أتم استعداد لإعزاز وتكريم كل امرأة جميلة ألقاها — مزوجة وغير  
مزوجة — مثل تكريم الرسول لها واعزازها !

وتباً لمن يقول ذلك ، أو يصدقه في- أوفيك ؛ فما بالك بسيد المخلوقات وإمام الدنيا  
والآخرة ، وشفيع العصاة والمذنبين ؟ !

أما قولك : إنى أخطأت الفهم فيك : فهذا ما لم يدر بخلدى إطلاقاً فأنت أنت المحب  
للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، العارف بقدره ، المقدر لفضله ، لولا بعض  
الهنات ، وتعالى من تنزهه عن السيئات !

وقدرك محفظ ، وفضلك ملحوظ ، وبيتك لا يعترها شك ، ولا يعتورها عوار !  
أما ما نسبته إلى- من إصاقي بك الأغلط والاتهامات التي أنت برىء منها : فما كان لي أن  
ألتصق بك أو بغيرك من المؤمنين غلظاً ، أو اتهاماً ؛ وإنما دافعت عن شك أو قعك فيه غيرك من  
كبار العلماء والمفسرين الأقدمين ، وكأنك تمسكت بقول من قال : من قلد عالماً ، لقي الله سالماً .  
ومن عادتي ألا أفلد أحداً — مهما عظم قدره ، وعلا ذكره — ما دام تلميذي له يفسح لي  
مكاناً في الجحيم ؛ والعياذ بالله فقد وهب لي مولاي عقلاً أعقل به نفسي عن القبيح ، وأمنعها  
عما يقعها في الإثم ! وهو لا شك مؤاخذى بما عقلته ، بحاسبي عما فهمته ؛ لا ما نقلته !  
وهو جل شأنه القائل : لقوم يعقلون ... ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون ... إن شر الدواب  
عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ... أفلم يسيروا في الأرض فتكبرن لهم قلوب يعقلون بها .  
وأخيراً أريد أن أهمس في أذنك ؛ وأنت الناصح ، صاحب العقل الراجح : إن ديننا  
المتين ، وكتابنا المستبين ، ورسولنا الأمين : كل ذلك أقض منزع أعداء الدين ؛ من اليهود  
الافاكين : فصبوا الأحابيل ، ونسجوا الأباطيل ، ودسوا في الحديث ما ليس فيه ، ونسبوا  
إلى الرسول الكريم ما نبرأ من نسبته إلينا ، ولسنا من عليه القوم ، ولا من أوساطهم ؛  
فكيف بخيرهم جميعاً ؟ !

ونصيحتي إليك ، وإلى كل مؤمن : أن تضع موضع الشك كل حديث ترتاب  
فيه العقول ، ولا تدع للشيطان سبيلاً فتصدق كل مقول ، يخافى كل معقول ! أرشدك الله  
تعالى إلى ما ينجيك ، ولا يؤذيك !

وشكركم لك وافرأ وسلام الله عليكم سابقاً !

محمد بن عبد الله الطائفة المحمدية



## تعدد الزوجات

القرآن الكريم : الذى أنزله الله تعالى على رسوله هدى وشفاء : لم يدع شيئاً لصالح البشرية إلا بينه ، ولا أمراً فيه صلاح الدنيا والآخرة إلا فصله .

وقد كان أوائل هذه الأمة رضى الله تعالى عنهم حين يحرمهم أمر ، أو تعترضهم مشكلة يهرعون إلى كتاب ربهم : فيطيعونه فيما أمر ، وينتهون عما نهى عنه وزجر !  
وقد جاء من بعدهم ناس تجرأوا على الكتاب العزيز : فأولوه طبق هواهم ، وفسروه تبعاً لمقاصدهم ؛ حتى غدا القرآن الكريم — الذى لا لغو فيه ولا تأثيم — يساق من فئتين :  
حجة على قضيتين مختلفتين متنافرتين !

فهذا يقول : إن الله تعالى قد أباح تعدد الزوجات ؛ ألا ترى إلى قوله « فانسكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » .

وآخر يقول : إن الله تعالى نهى عن التعدد نهياً فصيحاً صريحاً ؛ ألا ترى أنه تعالى قيده بالعدل بقوله « وإن خفتن ألا تعدلوا فواحدة » وقرر عدم استطاعة العدل بقوله « وإن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » .

ولا يخفى أن ذلك يجعل فى القرآن ؛ الذى هو كلام الرحمن : تناقضاً واختلافاً ؛  
نزه عنه كلام بعض البشر ؛ فما بالنا بخالق البشر !

وقد قال تعالى فى محكم كتابه « ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً »  
وأى اختلاف أعظم من هذا اللغو ؛ الذى لم يأت به القرآن ؛ بل قذف به الشيطان فى قلوب  
الغافلين من بنى الإنسان !

فيذا ما بحثنا قضية التعدد على ضوء ما جاء به القرآن — من غير ما تحيز إلى فئة ،  
أو انتصار لجنس — نجد أنه قد أباح التعدد لإباحة واضحة ؛ لا لبس فيها ولا غموض ؛  
ولا أدل على ذلك من قوله جل شأنه « فانسكحوا ما طاب لكم » وهو أمر يدل على الإباحة  
المطلقة ؛ كقوله تعالى « كلوا مما فى الأرض حلالاً طيباً... كلوا من طيبات ما رزقناكم...  
كلوا من ثمره... فكلوا مما غنمتم » .

وحين أورد تعالى قيد العدل في قوله « وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » علم أن هناك صنفان من التعدد : أحدهما : تعدد مع العدل ، وثانيهما : تعدد مع الجور . والصنف الأخير : هو المنهى عنه من مفهوم الآية الكريمة .

يأتى بعد ذلك ما زعمه البعض — ومن هذا البعض بعض العلماء — ففقد زعموا أن العدل غير مستطاع بنص الآية الأخرى « وإن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » وغاب عنهم أن هذا المعنى لو تحقق — كما فهموا — لكان تناقضاً ولوغوا !  
والقرآن الكريم منزّه عن ذلك تنزيهاً كاملاً .

هذا كلام له خبيء معناه ليست لنا عقول

إذ ليس بمعقول أن يقول الله تعالى : تزوجوا من تحبون ، متى تشاؤون — في حدود الأربع — فإن خفتم الجور فواحدة فحسب . وبدد ذلك يقول : الجور محقق في كل واحد من راجب التعددة :

والجور غير محقق في كل من عرفوا النبي وصدقوا التنزيلاً

وكان الأخرى — إذا كان هذا المعنى هو المقصود — ألا يذكر التعدد أصلاً :  
إباحة أو حظراً .

أما وقد ذكر التعدد في القرآن ، وأجمعت عليه الأمة الإسلامية في شتى العصور — بالقول والعمل — فقد وجب تأويل الآية القائلة بعدم استطاعة العدل ، بما تأولها به أئمة الشريعة ؛ وأساطين التفسير ؛ الذين قالوا بأن العدل غير المستطاع : إنما هو العدل في المحبة ؛ إذ أن قلوب بنى الإنسان ؛ بين يدي الرحمن : يصرفها ويقلبها كيف شاء « واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه » .

لذا كان الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه : يقسم بين نسائه فيعدل ؛ ثم يقول :  
« اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا توأخذني فيما تملك ولا أملك » ، يعني المحبة القلبية .

هذا وباقي الآية الكريمة : تدل دلالة قاطعة على قيام التعدد وتنظيمه « فلا تميلوا كل الميل » عن المرغوب عنها « فتذروها كالمعلقة » التي ليست بعانس ، ولا بذات بعل .

وقد تأيد التعدد من سائر مصادر الشريعة : فها هو صريح القرآن ، وها هو الإجماع ، فإذا مذهبنا إلى السنة النبوية نستهدينا : وجدنا قول الرسول عليه الصلاة والسلام « لا تنكح المرأة على عمتها ، ولا على خالتها ، ولا على ابنة أخيها ، ولا على ابنة أختها »

ومفهوم المخالفة : يقتضى جواز الجمع بين من عداهن . وقد جاء أيضاً فى قوله تعالى  
« وأن تجمعوا بين الاختين ، جواز الجمع بين من عداهما .

وقد أمر صلى الله تعالى عليه وسلم غيلان الثقفى — حين أسلم وله عشر نسوة —  
أن يستبى أربعاً منهن .

كل هذا يدل دلالة قاطعة ؛ لا تقبل الشك أو الجدل : أن التعدد من بدهيات المباحات ،  
وأن التكلم فى منعه أو تحريمه : يدخل تحت طائلة تحريم ما أحل الله !

وهناك نقطة هامة : هى مصلحة المرأة : متزوجة على أخرى ، أو متزوجة عليها بأخرى .

فأما الأولى : فلا يوجد عقد زواج إلا وأحد طرفيه امرأة : تملك زمام أمرها بيدها ،  
ولا تتزوج إلا برضاها ، ووفق هواها ؛ فإذا كان ذلك يضرها : ففى وسعها ألا تتزوج  
بمتزوج ، وإن كانت فى عسر من أمرها ، ولا تستطيع أن تقوم بأودها ؛ فقد فرج الله  
عليها بالزوج الذى يدفع عن كاهلها عبء الفاقة ، وذل العوز ، وغائلة الجوع !

وأما الثانية : التى تعتبر أن الزواج عليها فاجعة لها ؛ فلا بأس من أن يسن تشريع  
يبيح لها طلب الطلاق ؛ ولا أغالى إذا أنا قلت : إن شريعتنا السمحة تبيح ذلك ؛ خاصة  
إذا تدلى الزوج من أعلى إلى أدنى : فتزوج على الأولى بمن دونها حسباً ونسباً : كأن  
يتزوج بماجنة على عنيقة ، وبخسيصة على شريفة ، وبخضراء الدم<sup>(١)</sup> على عريقة النسب !  
فهنا يتوفر الضرر الموجب للطلاق فى هذا الزواج !

وقد روى أن بنى هشام بن المغيرة : ذهبوا إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم  
يستأذنونهم فى تزويج بنت أبى جهل بن هشام لعلى بن أبى طالب ؛ فغضب صلى الله تعالى عليه  
وسلم ، ولم يأذن بهذا الزواج إلا على شريطة طلاق ابنته فاطمة رضى الله تعالى عنها ؛ حتى  
لا تطعن فى كرامتها ، أو تفتن فى دينها . وقال « إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى فى أن  
يزوجوا ابنتهم على بن أبى طالب ؛ فلا آذن لهم ، ثم لا آذن لهم ، ثم لا آذن لهم ، إلا أن يجب  
ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى ؛ إن ابنتى بضعة منى : يربنى ما يريها ، ويؤذنى ما يؤذيها ،  
فمن هذا يعلم أنه لا يجوز لإيذاء الزوجة بالتزوج عليها بمن هى دونها حسباً ونسباً .  
وليس فى هذا ما يؤيد — من قريب أو بعيد — مزاعم المنكرين للتعدد .

١ — خضراء الدم : المرأة الحسناء ؛ فى المنبت السوء . كما جاء فى الحديث الشريف .

وهب أن في تعدد الزوجات ضرراً يلحق ببعضهن — كما يتوهمون — فلا بد أن فيه خيراً كثيراً غفلوا عنه ، ولم يفطنوا إليه ، وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم .

فقل — يارعاك الله — لمن يعارض أحكام الله : « أنتم أعلم أم الله » ؟  
هذا ويجب أن يكون التعدد بقصد الاستنفاف ، لا بقصد الإسفاف أو الإسراف .  
ولا يكون بقصد الإضرار بالزوجة الأولى ؛ كما كانت تفعل العرب في الجاهلية .  
قال شاعرهم يهدد امرأته بالضرّة :

أكلت دماً<sup>(١)</sup> إن لم أركك بضرّة بعيدة مهوى القرط<sup>(٢)</sup> طيبة النشر<sup>(٣)</sup>  
فجعل زواجه الثاني : لكيّد الزوجة الأولى وترويعها ؛ ونسى أن واجبه الأول : أن يوفر لها أسباب الراحة والسمادة ؛ لا أن يتقب عن تعاستها وإشقتها . وأنه إن أحبها أمسكها وأكرمها ، وإن كرهها طلقها ولم يظلمها !

#### فساد التقنين بعدم التعدد :

هذا وقد تحرمت بعض الحكومات المسلمة التعدد ؛ كما تم ذلك في تونس الشقيقة ، وحددوا عقوبات لمن يعدد الزوجات .

وقد بلغ من بشاعة هذا التقنين الفاسد : أنهم إذا ضبطوا رجلاً عدد زوجاته : كان عليه أن يدفع هذه التهمة بأن يزعم ويقسم أنها خليلته ، وليست بحليلته ! وبذلك يخلص من عقوبة سنّها أناس لا يمتنون إلى معرفة الله تعالى بسبب ، ولا يعبأون برضاه من مخظه . ولم يقفوا — في مخالفتهم — عند تعدد الزوجات فحسب ، بل تدخلوا في الموارد فتموهوا نظام الله تعالى الذي لا يعدله نظام<sup>(٤)</sup> !

أما ما تلوكه ألسنة الطاعنين في التعدد : من فساد العلاقات بين الإخوة غير الأشقاء . فهي دعوى فاسدة : فكم قد رأينا شقيقين يقتتلان ، وأخوين لأب متصافيين متحابين !

١ — يدعو على نفسه بالفقر الشديد ؛ وقد كانوا حين يحمل الفقر بأحدهم يفصد نافته وتبلى دمه في وعاء حتى يتجمد ؛ فيشويهه وبأكله .

٢ — يكنى بطول رقبتها ؛ وهو من صفات جمال المرأة .

٣ — النشر : الريح الطيبة ، أو هو رائحة فم المرأة وأعطافها عند قيامها من النوم .

٤ — حيث منعوا مشاركة الأعمام للبنات ؛ فيما تركه لهم أبومهم ، وقد أحلها الله تعالى في محكم كتابه .

هذا وقد غاب عن هؤلاء الطاعنين : أن البلدان الأخرى التي حرمت التعدد : فثنا فيها الفجور ، والمخادنة ، وملئت فيها الملاهيء بأبناء الزنا . والبيوت بالأبناء غير الشرعيين . ولماذا نتعب أنفسنا في تحييد رأى رآه خالق الناس للناس ، وشرعه لهم ؟ ولماذا نفاضل بين رأى بعض البشر ، ورأى خالق البشر ؟ !

إن خالق الناس ، ومن هو أدرى بالناس من الناس : قال بالتعدد ؛ فهل يجوز لإنسان — مهما أوتى من علم وفهم — أن يأتي فيقول : لا ؛ إن التعدد نظام بغيب يقضى على المجتمع ويشتت شمل الأسرة ؟ !

هذا : ولا يخفى ما في تعدد الزوجات من مصلحة عظيمة ، وحكمة بالغة : فإن الرجال — فضلا عن زيادة عدد النساء عليهم — معرضون لنقصان مستمر ؛ بسبب قيامهم بمشاق الأعمال ، وبأعباء الحروب وغيرها ، وتعرضهم للمهالك . وليس من الحكمة في شيء : أن ندع جانباً كبيراً من بناتنا بدون إحصان !

إن الأوروبي — مثلاً — لا يبيح له دينه التعدد ؛ لكنه يتيح لنفسه مصاحبة المئات من الفتيات !

ويرى والد الفتاة فتاته مع عشيقها : فيسر ويفتبط ؛ بل ويمهد لها جميع الوسائل ، وكافة السبل المؤدية لراحتها ، وطمأنينتهما .

أما ديننا الذى يحرم على الرجل : النظر إلى المرأة ، ويحرم على المرأة : النظر إلى الرجل : فقد كان لزاماً عليه أن يوجد لهذا الضيق فرجاً ، ومن هذا المأزق مخرجاً : فجعل النكاح مكان السفاح ، ووضع الحلال مكان الحرام ! وإلا فن للعوانس وربات الخدور ؟ ألهن العهر والفجر<sup>(١)</sup> ، ولنا العفاف والظهور ؟ أم لهن الجحيم ، ولنا النعيم ؟ وهل من المستحسن أن يكن ضرائر ، أم يكن فواجر ؟

وقد شنع فيلسوف الإسلام المرحوم الشيخ محمد عبده على التعدد . وهى سقطة شائنة ؛ رغم ما كان عليه رحمه الله تعالى من رأى قويم وفكرة صائبة .

وإذا تأملت فى الشرائع الوضعية التى أبطلت تعدد الزوجات : تجدها اضطرت إلى قبول ما هو شر منه : إذ فتحت باب التدهور الأدبى على مصراعيه . فاضطرت إلى الاعتراف بمشروعية العلاقات الآئمة بين الجنسين ، وبمشروعية الوساطة فى هذه العلاقات !

١ — الفجر : الانبعاث فى المعاصى والزنا ، وغر : فسق وكذب .

فإنحط الذوق الأدبي في المجتمعات : بدرجة أنهم يفخرون ويتباهون بما يوجب الخزي والعار ! بل بما يستوجبون عليه شرعاً : الجلد والرجم ، والقتل !

ثم انتهى أمر هذه الشرائع بقبول مبدأ تعدد الزوجات ، ولكن تحت سستار المخادنة البغيض !

والمخادنة هذه : زواج حقيقي ، لكنه غير مسجل بعقد ، أي إن الرجل لا يتقيد حيال المرأة بأى حق من الحقوق ؛ فتكون عرضة للطرد بأولادها — في أى وقت شاء ، وفي أى يوم أراد — دون أن يكون لها أية حقوق عند الرجل الذي قد يكون عاشرها سنين طويلة ؛ وأضاع زهرة شبابها ، وبهجة حياتها !

لكن الإسلام — الذي كانت مهمته الأولى : المحافظة على حقوق الأفراد والجماعات — شرع مبدأ تعدد الزوجات : ليحمي المرأة من عدوان الرجل الظالم . فلم يقبل أن تكون في علاقاتها معه إلا على حالة واحدة : وهي أن تكون زوجة ، لها ولأولادها حقوق مقررّة ؛ لا يستطيع الرجل بحال التصل منها . وفي الوقت نفسه حرم الزنا ، والمخادنة ، وجميع ما من شأنه الحط من مستوى المرأة ، وإنزالها من مرتبة الإنسانية إلى مرتبة الحيوانية ! والآن أمامنا فيما يتعلق بالحياة الجنسية نظامان :

أحدهما يبيح تعدد الزوجات ، ويحرم ما وراء ذلك من العلاقات الآثمة ، ويضرب بيد من حديد على أيدي المتلاعبين بالأعراض ، الخائضين في ضروب الفحشاء والفساد ! والآخر يحرم تعدد الزوجات ، ويبيح سائر العلاقات الآثمة ، ويجيز التلاعب بالأعراض ، والخوض في ضروب الفحشاء !

طبعاً لا يوجد إنسان عنده ذرة من عقل : يختار القسم الثاني ، ولا توجد نفس كريمة ترضى أن يكون حظ النساء منه كحظ البهائم العجائز !

وفي أى دين ، أو أى نظام أو أى عرف : تكون الخلية أفضل من الخلية ؟

ويقولون أيضاً : إن الرجل الذي يعقب أولاداً من زوجتين ؛ يعتبر في نظر المجتمع آثماً ؛ لأنه يخلق العداوة بين نسائه ، والبغضاء بين أبنائه !

فهل معنى هذا أن الرجل الذي يعقب أولاداً من امرأتين إحداهما شرعية ، والأخرى غير شرعية : لا يعتبر آثماً ولا يكون خالقاً للعداوة بين نسائه وأبنائه ؟

والذي يدعو للعجب : أن يقوم أناس ينتصرون للمرأة ، ويدعون إلى عدم التعدد ،

ويسمونه بأشنع السمات ، ويسمونه بأقبح السمات ؛ مع أن النتيجة المحتمة لما يدعون إليه :  
هي انتشار الزنا ، وفشو الأمراض ، وهتك الأعراض !

وهل من الانتصار للمرأة أن يوقعوها في هذا الحضيض ؛ لتصبح زوجة مجردة من  
الحموق ؛ لرجل يستغل طبياتها ؛ حتى إذا قضى طلبته ، وأشبع نهمته : ألقى بها وبأولادها  
إلى حيرت تتكفف الناس ؛ وقت لا تجد عطفاً عليها من الناس !؟

هذا وقد ثار في الآونة الأخيرة الجدل العنيف بين بعض السيدات المشتغلات  
بالكتابة ، وبعض الرجال المشتغلين بالتقنين ، وقد كاد هذا الخلاف أن يتعدى الفريقين  
المتخاصمين المتخالفين إلى كل أسرة ؛ تتكون من رجل وامرأة ، وأصبحنا بين عشية وضحاها  
نرى في كل بيت خصومة وتنازلاً يتناولان ما يراه كل طرف من حق له قبل الآخر .

وهي ظاهرة خطيرة : يجب الوقوف عندها ، والحد من امتداد آثارها .

وقد زاد من الإساءة إلى المرأة وحقوقها : مساندة بعض الكتاب لها في آراء تخالف  
نصرص الدين الذي نمتسب إليه ، والذي نظم علاقات المرأة والرجل تنظيماً لا يدع مثاراً  
للشك ، أو مجالاً للاجتهاد !

فالقرآن حينما يقرر في بلاغته وبساطته : « ولهنّ مثل الذي عليهنّ بالمعروف » قد أثبت  
أن للمرأة حقوقاً مثل ما للرجل : من الحب ، والعطف ، والرعاية ، ولين الجانب ، وحسن  
المعاملة . وهي كلها صفات يجب تبادلها بين الجنسين !

كل هذا تقره المرأة ، وتلجج به دائماً في أحاديثها ؛ بل في أحاسيسها ؛ ولكننا حين نكمل  
هذه الآية بقول الحكيم العليم « وللرجال عليهنّ درجة » نرى في وجوه بعضهنّ الامتعاض  
والاشتمزاز !

كيف يكون للرجال درجة ؛ وقد خلفنا من جنس واحد ، وطينة واحدة !؟

وحينما ينص الكتاب الكريم — في صراحة لا تقبل التأويل أو التبديل — « فانكحوا  
ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، ثور ثائرة — لا أقول النساء حسب —  
بل وبعض الرجال ؛ الذين يرون في تلك الممالة فضلاً لهم وفخراً ، وما هو بالفضل  
ولا بالفخر ، فإن سائر المقننين والمرشعين في شتى أنحاء المعمورة : قد أجمعوا على أنه  
لا اجتهاد مع النص .

ذلك في القوانين الوضعية ؛ التي وضعها البشر المخلوقون ، الذين هم كثيراً ما يخطئون  
ويجانبون الصواب !

لكن القرآن الكريم : وهو من لدن حكيم عليم ، غفور رحيم ، عالم بالخفيات  
والمكنونات ؛ إذا قال حكما صريحا فصيحا : جاز في نظرهم أن يجتهدوا فيه ، وأن  
يعيبوا عليه !

وهناك ما يسمونه بالتطور العالمى ، والمفاهيم الصحيحة ، واتهام بعض السادة رجال  
الدين بإغلاق عقولهم دون التفهم ، وتشبههم ببعض النصوص والأحاديث ، وضيق أفقهم !  
وثالثة الأثافي : أن يكتب كاتب مرموق فى الجرائد السيارة بدوران الحكم مع العلة ،  
وجرداً وعمدا .

وهذا الرأى — إن وجد له سامعا — فإنه يؤدى حتما إلى ارتكاب كل الموبقات .  
فالزنا ؛ سبب حظره وتحريمه : اختلاط الأنساب ؛ فإذا أمن اختلاط الأنساب :  
حل الزنا وجاز !

والخمر ؛ سبب تحريمها : اغتيال العقول . فإذا أمن ذلك الاغتيال : حلت لنا الخمر  
أيضا ؛ وقس على ذلك سائر المحرمات !

فالسرقه جائزة ، والربا جائز ، واغتياال الأعراض والأموال جائز أيضا !  
وهكذا ينفذ العصاة الطغاة — من هذه القاعدة الفاسدة — إلى كل ما يبتغون ويشتهون !  
والقرآن الكريم حينما يأمر الرجل بالعدل : « وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، فلا يعدل .  
وبعدم الميل « فلا تميلوا كل الميل ، فيميل . وبالموددة والرحمة « وجعل بينكم مودة ورحمة ،  
فلا يواد ولا يرحم . وبإمساك الزوجة — ولو كانت مبعوضة — « فعسى أن تنكروها  
شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ، فلا يمسكها كارها لها !

كل هذا ليس عيبا فى دين الله : يستوجب لإصلاح الدين وتعديل شرائعه ! ولا نقصا  
فى كتاب الله يستوجب لإكاله وتصحيح أحكامه ! إنما هو عيب فى طباع البشر ، ونقص  
فى خلقهم ، وفساد فى عقولهم !

فالسرقه : حرام ؛ وجزاؤها القطع . والزنا : حرام ؛ وجزاؤه الرجم . وشرب  
الخمر : حرام ؛ وجزاؤه التعزير والضرب بالنعال !

ولكن المشرع المخلوق : عدل فى أنظمة الخالق ؛ فجعل عقوبة السرقه الإكرام فى السجن :  
بالطعام والملبس والترفيه : فزادت السرقه ! وألغى عقوبة الزنا ففسحا ؛ والخمر فزادت  
انتشاراً ودماراً !



فأين عيب الدين إذن ؟ وأين قصور القرآن ؟

هذا : وقد قامت المحافل النسائية بحجافلها : تطلب أن يكون لها رأى في هذه التشريعات التي تتعلق بها تعلقا واضحا : أليست نصف الأمة ؟ أليست تعامل بهذه التشريعات ؟ أليس لها ما للرجل تماما ؟

وهكذا أصبحنا في حال لا يقرها نظام ، ولا يعترف بها دين !

ولا يبعد أن يتدخل مدمنوا الخمر في تشريع الخمر ! ومرتكبوا الزنا في تشريع الزنا ! والسراق في تشريع السرقة !

في حين أن الدين لا يجوز أن يستنبطه عاطل منه ، والقرآن لا يصح أن يفسره جاهل به ! إن من سن السنن ، وشرع الشرائع ، وقنن القوانين ، ومن هو أدري بالخلق من الخلق : قد أباح التعدد ، فهل بعد هذا يجوز لرجل — يؤمن بالله واليوم الآخر — أن يعترض هذه المزايا . ويسفه تلك النظم : بدعوته لعدم التعدد ؟

هذا وقد ثار قوم على هذا النظام الدقيق ، ودعوا إلى نبذه ، وشوهوا جماله ، وغضوا من حكمته ؛ داعين إلى وجوب الاقتصار على واحدة ، وزعموا أن قوله تعالى « فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » وقوله عز من قائل « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » قيد في عدم التعدد .

وفاتهم أن قوله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم » هو أمر يدل على إباحة التعدد وانشائه وقوله جل شأنه « ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم » تنظيم لتعدد واقع فعلا ؛ بدليل قوله عز من قائل « فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة » .

وشتان بين ما سيقت الآية من أجله ، وبين ما فهمه فيها المعارضون !

ومنطق المعارضين المعاندين : منطق غريب ؛ لا يستقيم مع نظم الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

وقد جاءت السنة المطهرة بالتعدد ؛ يدل على ذلك قصة غيلان الثقفي ، وما سار عليه المسلمون في العصر الأول ؛ بل في شتى العصور .

وقد تصدى لهذا الموضوع الخطير بعض العلماء — أقول بعضهم ولا أقول كلهم — لأن فيهم الثقة التافة ؛ ومنهم حملة الشريعة ، وهداة الأمة !

وقد قال هذا البعض قولاً يخالف فيه القرآن والدين ، وما أجمع عليه أئمة المسلمين ،  
ومنهم من قارب المخالفة !

فعلى رسلك أيها القائلون ؛ فإله عليم بما تقولون وما تفعلون ، وما تظهرون وما تبطنون !  
فإلهنا الكتاب الكريم ؛ الذي يجب علينا أن نستقرئه ونستوضحه إذا حزبنا أمر ،  
أو أعوزنا دليل . ومن تبع هدى القرآن : فلن يضل أبداً ولن يشقى !

هذا وأول من جهر بهذا الرأي الفاسد : المرحوم وحيد الدين الأيوبي<sup>(١)</sup> وكتب عنه  
بالجرائد السيارة ، وقد أعانني الله تعالى بالرد عليه في الجرائد التي نشر بها رأيه في حينه ،  
ونظمت قصيدة في أحد ردودي عليه نشرت في عام ١٩٢٠ ميلادية أذكر منها :

أنا يا وحيد أراك أكبر كاتب	قد أتقن التفريع والتأصيلا
وأراك أول باحث تعنو له	كل القرائح ؛ إذ يقيم دليلا
إن الكتاب أباح أربع نسوة <sup>(٢)</sup>	إلا لخائف جوره فيميلا <sup>(٣)</sup>
والجور غير محقق في كل من	عرفوا النبي <sup>(٤)</sup> وصدقوا التنزيلا
ماذا عرفت من الحديث ، وما الذي	أدركت حتى تحسن التأويلا ؟
بإله قل - فالمرء يعرف نفسه -	وامنح ذوى الحاجات منك السولا :
هل أنت مجتهد ؟ أم أنت مقلد ؟	أم لا ولا بل قد بعثت رسولا ؟
أم أنت بالبعض الموافق مؤمن	وترد ما أمسى عليك ثقيلًا ؟
أم أنت تنصر فرقة ؟ أم صاحباً	للشرع قد عادى وضل سيلا ؟
مهلاً ولا ترح ؛ فلمست بخراق	أرضاً ، ولن تصل الشواخ طولاً <sup>(٥)</sup>
لما اكتسى غيلان سربال الهدى	وأتم عسراً حين كان جهولا
قال النبي له : لتسك أربعا	ودع البواقي ؛ فافهم التمثيلا
ما إن رأينا في البرية مسلماً	يدع القرآن وينصر الإنجيلا !

١ - وقد كان - رحمه الله تعالى - من أنصار اللغة العربية ومحققها .

٢ - قوله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » .

٣ - قوله تعالى « وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة » .

٤ - عرفوه صلى الله تعالى عليه وسلم ، وتحلقوا بأخلاقه الكريمة ، وتمسكوا بهديه !

٥ - في هذا البيت تضمين لقوله تعالى « ولا تمش في الأرض سرحاً لأنك إن تحرق الأرض ولن تبلغ

وقد أغمته الحجة ، وألجمه الدليل ؛ فرد رداً مبتسراً : يستر به موقفه من معاني القرآن الجليلة الجميلة ؛ قال غفر الله تعالى زلته :

ما ادعينا وما مرحنا ؛ كما عدا علينا به كاتب في لمر سماحه الله .

وترك الجدال والجدال في أمر لا يسلسك إلا من أنار الله تعالى بصيرته ، وأنق سريرته . وقد سار على هذا المعنى كثير من المفكرين والكتاب ؛ سائرين وراء رغبة جامحة في نفوسهم ؛ ضاربين صفحا عما يريد الله تعالى من نظام كوني دقيق ، وما تحويه آياته البينات من معان سامية !

هذا وقد ذهب الأستاذ الكبير : المرحوم عبد العزيز فهمي « باشا » إلى أن قوله تعالى « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » قولاً تهكمياً ؛ لا يراد به الإباحة . وأن معنى قوله جل شأنه « مثني وثلاث ورباع » إلى ما لا نهاية له من العدد ؛ من غير تحديد بأربع ، وردد في هذا المعنى وأطال .

ورغم سعة علمه — رحمة الله تعالى عليه — وتقديرى لفنه الذى انقطع له فبالغ في إلتقانه ؛ فإننى أقول : إن قوله هذا غير جدير بالرد ؛ إذا ما ضمنا إلى الآية : ما ورد عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، وما سارت عليه صحابته رضوان الله تعالى عليهم . فإن الخالق تعالى حين يقول « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثني وثلاث ورباع » لا يجوز لمخوق أن يقول ؛ إن هذا على سبيل التهكم ، وإن هذا العدد لا نهاية له يوقف عندها . خصموصاً إذا ضمنا إلى ذلك : العمل الذى سار عليه السلف الصالح ، فى أزهى عصور الإسلام : فلم يعترض معترض ، ولم يلتفت منتقد .

وليس لسكائن من كان أن يقول : لا . إن هذا نظام بال عتيق ؛ لا يتفق مع ما نحن عليه من تقدم وحضارة .

والذى يدرس نظام التعدد — على ضوء ما قدمناه ؛ بما جاء به القرآن الكريم والدين الحنيف — يحدده من أدق النظم الاجتماعية وأرقاها ، وأوفاهما بحاجة المجتمع ؛ أياً كان جنسه ولونه ودينه .

وإذا قلنا بما يقوله بعضهم : من وجوب توفر الميسرة عند طالب التعدد ؛ فلم لا نقول بوجودها أيضاً عند طالب الزواج الأول ؟

وذلك لأننا إذا حررنا من الزواج من لا يستطيع أن يقوم بأود اثنتين : وجب علينا

أن نحرم من الزواج أصلاً من لا يستطيع أن يقوم بأود واحدة . وهذا ما لا يقره عرف  
أو شرع أو دين !

ذلك لأن تقدير اليسر وعدمه : متروك لأهل العروس ؛ فهم وحدهم الذين يقدرون  
مدى استطاعة الزوج الإنفاق على ابنتهم .

والذين يتكلمون في التعدد : ينظرون إليه من زاوية بعيدة كل البعد عن واقعية  
موضوعه ، ويصورونه في أنفسهم : كأن طالب التعدد قد اختطف فتاة من أهلها ، وكانت  
محاطة بالطالبيين والراغبين !

وفاتهم أن التي تقبل الزواج من متزوج : قد فاتها طلاب الزواج من الموحدين ، أو لم  
يتقدم لها الكفاء ؛ وأصبحت عبئاً ثقيلاً على نفسها وعلى ذويها ؛ فسكن من زوج عدد  
زوجاته ، وكان خيراً ممن اقتصر على واحدة ؛ فجعل حياتها جحيماً ، وأبدل صفاءها شقاءً ،  
وأمنها خوفاً ، وودها بغضاً ، ورحمتها عذاباً !

وما يدرينا : لعل عائل الفتاة نفسه لا يستطيع أن يطعمها أو يكسوها ؛ وينادى ربه  
صباح مساء أن يرزقه بمن يحمل عنه هذا العبء الثقيل !

وقد جاء في الأثر : أن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه قد أباح التعدد مع الفقر ،  
وجعله سبباً من أسباب اليسر . ولعل في ذلك حكمة لا نعلمها !

وأكثر من هذا : فإن محمداً عليه الصلاة والسلام قد مات ولم يشبع أهله من خبز  
الشعير ؛ وعنده من عنده من الزوجات . فلم يكن ذلك منتهى في حقه ، أو مذمة عرض  
نفسه في الوقوع فيها !

وهل من الدين في شيء ، أو من الحكمة في شيء : أن تظل بناتنا فواجر ؛ بدون  
إحصان ، ونسأؤنا عوانس بغير تزويج ؛ في سبيل تقليد الأمم الأخرى غير المسلمة ؛  
التي تقول بعدم التعدد ؟

ومن العجيب أن يقوم أناس من بيننا ، ومن أبناء جلدتنا وديننا : فيدعون إلى عكس  
ما يدعو إليه الدين ، بل بما تدعو إليه المسيحية والنصرانية الحائرة !

ما إن رأينا في البرية مسلماً يدع القرآن وينصر الإنجيل !

ويسئ إلى الإسلام أشد الإساءة ، ويستوجب المقت كل المقت : من يتلاعب بالفاظ  
القرآن الكريم ؛ لنصرة مبدل سقيم ، ورأى تافه عقيم !

( انظر قرار المؤتمر الإسلامي في ختام مبحث تحديد الذم )

# أزواج الرسول

عليه الصلاة والسلام

هذا وقد طعن كثير من سفلة البشر ، ومن أراذل المحترفين لمهنة التبشير ، في محمد عليه الصلاة والسلام : واتخذوا من زواجه مذمة يعيبونه عليها ، ومنقصة ياصقونها به . وقالوا : إنه رجل شهواني يميل إلى النساء ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا . في حين أن زواجه صلى الله تعالى عليه وسلم : يسمو بإنسانيته إلى الحد الذي لا يجاريه فيها إنسان ، ولا يباريه فيها بشر !

فلو أراد أن يختم في بيته كرائم العقائل ، ونفائس الخرائد : لكان له ما يريد من أسمی بيوت الغرب ، وأجمل الجوارى : من بنات فارس والروم ؛ اللاتي يرفلن في حلال الدمقس ، ويتحلين بأفخر الجواهر ؛ ولكان سماطه كسماط قيصر وكسرى ! كيف لا : وقد كانت تحمل إليه الأموال حتى يضيق بها مسجده ؛ فلا يقوم وفي كفه منها شيء !

وما شيع هو وآله من خبز الشعير ؛ وحاله من الغنى والجاه : ما قدمنا وما وصفنا ! ولم يختم في حريمه سوى المغتربات المسكتهلات : التي مات عنها زوجها ؛ فلم تجد مأوى ، والتي عز عليها العيش في كنف غيره من الأزواج ! ولم تكن بينهن من فتاة عذراء سوى واحدة : هي عائشة ابنة رفيقه وصديقه أبى بكر الصديق ، ثاني اثنين إذ هما في الغار .

ولو أردنا أن نصف ما لاقين في كنفه من القسوة وشظف العيش ؛ لما وسعنا هذا المؤلف !

وعند ما بلغت قسوة الحياة منهاها ، وجاوزت الشدة مداها : نزلت آية التخيير .  
« يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحاً جميلاً ، وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للحسنات متكن أجراً عظيماً »

وقد أكرمهن الله تعالى بالتوفيق إلى حسن الاختيار ؛ واخترن دار القرار ؛ وقلن جميعاً : بل زريد الله ورسوله !

فتمت لهن بذلك السعادة ، واستوجبن الحسنى وزيادة !

وقد تزوج — عليه أفضل الصلاة وأتم السلام — بالسيدة خديجة رضى الله تعالى عنها ولها أربعون سنة ، وهو ابن خمس وعشرين ، ولم يدفعه لزواجها سوى أنها خطبته لنفسها بنفسها ، وكانت من أعف النساء ، وأعرفن حساباً ونسباً ! ولها — بعد ذلك — فضل السابقة في الإسلام ؛ فلم يتقدمها إليه رجل ولا امرأة . وماتت وسنها خمس وستون سنة ؛ وكانت مدة مقامها معه صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين سنة ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين .

ولم يكن وفاؤه لخديجة رضى الله تعالى عنها : وفاء المتعة والحس ؛ بل وفاء الروح والنفس : فلقد فضلها — بعد ذلك — على عائشة ؛ وهى أصغر زوجاته وأحبهن إليه !

فترى من هذا أنه صلى الله تعالى عليه وسلم قضى عنفوان شبابه ، وزهرة حياته مع خديجة ؛ ولم يتزوج غيرها ؛ وإنما تزوجها لخلقها ، ومعاونتها له ، ومناصرتها إياه .

فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ؟

انظر خديجة رضى الله تعالى عنها فى آخر هذا المبحث .

وتزوج بالسيدة سودة بنت زمعة رضى الله تعالى عنها . وكانت تحت السكران ابن عمرو ؛ وكان قد أسلم قديماً وهاجر إلى أرض الحبشة الهجرة الثانية ، ومات حين قدما مكة . ولو عادت إلى أهلها — بعد موت زوجها — لعذوبها وفتنوها فى دينها ؛ فكفلها صلى الله عليه وسلم . وهو المثل الأعلى للهمة والنجدة والمروءة ؛ وكانت مسنة ، ولم يكن معه غيرها . ومكث معها خمس سنين ؛ إلى أن تزوج السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها فى السنة الأولى من الهجرة . وهى التى وهبت يومها لعائشة : لما رأته من حبه لها ، وميله إليها .

فترى من هذا أنه صلى الله عليه وسلم لم يتزوج السيدة سودة إلا لإيوائها وتعويضها خيراً من زوجها الذى مات معها ؛ حريصاً على إيمانه ، فأرأ بعقيدته ؛ وتألفا لقومها وقوم زوجها الذين أسلموا ونالوا صحبته صلى الله عليه وسلم .

فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ؟

وتزوج بالسيدة عائشة بنت أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنهما . وكلنا يعلم من هو أبو بكر الصديق الذى كان معه « ثمانين اثنين إذ هما فى الفار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » ولم يتزوج بكراً غيرها .

وإذا علمت أنه لم يتزوجها إلا وهو ابن خمس وخمسين سنة : علمت أنه لم يرد إلا مكافأة أبيها وإحكام الرابطة بينهما . وقد كانت رضى الله تعالى عنها واسطة فى نقل شتى الأحكام والشريعات إلى سواد الأمة الإسلامية ؛ خصيصاً ما يتعلق منها بالنساء !

قيل : لم ينزل عليه الوحي فى لحاف امرأة غيرها ، وهى أفقه نساء الأمة جميعاً وأعلمهن : لذا قال عليه الصلاة والسلام : « خذوا شطر دينكم عن هذه الخمراء » . ولو أن بعض المحدثين تكلم فى صحة هذا الحديث ؛ غير أنه لم يجرؤ أحد من المسلمين أن ينكر معناه ومبناه .

فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ١٩

وتزوج بالسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهما . وكانت تحت خنيس بن حذافة ، ومات عنها من جراح أصابته بيدر .

وتزوجها صلى الله تعالى عليه وسلم مكافأة لها وحباً فى أبيها — الذى سره كل السرور هذا النسب الشريف — ورغبة فى إيوائها ، وتعويضها عن فقد زوجها الذى قتل فى سبيل الله ، وهو يدافع عن الله ورسوله ودينه !

فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ١٩

وتزوج بالسيدة زينب بنت خزيمة : وكانت تحت عبدالله بن جحش رضى الله تعالى عنهما ؛ فقتل عنها يوم أحد . فتزوجها صلى الله عليه وسلم إيواء لها ، وجبراً لمصابها فى زوجها ، وحفظاً لدينها ؛ وقد توفيت بعد ضمها لها بشهرين .

فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ١٩

وتزوج بالسيدة أم سلمة : همد بنت أبي أمية . وكانت تحت ابن عمها عبد الله بن عبد الأسد . وكانا أسلميا قديما وهاجرا إلى الحبشة ، ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة . مات أبو سلمة من جرح أصابه فى غزوة أحد . فتزوجها صلى الله تعالى عليه وسلم .

قيل : كانت رضى الله تعالى عنها آخر نسائه موتاً . وقيل : آخرهن صفية .

ويروى عنها أنها سميت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من مسلم تصيبه

مصيبة فيسترجع ويقول : اللهم أجرني في مصيبتى واخلفنى خيراً منها : إلا أخلفه الله خيراً منها ، فلما مات أبو سلمة : تذكرت قول الرسول عليه السلام . وقالت في نفسها : ومن خير من أبي سلمة ؟ رجل نال الصحبة ، وشهد المشاهد مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ! ولكنها استرجعت وقالتها : فأخلف الله تعالى لها رسوله عليه الصلاة والسلام ، فأواها ، وحفظها ، وأكرمها !

فترى من هذا أنه صلى الله عليه وسلم تزوجها ليعوضها خيراً من زوجها الذى فقدته ؛ وكانت كثيرة الاولاد فأواها وآوى اولادها ، وقام بشئونها ؛ جزاء لها على هجرتها ، وإيمانها ، وثباتها ووفائها ! فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ؟ !

وتزوج بالسيدة زينب بنت جحش — وهى ابنة عمته — وكان قد زوجها لمولاه زيد ابن حارثة : ليرفع من شأن الأسير الكسير ، ويعلى من قدره ؛ ويجعله أهلاً لمصاهرة بنى هاشم ؛ مصداقاً لقوله تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وقد تزوجها صلى الله عليه وسلم بعد طلاقها من زيد بوحي من الله تعالى للتشريع « لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم » .

وكانت تقول للنساء النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : زوجكن أهاليكن ، وزوجنى الله من فوق سبع سموات !

وقد زعم الزاعمون فى هذه القصة ما زعموا ، واتخذها اليهود سلاحاً يحطون به من قدر سيد بنى آدم ولا فخر . ومن أعجب العجب أن يوافقهم على ذلك بعض من ينتسب للإسلام ، وملاؤا بهذا الزيف المكفر كتب التفسير .

( انظر آية ٣٧ من سورة الأحزاب . فى تأويلها الشفاء والكفاء )

وقد كان زواجهما : إعفاء لها من إهمال يصيبها ، بعد طلاق يذلها ؛ فيقصى عنها الخاطبين الذين لا يتقدمون مختارين إلى مطلقات الأحرار ؛ فما بالك بمطلقات الأرقاء ! فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ؟ !

وتزوج بالسيدة جويرية بنت الحرث ، وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلي ، وقد قتل كافراً يوم المريسيك ، وأخذت سبية ضمن سببايا وأسرى بنى المصطلي ، وكانت سيدة بنى المصطلي وبنت سيدهم ؛ فأعتقها صلى الله عليه وسلم وتزوجها ، فلما سمع المسلمون بذلك : أعتقوا ما فى أيديهم من سبى بنى المصطلي ، وقالوا : هم أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فأسلم بسببها بنو المصطلي ، عن بكرة أبيهم ، وحسن إسلامهم !



ففرى من ذلك أنه لم يتزوجها سوى رغبة في إسلام قومها . وقد أنقذها من الأسر ، وأعتقها من الرق ، وأعزها من الذل !

فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء في هذا ؟

وتزوج بالسيدة أم حبيبة : رملة بنت أبي سفيان ، وقيل اسمها هند وكانت تحت عميد الله بن جحش ، وقد هاجرا إلى الحبشة : الهجرة الثانية ، ثم تنصر زوجها ، ومات بالحبشة ، وثبتت هي على إسلامها ، وأبت أن تنصر معه ، وغالقته ، واختارت الإسلام عليه ؛ فأتم الله تعالى لها : الإسلام ، والهجرة ، والصحبة ، وأكل لها الشرف بزواجها من رسول الله صلى الله عليه وسلم !

ويروى أن أباهما — أبا سفيان — قدم المدينة فدخل عليها ، فلما ذهب ليجلس على الفراش : طوته دونه ، فقال : يا بنيمة أرغبت بهذا الفراش عني ، أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت امرؤ نجس ! فقال : لقد أصابك بعدى شر ! فقالت : بل خير ! وقد خطبها صلى الله تعالى عليه وسلم من ملك الحبشة ؛ حين سمع بانقطاعها ، وفقد نصرائها . فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء في هذا ؟

وتزوج بالسيدة صفية بنت حيي بن أخطب : سيد بنى النضير . قتل أبوها مع بنى قريظة ، وكانت تحت لإسلام بن مشكم القرظى ؛ ثم فارقتها : فتزوجها كنانة بن أبي الحقيق ، وقتل عنها يوم خيبر ، وأخذت رضى الله تعالى عنها فى السبي : فخبرت بين العودة إلى قومها ، وزواجها بالرسول : فاختارت الخيرة ! فأعتقها صلى الله تعالى عليه وسلم وتزوجها : رغبة فى لإسلام قومها « اليهود » وقد أسلم كثير منهم . فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ؟

وتزوج بالسيدة ميمونة بنت الحرث الملالية بعد وفاة زوجها ، وهى آخر من تزوج . وسنها رضى الله عنها زهاء خمسين سنة ، وقد تزوجها لإيواء لها ، وتألفاً لقومها : وقد أسلم بسبب هذا الزواج كثير من قومها ، منهم — ابن أختها — سيف الإسلام خالد بن الوليد . الذى كان حرباً عواناً على الإسلام ؛ فأصبح حربياً ضروراً على أعداء الإسلام !

فقل لى بربك : أين الشهوة والميل إلى النساء فى هذا ؟

ولا خلاف فى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم توفى عن تسع نسوة .

وفى ذلك يقول الشاعر :

توفى رسول الله عن تسع نسوة      لآلئهن تعزى المكرمات وتنسب  
فعاثشة ، ميمونة ، وصفية      وحفصة ؛ يتلوهن همد ، وزينب  
جويرية ، مع رملة ، ثم سودة      ثلاث وست : ذكرهن مهذب

ويتضح مما تقدم أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يتزوج لإحداهن إلا لأسباب  
دينية ، ومقاصد أخروية ؛ لا تمت إلى الشهوة بسبب ، ولا تتصل إلى الميل للنساء بصلة ؛  
هذا عدا أن هناك حكمة لهذا التعدد من أجل الحكم : وهى نشر الأحكام الخاصة  
بالنساء ؛ والتي لا يستطيع تبليغها الرجال : كالطهارة ، والغسل ، والحيض ، والنفاس ،  
والولادة ، والرضاع : إلى غير ذلك من الأحكام التي لا يستطيع إيفائها للنساء  
— على وجهها الأكل — سوى النساء !

ولا يمكن بحال أن تقوم بمهمة تبليغ الأحكام لسائر نساء المسلمين — على اختلاف  
طبقاتهم في ذلك الحين — امرأة واحدة ، بل عدة نساء ، من عدة قبائل . وبذلك يتم  
ما أَرادَه اللهُ تعالى من إظهار نوره ، وبسط شرائعه !

وقد ثبت أنهن أذعن عنه صلى الله تعالى عليه وسلم : علماً ، وفضلاً ، وفقهاً !

ولو كان صلى الله عليه وسلم يريد بالتعدد ما يريد سائر الملوك والأمراء — من التمتع  
واللذة ليس غير — لانتخب الحسان الأباكار ، والكواعب الأتراب ، ولم يتجه صوب  
هؤلاء الثيبات المكتهلات !

فهل بعد هذا لمبشر — غر ، سمج ، عتل ، زنيم — أن يقول عنه صلى الله عليه وسلم :  
لأنه شهوانى يميل إلى النساء ؟ !

في حين أن في دياناتهم ومعتقداتهم ما ننزه ألسنتنا عن ذكره ، وأقلامنا عن تدوينه ؛  
فسبحان من هدانا لدين الحق ، دين النور ، دين الفطرة ، وأظهره على الدين كله ، ولو كره  
المشركون !

وفضلاً عن ذلك : فلم تكن علاقته — عليه أفضل الصلاة وأتم السلام — بزوجاته  
كعلاقة أى زوج مهما دنا ، بأى زوجة مهما علت !

فقد عاشهن السنين الطوال ؛ فلم تفلت من لسانه الكلمة النابية ؛ بل الكلمة الرقيقة ؛  
ولم تبد على سماته النظرة القاسية ؛ بل النظرة الحانية !

وما من رجل — بالغ ما بلغ من المروءة والرفقة وسعة الصدر — إلا واستحال رضاه إلى غضب في ساعة ما ، وبدا منه التذمر والتضجر إزاء تصرف ما ، وبدرت منه بوادر الشر ، ونذر السوء حيل عمل ما !

ولبكن الرسول ، الذى أوتى جماع الفضائل ، وبعث ليتمم مكارم الأخلاق !  
الرسول الذى أرسل من البشر ، ليعلى من أقدار البشر ، ويرفع من شأنهم ، ويسمو بنوعهم : لم يكن كذلك !

ولم يكن هذا منه — عليه الصلاة والسلام — جنباً ، أو ضعفاً ؛ بل كان كمالاً وجلالاً !  
فإن الضعف الاختيارى : أقوى من سائر القوى ، وأكل من سائر الكمالات ؛ وهو خير مقياس للمعظمة الإنسانية في أجل صورها ، وأرفع مراتبها !

فإن من يقهر نفسه باختياره ؛ ليتفرق بضميف ؛ لا طاقة له باحتمال القهر ، ولا غنى له عن طلب اللين والرفق : هو الشجاع الباسل القوى القريب من الله !

بقي شيء واحد — وهو من الخطورة بمكان — وهو أن بعضهم يروى عن الظاهر المظهر صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حجب إلى من دنياكم : النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة » .

وقال أيضاً : « أعطيت قوة أربعين في البطش والجماع » .

وهذا كما ترى مرذول مجروح ؛ لا يصح بحال نسبته لسيد النبيين . وإمام المتقين !  
ولو رويت هذه الأحاديث في سائر الصحاح — ولن تروى — وأسندت في كل المسانيد — ولن تسند — لما وسعنا إلا رفضها ، والجزم ببطلانها !  
يقول الله تعالى — في معرض الذم والقدح — « زين للناس حب الشهوات من النساء »  
ونحن ننسب للرسول عليه الصلاة والسلام القول بحب النساء ؛ وأنه أعطى قوة أربعين في إتيانهن !

وهل بعد هذا نلوم المبشرين في طعنهم على الرسول صلوات الله وسلامه عليه — بأنه شهوانى يميل إلى النساء — ونحن الذين نسلهم بأيدينا الحجج ، ونقيم لهم بأنفسنا البراهين ؛ على صحة زعمهم ، وصدق إفسحهم ! بل وننسب للرسول ونفتري عليه ما لم يقله ، وما هو مبرأ من أن يهجس به ؛ فضلاً عن أن يفخر بذكره ، ويقوله على ملا من أصحابه ؛ الذين يرون فيه المثل الأعلى للأخلاق الفاضلة ، والحلال الكاملة !

الرسول الطاهر المطهر ، يجلس بين صحابته ويقول : « لاني أحب النساء ، ولاني أعطيت قوة أربعين في الجماع ! »

يا لها من فرية يضطرب لها القلب ؛ ويتصدع منها الحق ! فاحذرهما — أيها المنصف الحكيم — وأذع بطلانها بين من تعرف ؛ هداى الله وإياك لما فيه الرشاد والسداد !

وقد روى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « إذا سمعتم الحديث عنى تعرفه قلوبكم (١) ، وتلين له أشعاركم وأبشاركم (٢) ؛ وترون أنه منكم قريب (٣) ؛ فأنا أولاكم به . وإذا سمعتم الحديث عنى تنسكرو قلوبكم ، وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم ؛ وترونه بعيداً عنكم ! فأنا أبعدكم منه . »

فمن هذا يعلم أن ما تقدم من الأحاديث وأمثالها ؛ لا يجب الأخذ بها ، ولا التعويل عليها ؛ لمخالفتها للكتاب والسنة ؛ بل وللآداب العامة أيضاً !

- 
- (١) تعرفه قلوبكم : أى نظمتن إليه ، ولا تنكر معناه ، ولا تستوحش من نسبته لى .
  - (٢) الأبشار : جمع بشرة ؛ ومى ظاهر جلد الإنسان .
  - (٣) قريب : أى لأفهامكم وأذواقكم وآدابكم .

# أم المؤمنين خديجة

رضى الله تعالى عنها

لقد تزوج الرسول الكريم — صلوات الله تعالى وسلامه عليه — بخديجة رضى الله تعالى عنها ؛ وهي تكبره بخمسة عشر عاماً ، ومكثت معه خمسة وعشرين عاماً ؛ حتى لحقت بربها : مزودة بدعائه لها ، وحزنه عليها ، وأسفه على فقدها !

وقد بلغت معه سن الشيخوخة ؛ فلم ينقص ذلك من جمالها الذى طبع في قلبه الشريف ، وأشربت به نفسه الكريمة !

فالجمل — في الحقيقة — جمال الروح والنفس ؛ لا جمال الصورة والحس !

فكم من امرأة بالغة الجمال : عدا عليها سوء الخلال ؛ فقبحت منظرها ومخبراً !  
وكم من غيداء وحسنا : تبتس بقدورها دلالة واختيالاً : تبدو لزوجها : أقبح من القبيح ، وأبشع من البشاعة ! لما يفلته لسانها من سوء !

لكن خديجة — رضوان الله تعالى عنها — وقد جعلها مولاها نموذجاً للزوجة الفاضلة الكاملة ، وأضفى عليها من كريم الخصال ، ورائع الخلال : ما سماها فوق كل سمو ، وعلاها فوق كل علو !

فقد ظل — صلوات الله تعالى وسلامه عليه — حافظاً لعهدا وودها ، مقدرآ لها قدرها !

فلم تحدثه نفسه الكريمة بالتزوج عليها ؛ مع قدرته عليه ، ويسر له .

وما كان ذلك إلا لسبب واحد ، أبرزه التاريخ وأوضح معالمه :

فلم تكن خديجة زوجاً له لحسب ؛ بل كانت له أمأ ، وعوناً ، وعضداً ، وسنداً !  
كانت تعلم حقيقته حق العلم : فأوته ، ونصرته ، وأكبرت جهده . وأيدت دعوته ؛ ولم تشغلها المشاغل عن القيام بواجبها حياله !

لقد كانت تشعره دائماً بالحب مع الرضا ؛ وأنه ملء قلبها وعينها ، وأنه المثل الأعلى في كل ما يفعل ، وكل ما يدع !

وكان يكذبه الناس : فتصدقه هي ، وببالغون في تسفيهه ؛ فتبالغ في إكرامه !  
وكلما ازداد عنت المعتنين ، وتكبر المتكبرين : ازدادت برأ به ، وحنواً عليه ،  
وحباً ، وتقديراً له !

وبقدر ما بالغت في إكرامه : بالغ المولى سبحانه في إكرامها : حتى بلغ من علو قدرها ،  
وسمى فضلها : أن نزل جبريل عليه السلام ؛ قائلاً : « يا محمد : أقرى خديجة من ربها السلام ،  
فأى فضل هذا ؟ وأى تكريم اختص بها المولى سبحانه خديجة : الزوج الكريم ،  
للسول الكريم : التي عاشت معه طوال حياتها : فلم تحدش سمعه ، ولا بصره ، ولا فكره :  
بأى شيء — مهما صغر — ولم تخالفه في أمر من الأمور — مهما هانت تلك المخالفة —  
بل كانت تبادر لما يريد ؛ من غير قول ، وإلى ما يرغب ؛ من غير إشارة !

فكانت الطائفة ، الموافقة ؛ التي لا يهمها إلا ما يهمه ، ولا يشغلها إلا ما يشغله ،  
ولا يسرها إلا ما يسره !

ترى مباحج الحياة ومسراتها : في إرضائه ؛ لا في إرضاء نفسها !  
كل هذا : جعل من خديجة رضى الله تعالى عنها : خير زوجة عرفها التاريخ ؛  
السابق واللاحق !

واجب كل زوجة :

وهذا الذى فعلته خديجة هو فى الواقع : واجب كل زوجة مسلمة ؛ ترغب فى رضا  
زوجها ، ومرضاة ربها ! وتربغ أن تحيا حياة سعيدة فى الدنيا والآخرة .

متى يمتنع التعدد :

بعد ذلك : كان لزاماً على الزوج الذى وهبه الله تعالى مثل هذه الزوجة : أن يجتنب  
التعدد — وهو الذى أحله الله تعالى — وإلا كان كافراً بنعمة الحب ، مستهيناً بأنعم الله  
تعالى عليه !

ومن أجل ذلك : منع الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه — تشريعاً لأمته —  
زواج على كرم الله وجهه على فاطمة الزهراء : خير النساء ، وإبنة خير النساء ، وبضعة  
خير الخلق أجمعين !

متى يجوز التعدد :

أما لو انشغلت الزوجة عن زوجها بمتاع الدنيا الزائل ، وزخرفها الباطل ؛ وبشديد

الغيرة عليه : كان عليها أن تستقبل في حياتها ما يشقها ويتعساها ؛ في حدود ما رسمه الإسلام : من نظام لا يتطرق الشك إلى مزيد حكمته ، وعظيم نفعه : وهو التعدد .

والرسول الكريم عليه الصلاة والسلام — بعد موت خديجة ، وبعد هجرته إلى المدينة — تزوج عديداً من فضليات المسلمات : لم تبلغ لإحداهن خديجة : في طباعها معه ، وحبها له ، واستكانتها لأوامره ، وسبقها إلى طاعته : فيما طلب ، وما لم يطلب !

تزوجهن جميعاً : لا لجمال ، ولا لمال ، ولا لجاه ؛ وإنما لأسباب كلها إنسانية واجتماعية ، وبوحي من ربه ، وإلهام منه .

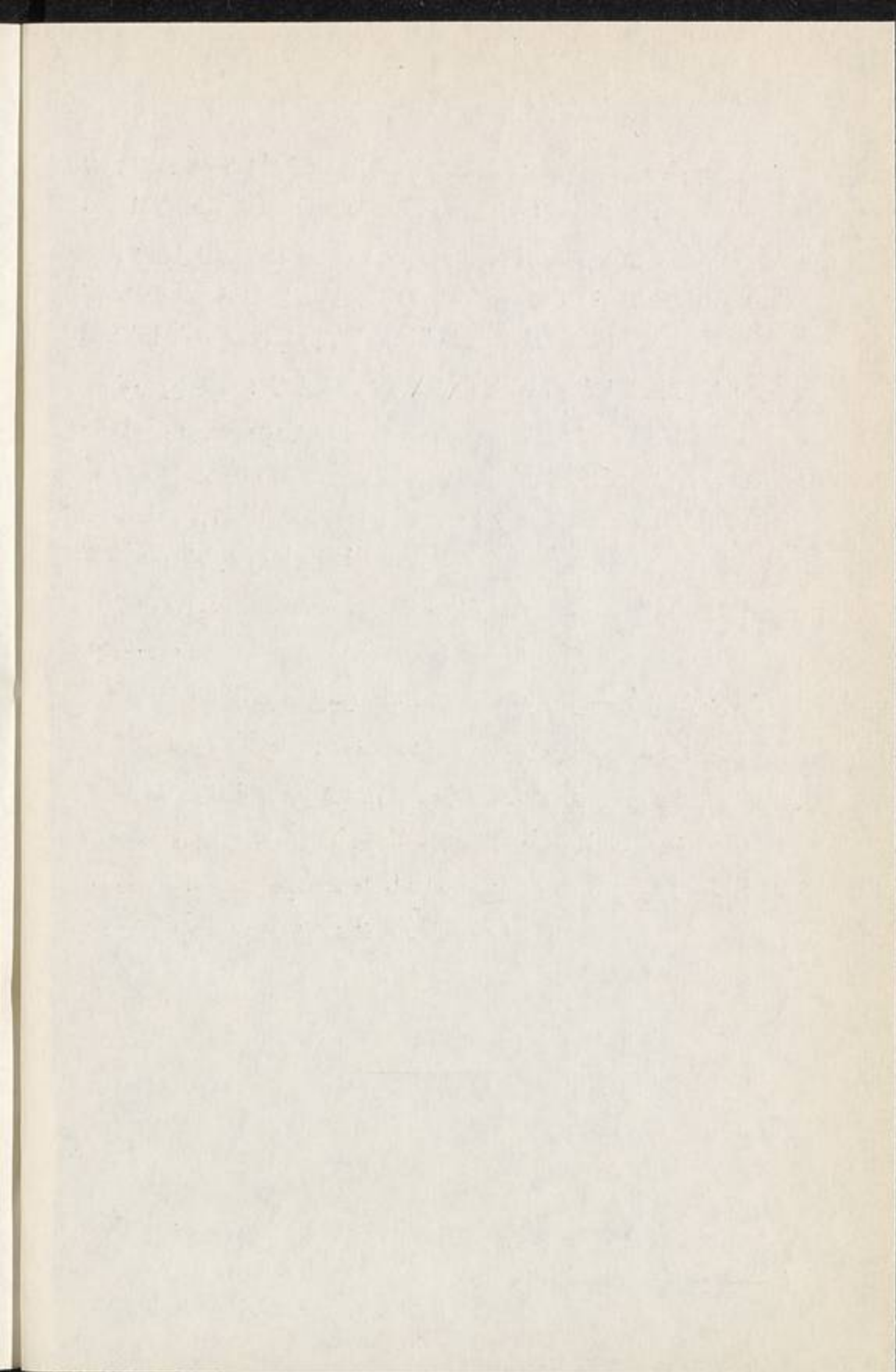
ولم يكن التعدد منه بطراً ، أو سعة في المال — كما يفعل الكثير اليوم — فقد روى عن عائشة رضی الله تعالى عنها ، أنها قالت : « كان يمر علينا الهلال ، ثم الهلال ، ثم الهلال ؛ ثلاثة أهلة في شهرين ؛ وما يوقد في أبيات رسول الله نار للطعام ،

كما روى أيضاً » لقد مات رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ ولم يشبع أهله من خبز الشعير ،

كل هذا حصل في بيوت الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ وهو خير أهل الأرض والسماء ! ولاقي نساؤه الكريمات : شظف العيش ، وهن خير من أنجبت حواء !

كل هذا : والمال موفور لديه ، والنفق يملأ مسجده الشريف ؛ حتى ليضيق به ؛ فلا يقوم من مكانه حتى يوزعه جميعاً ؛ ولا يبقى لنفسه منه : إلا ما يسد الرمق ، ويبقى الحياة !

وكان قوام حياتهن جميعاً — على ما فيها من ضيق — طاعة الزوج ، وعبادة الله ، حتى لقين الله تعالى ؛ وهو عنهن راض ، ولهن مكرم !





## الطلاق

يقول الله تعالى ﴿الطلاق مرتان فإمساك بعروف أو تسريح بإحسان﴾ وقد أراد قوم — غفر الله تعالى لهم — أن يقيدوا الطلاق ، ويجعلوه بيد الحاكم لا بيد الرجل ؛ وهم بهذه القالة يتركون الإسلام ؛ ذلك الدين الكريم السمح ، ويعودون بنا إلى المسيحية التي تلزم الرجل بإمساك زوجته : كارهاً لها ، مبغضاً لعشرتها ، مبتغياً هلاكها للخلاص منها ؛ ومن عجب أن الشرائع التي أخذت بنظام منع الطلاق : تلاقى من ذلك ضيقاً وأى ضيق ؛ وعتناً وأى عنت ؛ ولا يجد متبعو هذه الشرائع متنفساً لما هم فيه ؛ سوى الهم والكبت . فيظل الزوج يمسك زوجته العاهرة على هون ؛ وتظل الزوجة في كنف زوجها الفاجر الباغى على أذى !

فكم من مأس تمس الاعراض والانساب ، وكم من جرائم تهدم الاخلاق والمقدسات ، وكم من فساد يفشو ، وكرامات تهدر !  
فقد يحصل بين الزوجين ما يسمونه فراقاً جسمانياً ؛ وهو أمر تفره الديانات المسيحية وحدها !

وقد قصدت هذه الديانات بذلك : تأديب الزوجة بالهجران لأمد قصير . ولكنه قد يطول حتى ينهى حياة أحد الزوجين ، أو كليهما !

وقد شرعت الديانة الإسلامية ذلك التأديب أيضاً : « واهجروهن في المضاجع ، وهذا الهجر : يعتبر أوسط التأديب — بين الوعظ ، والضرب — ولكن الهجر في الإسلام : لما كان يستتبعه الضرب ، فالطلاق ، فالتزوج بأخرى : كان تأديباً نافعاً ناجماً !

أما في الديانات المسيحية ؛ فلا يعقبه شيء ما ؛ اللهم إلا أن يضرب الزوج رأسه بالحائط ، أو يشرب ماء المحيط إن شاء ! فلا هو بمستطيع تسريحها والزواج من غيرها ، ولا هي بمستطعة التخلص منه ، والتزوج من غيره !

فيلح عليهما داعي الجسد ؛ الذي أودعه الله تعالى في كليهما — بل في كل كائن حي — وحينئذ يدأب الزوجان على التحلل من ذلك الضيق بأبسط الحلول الحيوانية : فليتخذ الزوج خلية مكان الخلية ؛ وليتخذ الزوجة خليلاً مكان الخليل !

وينصبغ هذا الإجراء منهما بصبغة شبه رسمية ، هي بالحلال والمباح أشبه !  
فيصطب الزوج عشيقته في المجتمعات والمنتديات ، والحفلات الرسمية ، وغير الرسمية ،  
وتصطب الزوجة عشيقها أيضاً في مثل هذه الحفلات !

وقد يلتقي الإثنان — أو الغريمان — فلا يقابل أحدهما الآخر إلا بالتحية ، والمودة ،  
والابتسام ؛ وقد تنتج من هذه العلاقات الآئمة ذرية وأبناء ؛ فلا يضيق هذا المجتمع  
الزاني بهم ؛ بل تعترف بها قوانين القوم ، بغير ما تتريب أو لوم !  
وهكذا تنقلب العلاقات التي ربطها الله تعالى برباط محكم وثيق : من الود والرحمة  
والروحانية ؛ إلى علائق آئمة : تعافها أحقر الحيوانات !

وتصبح هذه العلاقات — التي لا تقوم على أى أساس من الدين ، أو الآداب العامة —  
وقد أقرها المجتمع ؛ لأنه يرى فيها أنها نتيجة حتمية ؛ لعلاج حالة اجتماعية !  
هذا وقد سجلت المحاكم الأجنبية فضائح يندى لها الجبين خجلاً ، وتأذى منها الأسماع  
والأبصار ، وهي تجل عن الحصر :

فمن ذلك : أن رفع أحد الأزواج قضية طلاق ضد زوجته التي خانته مع زوجها  
السابق « مطلقها ، خيانة زوجية تستوجب في شريعتنا الحنيفية السمحة : الرجم بصغار  
الأحجار ، حتى تنقطع الأعمار !

وقد اعترفت الزوجة أمام القضاء بتلك الخيانة ؛ غير أن محامها دفع التهمة عنها بأن  
الكنيسة لا تعترف بالطلاق الأول ، وبالتالي فإنها لا تعترف بزواجها الحالي ؛ وبذلك  
تكون الجريمة قد وقعت في ظل سماحة الدين الذي يحرم زواجها من زوجها الحالي ؛  
وبذلك يكون المجرم هو الزوج — المجنى عليه — والبريء هو الجاني بل الزاني !

فلم يسع المحكمة إلا الحكم بالبراءة ؛ ولعل الزاني الآن قد رفع دعوى مدنية ضد  
الزوج يطالبه فيها بتعويض عما ناله من أذى في سمعته الأدبية ، ومكانته الاجتماعية<sup>(١)</sup> !  
وهكذا سامت أخلاق الأمم غير المسلمة ، وانهارت مقوماتها ، واهت مثلها العليا ،  
وانطمست فضائلها ! ولم يجد لهم عليهم الضخم ، وأدبهم الجم ، ومنظرهم الفخم ! ولم يفهم  
ما هم فيه من عيش رغيد ، ونعيم أكيد ! بل صاروا بهذه الأخلاق كالرمم البالية ،  
والذئاب العاوية !

(١) نشر هذا الخبر بمجريدة الجمهورية ، عدد ١٩ فبراير سنة ١٩٥٧ (العدد ١١٥٦) .

ولم يفتنهم سكنى الدور والقصور ، ولبس الملابس الزاهية ، وركوب المراكب الفارحة<sup>(١)</sup> !

وأصبح الأعرابي : العارى الجسم ، الحافى القدم ، وليد الصحراء ، قاطن الكوخ . أصبح يزهو بأخلاقه ، ويتبه بغيرته ، ويستمسك بحميته ، ويعجب بزوجته : التى حفظته فى حضوره وغيبته ! وهو إن أحبها : أمسكها وأكرمها ، وإن كرهها : طلقها ولم يظلمها ! ونظام الطلاق فى الإسلام : هو الواحة التى يستظل بها كل من لفحته سموم الشحاء ، وأحرقه يحوم البغضاء ! فمالنا به وبتقييده ؟ !

وكيف يمسك إنسان إنسانة وهو لها كاره ، ولعيشها قال ؟

ولم لا يسرحها ؛ فتزوج بمن يحبها وتحبه ، ويحرص على راحتها ويحرص على راحته ؟ ألم يقل خالق الإنسان للإنسان : الطلاق مرتان فإمسك بمعروف أو تدرج بإحسان . والطلاق ضرورة اجتماعية : ينادى بها كل من له قلب يفقه به !

فتعالى الله الذى جعل لعباده من كل ضيق فرجا ، ومن كل هم مخرجا ؛ وأعد لخلقه — وهو أدرى بهم من أنفسهم — ما يصلح دنياهم وآخرتهم !

ولإلا فخبرونى بربكم : كيف يكون الحال والمآل ؛ إذا قال الحاكم للزوج : أمسك عليك زوجك . وقال الزوج : لا ، لا . هى طالق ، هى طالق ، هى طالق ! فهل تبين منه كما يقول الله تعالى : فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ، أم يمسكها على هون رغماً عنه ؛ كما أمره الحاكم ؟ !

وقد قال تعالى — بعد ذكر الطلاق — : وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون . . . ولا تتخذوا آيات الله هزواً .

وكيف نعطي القاضى حقاً : منحه الله تعالى للزوج وحده دون غيره ؛ فقد سمى الزوج الذى بيده عقدة النكاح ، فكيف يعطى الحاكم عقدة النكاح ؛ بعد سلبها عن أعظاها الله تعالى له فى محكم كتابه ، وصریح آياته ؟ !

وقد شرع الله تعالى الطلاق لحكمة عالية ، وأغراض سامية ، ومقاصد شريفة : لأنه متنفس الزوجين ؛ إذا ساءت العشرة ، ودامت المضارة ، وتكدر صفو الحياة ، وانقطعت الألفة ، ورتت جبال المودة ، ودب البغض فى قلب كليهما ، واشتد الجدل ، واحتدم الخصام ، وهبت أعاصير الشقاق ، وطلب الوفاق فلا وفاق !

(١) الفارحة من الدواب : الحسن المنظر ، الجيد السير .

وما المخلص للزوجين : إذا كانت طباعهما متنافرة ، وميولها متباينة ، أو كان أحدهما فاسد الخلق ، لثيم الطبع ، سيء العشرة ، بذىء اللسان ؟  
أليس الطلاق : هو الداء الناجع لتلك الآلام ، الشافي من هذه الأسقام ؟  
ولولاه لعم الفساد ، واختل الأمن ، واغتيلت الأرواح ، وفشا الانتحار ، وهجرت الأوطان ، وذاع الفسق والفجور !

وقد جاء عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « أبغض الخلال إلى الله الطلاق ، .  
وجاء عن عمر رضی الله تعالى عنه ؛ أنه قال لرجل طلق امرأته : لم طلقها ؟ قال :  
لا أحبها . فقال : أكل البيوت بنيت على الحب ؟ أين الرعاية والذمم ؟ !  
وقد أوجب الإسلام على الزوج ملاينة زوجته ، وملاطفتها ، وموادعتها ، ومعاشرتها بالمعروف ، وأخذها بالحسنى : حتى تطيب نفسها ، ويطمئن قلبها !

كما دعاه أيضاً إلى الصبر على ما يكره منها ؛ وضمن له الخير الكثير ، والثواب العظيم !  
قال تعالى : « فإن كرهتموهن فمضى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً . .  
فمن اضطر بعد كل هذا إلى ولوج باب الطلاق : فليفعل غير آثم ، ولا باغ ؛ وليتبع حدود الله تعالى « تلك حدود الله فلا تعدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ، .  
ومن يجب : أن تقوم زمرة من مثقفي هذه الأمة فينعون على الطلاق ، بزعمهم أن سائر العقود : لا يصح أن تفسخ من طرف واحد ؛ دون إرادة الطرف الآخر . وهي كلمة حق أريد بها باطل !

إذ أن عقد الزواج انبنى على إرادة الزوجين للزواج ، وعلى أن يكون الزوج وحده بيده عقدة النكاح ، وأن له وحده حرية فسخ العقد .

وهذا كلام لا يقبل الجدل ، ولا يختلف فيه اثنان من ذوى العقول !  
إن أوامر هذا الدين : لا تقبل تأويلاً ولا تحسيناً ؛ فقد أكل الله تعالى لنا ديننا ، وأتم نعمته علينا ، ورضى لنا الإسلام ديناً « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ، فيما الطلاق كما عرفه الله تعالى في دينه الذي ارتضى لنا ، ونظمه رسوله عليه الصلاة والسلام : وإما نصرانية صريحة بأبائها الدين ؛ ولا يقرها المسلمون « فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ، « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، .  
« ينظر قرار المؤتمر الإسلامي في ختام مبحث تحديد النسل ،

# تحديد النسل

## أو تنظيمه

يقول الله تعالى : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ، فهو وحده — جل شأنه — الذي يتولى زيادة المواليد ونقصانها ، وحاجة الكون لها ؛ وقد خلقه وأبدعه ، وأعد له ما يصلحه وينفعه ! » وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ، واختياره وإرادته ! فكم من أنثى لا تلد : مع توافر الأسباب ، والرغبة في الإنجاب . وكم من أخرى تلد فوق ما ولدت ، وتنجب فوق ما أنجبت !

وقد تكون الأولى في سعة ، والأخرى في ضعة ؛ ولكنه تقدير الحكيم العليم : الذي يعلم ما لا نعلم ، ويرى ما لا نرى « وكل شيء عنده بمقدار » .

وإنه لمن الكفر الصراح : أن نعتقد أن الله تعالى الذي لا تحمل أنثى ولا تضع إلا بعلمه . يتركهم — بعد وضعهم — وشأنهم للجوع والضياع « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير » ، وقال جل شأنه : « ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم » ، وقال عز وجل : « ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم » .

والدليل في الآية الأولى : التخلص من الأولاد ؛ لفقر واقع فعلا « من إملاق » ، وفي الآية الثانية ؛ التخلص منهم ؛ لفقر لم يقع ، ولكنه متوقع « خشية إملاق » .

وفي الآيتين : نهى عن القتل — والقتل : ليس بما يدعو إليه القاتلون بتحديد النسل — وقد رد كثير منهم على من يحتج بهاتين الآيتين .

ولكن غاب عنهم أن فيها نهى عن القتل ؛ مع إيراد السبب الدافع إليه . والقتل في ذاته : قد يكون مرغوباً فيه : إذا كان دفاعاً عن العرض أو النفس . فوجب أن ينظر إلى السبب الدافع إليه ؛ وهو خشية الإملاق .

ومن المعلوم أن خشية الإملاق — كما سنبين في هذا المبحث — إنكار لقدرة الله تعالى ، وإظهاره جل شأنه بمظهر العجز عن كفاية ما خلق !

في حين أن من بين عبيده من يتكفل بإطعام بعض مخلوقاته ، ويقوم بكفاله خير قيام .  
وليس من المعقول أن يكون من بين مخلوقات الله تعالى : من هو أقدر من خالقه ،  
وأصدق منه وعداً !

وقد كانوا في الجاهلية يقتلون أولادهم من الفقر ، أو خشية الفقر ؛ وهو كفر لا يعدله  
كفر ! وينطوى تحت جرم قتل الأولاد : جرم هو منه أقبح وأشنع ، وهو جرم الكفر  
بالله ، وعدم الثقة بوعده الحق ، وقوله الصدق !

وقد قام في هذا الزمان أناس ينادون بتحديد النسل : بحجة عدم كفاية المواد الغذائية ،  
والمواد الأولية ؛ لحاجة سكان الكرة الأرضية ؛ الذين هم في ازدياد مستمر .

ولما أعوزهم الدليل ، وضاق بهم السبيل ؛ قالوا : لأنهم لا يعنون تحديد النسل  
— بمنطوقه ومفهومه — بل يعنون تنظيمه ؛ وغاب عنهم أن التنظيم الذي يريدونه ؛  
هو التحديد الذي يعدلون عنه — بل وأشد منه قبحاً ومنكراً — وذلك لأن التنظيم  
— في النسل بالذات — يقتضى سد الحاجة بالمنع أو الإعطاء ؛ فإذا ما اقترضنا جدلاً :  
حاجة الكون إلى التزايد ؛ فهل في مكنة مخلوق أن يتحكم في هذا النقص بالزيادة ؟

والإجابة على هذا السؤال لا تقتضى سوى النفي المطلق !

وهنا لا يكون أمامنا سوى التنظيم بالمنع والنقصان ! وهو التحديد الذي تهربوا منه !  
فإذا ما تمثينا معهم في تحديدهم أو تنظيمهم ، وقلنا : هلم نحدد أو ننظم ؛ وعذتنا من  
الأولاد ما يكفيننا ويرضينا . ولكننا قبل أن نحدد ؛ نريد ضماناً من إنسان قادر على تنفيذ  
ضمانه ! وهذا الضمان لا يعدو : حفظ ما وهبنا الله تعالى واراضينا به وقنعنا به !

فدلوني أيها المحددون المنظمون على هذا الضامن ؛ ولن تجدوه ، بل ولن تتوهموه !  
ولكنه القادر المتعال : هو الذى يحفظ ، وهو الذى يزيد ، وهو الذى ينقص ، وكل  
شيء عنده بمقدار .

وفوق كل ذلك فإن السعى إلى تحديد النسل أو تنظيمه : ما هو إلا مظهر من مظاهر  
معاندة الخالق سبحانه وتعالى ؛ التي أصبحت — في العصر الحديث — ديدناً لمن يدعون  
العلم ؛ وما هم بعالمين !

وكثيراً ما تجمع النفس إلى عناد خالقها فيما يختاره ويقضيه ؛ وتكره كثيراً من أفعاله  
الحكيمة المبرمة ! وتنفر مما رسمه لخليفته ، وشاءه لعباده !

فقد عاندوه في الرزق : فأفقرهم . وعاندوه في العلم : لجأهم . وها هم يعاندونه في القلة : فسكروهم !

ولا أدل على ذلك من إحصائيات المواليد : فإنك لا تدخل أحد مستشفيات الولادة ؛ إلا وتجد السكرتيرة الغالبة من الوالدات قد ولدت توأمين أو ما يزيد !  
وجاءت بذلك الأخبار تترى في شتى البلاد التي قالت بالتحديد أو دعت إليه . حتى بلغ ما تلده المرأة في المرة الواحدة : خمسة توأم !

ولإليك نبأ من هذه الأنباء : فقد نشرت جريدة الأخبار في عددها الصادر في يوم ١٠ يناير عام ١٩٦٨ أن امرأة ولدت أربعة توأم ؛ رغم تناولها حبوب منع الحمل !  
وجاء في جريدة الأهرام في عددها الصادر في ١٩ يناير سنة ١٩٧٣ ما يلي ؛ تحت عنوان :

تلد للمرة التاسعة رغم حبوب منع الحمل

وضعت سيدة استرالية ، في الثلاثين من عمرها : مولودها التاسع ؛ رغم محاولاتها المستميتة لتحديد النسل .

وقد استخدمت في محاولاتها سبعة عشر نوعاً مختلفاً من حبوب منع الحمل . كما أجرت جراحة للعقم .

فثبت من هذا : أن الله تعالى ، بالغ أمره ، وأنه جل شأنه جعل ، لكل شيء قدره ، وهنا تذكرت قول الرؤف الرحيم ، ذى القلب السليم ؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة : إلا وهي كائنة ، !

وقد ثبت أن حبوب منع الحمل هذه : ضارة متلفة ؛ فما أجدرنا بالإيمان بالله والرجوع إليه ، والتسليم لما أراده بعباده . وقدره لهم !

هذا وقد أذاعت وكالات الأنباء رأى طبيب من كبار أطباء إنجلترا في حبوب منع الحمل وأضرارها البالغة . وأن في إحدى المستشفيات بلندن ٢٧٥ سيدة مصابات بتجلط في الشرايين ؛ نتيجة لتناولهن حبوب منع الحمل .

كما صرح طبيب مصري ، من كبار أطباء الولادة ، الدكتور إبراهيم مجدى ، ،  
صرح بالأضرار المترتبة عن تعاطي حبوب منع الحمل ، وأنها تسببت في التأثير على الغدة النخامية ، والغدة الدرقية ، والغدة فوق الكلوية .

وهذه الغدد لها أثر فعال في تنظيم نمو الطفل وتنظيم التحام العظام .

وأن تعاطى هذه الحبوب : مجازفة بحياة النساء ١

وأن من الواجب الامتناع عن تعاطى حبوب منع الحمل بكافة أنواعها ؛ حتى لا تقع في مضاعفاتها في المستقبل .

وأن من أضرار هذه الحبوب التي ثبتت فعلا :

١ - أضرار بالغة في الجهاز الهضمي ، وغثيان ، وعسر هضم ، وقيء .

٢ - اختلال في وظيفة الطمث ، ونزف في مدة الحيض ، وانقطاعه لمدة طويلة .

٣ - ظهور شعر حول الذقن ١

٤ - تزيد نسبة الشحم في الجسم ، وتسبب سممة مفرطة .

٥ - اختلال في تفاعل الأملاح في الجسم ؛ مما يحدث عنه احتباس ورشح مائي في الجسم .

٦ - تسبب في تشويه الأطفال الذين يولدون (١) .

وهذا في الواقع قل من كثير . فهل بعد ذلك ننادى ونلح بوجود تعميم تعاطى هذه الحبوب الفتاكة : خشية حدوث انفجار سكاني ، تعقبه مجاعة ؟

والقول بما يقولونه هو لإحدى الكبر ؛ إذ كيف نقحم أنفسنا في أمور ليس لنا عليها سلطان ، وما لنا بها طاقة ، ولا يحيط بها علم . أليس الله معنا ، يسمعنا ويرانا . ويعلم سرنا ونجوانا ، ومتقبلنا ومشوانا ؟

أليس هو الذى يرزق الطير في وكناتها ، والوحش في فلواتها ؛ فتغدوا خماساً وتروح بطاناً ؟

أليس الله تعالى هو القائل : وخلق كل شيء فقدره تقديراً ، وهو جل شأنه القائل : وبارك فيها وقدر فيها أقواتها ، .

هل بعد هذا القول - الصادر من يملك الخلق والتقدير ، والإبقاء ، والإفناء - يجوز لمخلوق حقير - لا يملك قوت يومه ، بل لا يملك من قطمير - هل يجوز لمخلوق عاجز

(١) من حديث صحفى نشرته الجرائد فى حينه .



أن يجابه مولاه الغنى القوى ؛ ويقول له : لقد أسأت التقدير ، وأخطأت التدبير ؛ فلم تعد  
الاقوات التى أخرجتها : كافية للناس التى خلقتها !  
وهو تعالت قدرته القائل : « وما كنا عن الخلق غافلين ، .

وهل يجوز إذا قال أحد ملوك العصر : لقد دبرت لشعبى قوته ، وأمنته غائلة  
الجوع والعوز .

هل يستطيع أن يقوم فى وجهه أحد رعاياه : فيجابهه بالمخالفة : ويسفه رأيه ، ويطمن  
فى تنظيمه ؟

فإذا كان هذا لا يجوز ؛ مع تيقن خطأ الملك وفساد تدبيره ؛ فكيف يجوز أن يجابهه  
بقولنا هذا الحكيم العليم ، القوى الغنى ، خالق المخلوقات ، ومخرج الاقوات ، ومبدع  
الكائنات ، ومدبر الارض والسموات ؟

ومن العجيب أنهم يقولون : إن العالم عرضة لانفجار سكانى عنيف . يجأرون بهذا  
القول أما قد تقدمتنا فى الحضارة . ولكن هذه الامم قالت ما قالت : كفراً ؛ لاحتياجاً .  
بدليل أن أغلب هذه الامم تجرد بفائض محصولاتها على الامم المتخلفة ، وتلجأ فى كثير  
من الاحيان إلى إلقاء بعض محاصيلها فى البحار .

وأين الانفجار السكانى المزعوم ، وما هى أرض الله واسعة : لم يعمر المعمرون منها  
معشارها .

وكيف يجوز لنا أن ندارى عجزنا وجهلنا : بهذه الحجة الواهنة الواهية !

وهل الانفجار السكانى المتوقع : سيكون فى غفلة من الله تعالى !

تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ، !  
وهذه الامم نفسها حين تقول بتحديد النسل : تحاول إيجاد نسل عن طريق أنابيب  
الاختبار ؛ زاعمين أنهم سيتحكمون فى هيئة الجنين وفى صفاته وأخلاقه ؛ بمعنى أنهم  
سيتفوقون بما يصنعونه عما صنعه الله !

وثالثة الاثافي ، وداهية الدواهي ؛ أن يقوم وزير مسئول ؛ فينادى بتعقيم الرجال للحد  
من النسل !

والتعقيم هذا : هو بالخصاء أشبه . وهو رغم أنه تغيير لخلق الله : ملعون من يأتبه ،  
أو يأمر به ؛ بنص الحديث الشريف .

وهو بدعوته هذه : يتابع إحدى الدول المتأخرة ؛ غير الإسلامية ؛ وقد عمقت خمسة ملايين من شعبها ، وهي في سبيل تعقيم عشرات الملايين من شعبها البائس ؛ الذي أهلكته الكوليرا والطواعين ؛ وهو لا يزال يرزح في موجبات المرض والهلاك ؛ لعدم تقدم حاكميه !

وهذه النزعة : إن صح أن تفشو في البلاد الغربية — التي تميزت بالإلحاد والمادية — فلا يجوز بحال أن تفشو وأن تشيع في البلاد الإسلامية — التي تميزت بالإيمان والروحانية —

وهل يجوز أن تؤمن بأن الله هو « الخلاق » ، ولا تؤمن بأنه تعالى هو « الرزاق » ؟  
ويقول جل شأنه في معرض الامتنان والإحسان : « واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثركم ،  
فإن لنا من ذلك : أن القلة ذلة . والكثرة عزة !

فكيف نستبدل العزة بالذلة ، والكثرة بالقلة ؟ !

ويقول الله تعالى « وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ،  
فنقول : دعونا من الحفدة والبنين ؛ فلسنا لهم بمطيقين !

ويقول أيضاً « وجعلنا لكم فيها معاش ومن لستم له برازقين » ، فنقول : وأين هذه المعاش ؟ وأين هذا الرزق ؟

قال الله تعالى « الله الذي خلقكم ثم رزقكم » ، فأتبع الخلق بالرزق !

وقال أيضاً « نحن نرزقهم وإياكم ... نحن نرزقكم وإياهم ... كلوا واشربوا من رزق الله ... إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين » .

فإذا ما استمعنا إلى هذه الآيات البينات ؛ قلنا بلسان الحال والمقال : أين الرزق ، وأين الرزاق ؟ لقد كسد الحال ، وكثر العيال !

فإذا ما استمع مؤمن إلى هذا الهراء ؛ الذي هو أشبه بالكفر ، بل هو والكفر سواء !  
قال : « إنا لله وإنا إليه راجعون » ، لقد حق علينا الهوان ، وبؤنا بالخسران !

والقول الفصل في هذا : ما أشار إليه الذكر الحكيم بقوله « أفرأيتم ما تمنون ؟ أنتم تخلقونه أم نحن الخالقون » ؟

وأعقب ذلك بقوله « أفرأيتم ما تحرثون ؟ أنتم تزرعونه أم نحن الزارعون » ؟

وأعقبه أيضاً بقوله : « أفرأيتم الماء الذي تشربون ؟ أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن

المنزلون » ؟

كل هذا يقوله الخالق الرازق ، الحكيم العليم ؛ فما يزيدنا إلا كفرأ وعناداً : من أين نرزق ؟ من أين نأكل ؟ من أين نطعم أبناءنا وحفدتنا ؟

وهذا نزع من الشيطان ؛ نعوذ بالله تعالى منه ، الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلاً ، ١

لقد تكفل الله بأرزاقنا ورزق أبنائنا وحفدتنا ودوابنا ، وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها . . . وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم .

ولله در الخليل بن أحمد حيث يقول :

إن الذى شق فى ضامن للرزق حتى يتوفانى

وقال آخر :

وما مجاهدة الإنسان موصلة رزقاً ، ولا دعة الإنسان تقطعه !  
قد وزع الله بين الناس رزقهم لم يخلق الله من خلق يضعيه !  
وهل يملك الإنسان رزق نفسه : إذا حدد النسل ، أو منع النسل منعاً باتاً ؟ ، إن الله لذو فضل على الناس ، ولكن أكثر الناس لا يشكرون .

وماذا يكون الحال ونحن فى عهد القذابل الذرية والهيدر وجينية التى تطيح إحداها بمئات الألوف من البشر ؟ بل ويزعمون أنها ستنتهى العالم فى لحظة ، سواء ما يحكمون ، ماذا يكون حال الأمم التى حرمت التعدد ، وحددت النسل ؟

وما هى الأمم التى اكنوت بغار الحرب تشكو كثرة النساء ، وقلة الرجال والعيال .  
و ضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون . . . إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون .

وقال تعالى : « ألم نخلقكم من ماء مهين ، فجعلناه فى قرار مكين ، إلى قدر معلوم ، فقدرنا فنعم القادرون ، ويل يومئذ للكذابين . »

وما دعا إلى هذه النزعة : سوى الجحود والكنود ، وسوء الظن بالله تعالى ، وتوهم أن أبواب فضل الله قد أغلقت ، وحاشاها أن تغلق فى وجه مؤمن أو كافر ، طائع أو فاجر !  
وقد جاء عن رسول الإسلام ؛ عليه أفضل الصلاة وأتم السلام ؛ حين سئل عن العزل :  
« إنه الواد الحقى . »

وحين سأله بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ وقد عزلوا مع بعض السبايا (١) : غضب غضباً شديداً ؛ وقال : « وإنكم لتفعلون ، وإنكم لتفعلون ، وإنكم لتفعلون ؟ ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة : إلا هي كائنة ، وفي رواية : « لا تفعلوا فإنما هو القدر » (٢) .

هذا وقد وردت بعض أحاديث تؤيد جواز العزل ، وأن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه لم ينه عنه . وهي أحاديث يجب تأويلها لمعارضتها لما قدمناه من الأحاديث الصحيحة ، وإذا لم تقول : فيكون لها مقاصد أخرى سامية ؛ ليس من بينها تحديد النسل ؛ وكيف يكون في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام ما يدعو إلى تحديد النسل ؟ وهم حينذاك قلّة ؛ تنوشهم الأعداء من كل جانب ؟

كيف يدعو إلى العزل من يقول بصريح القول ؛ في شقّ الأحاديث « تزوجوا الودود الولود ؛ فإنّ مكأثر بكم » « تناكحوا تناسلوا تكثروا ؛ فإنّ مباء بكم الأمم يوم القيامة » . كيف نرغب عن سنة الرسول — في الكثرة وهي عزة — وندعو إلى القلة ؛ وهي ذلة ؟ وإذا كان مناط بحثها : خشية الكثرة في النسل للفاقة ؛ فإنه فوق ما قدمنا ونقدم من فساد ذلك الرأي ؛ فكم قد رأينا لإنساناً لم يرزق من زينة الحياة الدنيا سوى ولد واحد ؛ وهو — مع فيض رزقه ، وسعة عيشه — لم يستطع أن يتمّ تعليم هذا الولد الواحد ، أو يتمّ تثقيفه وتهذيبه !

وبعد ذلك يتركه عائلة على المجتمع : جاهلاً ، خاملاً عاجزاً .  
وكم قد رأينا رجلاً — تحيط به الفاقة ، ويحتاجه الفقر المدقع — وقد وهبه الله تعالى من البنين والبنات عشرات ؛ فإذا بهم بمعونة من الله : زينة كل مجتمع ، وبهجة كل محفل : علماً ، وأدباً ، وفضلاً ، وتبلاً !

والذي قلناه : هو الواقع الثابت ، الذي يحس به كل من حدد ، ومن لم يحدد ، ومن قال بالتحديد ، أو لم يقل به .

هذا وقد أورد الغزالي — رضى الله تعالى عنه — في كتابه الإحياء : ما فهم منه بعضهم جواز العزل ؛ وبالتالي جواز التحديد . وهو فهم خاطئ ؛ كما سترى :

(١) ولا يخفى أن السبايا : ليس هنّ ما لازوجات الحرائر من الحقوق .

(٢) رواه الإمام مسلم في صحيحه : صفحة ٤٠ ، من جزء ١٠ طبع المطبعة المصرية .

قال الغزالي : ومن الآداب ألا يعزل ؛ بل لا يسرح إلا إلى محل الحرث ، وهو الرحم ، وفسا من نسمة قدر الله كونها : ألا وهي كائنة ، هكذا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم .

قال صلى الله تعالى عليه وسلم : إن الرجل ليجامع أهله ؛ فيكتب له بجماعه : أجر ولد ذكر ؛ قاتل في سبيل الله فقتل .

وأشار الغزالي إلى أن ترك النكاح أصلاً ، أو ترك الجماع بعد النكاح ، أو ترك الإنزال بعد الإيلاج : ترك للأفضل ، ولو أنه لم يصل إلى حد التحريم . لأنه لم يبلغ بعد حد جنابة الإجهاض والوآد ؛ لأنها جنابة على موجود حاصل .

وأول مراتب الوجود : وقوع النطفة في الرحم ، واختلاطها بماء المرأة ، واستعدادها لقبول الحياة .

وأن لإفساد ذلك : جنابة قطعاً ، فإذا صارت النطفة علققة ومضغة : كانت الجنابة أخش ، فإذا نفخ فيها الروح ؛ واستوت الحلقة : ازدادت الجنابة تفاحشاً !

وجميع ما تقدم : لا يتم إلا بترتيب ، وتنظيم ، وتقدير إلهي ؛ يسير وفقاً لحاجة الكون المساسة إليه ؛ فليس لسكان من كان أن يقول : إن حاجة الكون قبل الآن كانت ماسة ، والآن غير ماسة ، بل يجب على الكل التسليم بأن الحكمة فيما تم ، والخير فيما كان !

وإذا لم يكن طلب التحديد مكروهاً من حيث إنه دفع لوجود الولد ؛ فلا شك أنه مكروه مردول : للنية الباعثة عليه !

إذ لا يبعث عليه إلا نية فاسدة ؛ تشوبها من كل جانب شوائب الشرك الخفي !

وكل ما قاله الغزالي في هذا الباب لا يؤدي إلى ما ذهب إليه المقفرون عليه .

بل قصر قوله على أن أسباب العزل خمسة :

١ — في السراري — ٢ — استبقاء جمال المرأة — ٣ — الخوف من كثرة الحرج ؛ بسبب كثرة الأولاد ، والاحتراز من الحاجة إلى التعب في الكسب .

وعقب الغزالي على هذا السبب الأخير بقوله :

نعم إن الكمال والفضل : في التوكل من الثقة بضمان الله تعالى ؛ حيث قال : وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، ولا جرم : فيه سقوط عن ذروة الكمال ، وترك الأفضل .

ولكن النظر في العواقب ، وحفظ المال وادخاره — مع كونه مناقضاً للتوكل — لا نقول : إنه منهي عنه .

والغزالي بقوله هذا : يعترف اعترافاً صريحاً : بأن هذا العمل مناقض للتوكل .

ومق كان العمل مناقضاً للتوكل : فهو حرام قطعاً !

قال تعالى : « ومن يتوكل على الله فهو حسبه ، أى كافيه .

فمن أعرض عن التوكل : فقد تخلى عن كفاية الله تعالى له !

وقال جل شأنه : « إن الله يحب المتوكلين » ، ومق كان الله تعالى يحب المتوكلين ؛ فإنه يكره من عداهم .

ومن ترك التوكل : فقد فارق حب الله تعالى له !

وقال عز من قائل : « وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين . . . إن كنتم آمتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » .

فظهر لنا أن عدم التوكل : قرين عدم الإيمان بالله !

وذكر الغزالي في السبب الرابع : الخوف من الأولاد الإناث ؛ لما يعتقد في تزويجهن من المرأة . وقد ذم الغزالي هذا السبب .

وقد ذكر في السبب الخامس : امتناع المرأة لتعززها ، ومبالغتها في النظافة ، والتحرز من الطلق والنفاس ، والرضاع .

وذم الغزالي ذلك . وقال : إنه كان من عادة نساء الخوارج . وأنها نية فاسدة تخالف السنة !

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم : « من ترك النكاح مخافة العيال ؛ فليس منا ( ثلاثاً ) » .

« انتهى قول الغزالي »

ومن أعجب العجب : أن يتصدى بعض العلماء لهذه المسألة ، ويؤلفون فيها كتباً تحمل الخطأ المزرى ، والجهل المردى ! ويناقشون فيها عن هذه الأفكار الفاسدة السكاسدة ، وهم بما يكتبون : لم يريدوا وجه الله ؛ بل هو ضرب من ضروب النفاق . عافانا الله بمنه عن ارتكابه ، أو الأخذ في أسبابه !

وقد قلت في التحديد أو التنظيم :

يقولون : تحديد : فقلنا خرافة  
فقالوه : تنظيم . فقلنا : سفاهة  
فقالوا بأن الرب : قد شح رزقه !  
وأين عناقيد الكروم ؛ التي لها  
وأين جنات الزيت ؛ يشقى قلوبكم ؟  
جنيتم على الدنيا بباطل زعمكم  
فعودوا إلى المولى : يهود عليكم  
وتؤتيتكم جناته : كل معجب  
فياويلكم : ماذا دهاكم ، وما الذي  
تعاودون رباً قادراً ، ومهيماً !  
كفرتم برزق الله ؛ هل ترزقوننا ؟  
وهل تخلقون الزرع ، أو تنبتونه  
وهل توقدون النار ، أو تصنعونها  
فروحوا ؛ كما راح الدجى بظلامه  
لقد قلتم قول اليهود : إلهنا  
إذا قيل : هذى جنة الخلد فادخلوا

وكيف نحد الخير يأتي به الرب (١) ١٩  
وكيف يكون البغض : مبعثه الحب (٢) ١٩  
فياويلكم : أين المطاعم والشرب ١٩  
جمال؟ وأين النخل ، والتين والقضب (٣) ١٩  
وياويلكم : أين الفواكه والآب (٤) ١٩  
فشح كما قلتم ، وزاد بنا السكراب  
وياؤتيتكم الرمان ، والتمر ، والحب  
من الرزق : قد جادت به الشمس والسحب  
تريدون من شعب أحاط به الرعب  
فخر بكم سلم ، وسلمكم حرب  
إذا أمحلت أرض ، وإن قصرت سحب  
إذا ما تحلى عنكم الأكل والشرب  
إذا ما خبت نار الكريم ؛ ولن تحبوا  
فقر بكم بعد ، وبمدمكم قرب  
فقير ؛ ونحن الأغنياء ، قبح الذنب (٥) ١٩  
أبيتم ؛ وإن قيل : الجحيم ؛ فلن تأبوا ١٩

ومن أعجب العجب ؛ أن أجهزة الإعلام في مصر : تديع تباعاً وجوب تحديد النفس ؛  
وقد ساقوا دليلاً لذلك أن المعركة التي نحن فيها : تحتاج لهذا النظام ؛

فانظر معي وتعجب بما يقول :

المعركة التي تحتاج إلى الرجال : في حاجة إلى نقصان هؤلاء الرجال  
ولن أزيد على ذلك .

(١) من نافلة القول ؛ أن قول : إن الكثرة خير ، والقلة شر ! فقد أوجحنا ذلك بهذا المبعث  
بما لا يدع زيادة لمستزيد .

(٢) كما أن الحب : لا يبعث على البغض ؛ كذلك البغض : لا يبعث على الحب !

(٣) القضب : جمع قضبة ؛ وهي الرطبة ؛ وهو كل ما اقتضب - انقطع - فأكل طرياً . وهو أيضاً :  
ما يسقط من أعلى العيدان ؛ لتنام نضجه .

(٤) الآب : مرعى الدواب ؛ من أبه ؛ إذا أمه ؛ أى قصده .

(٥) قال تعالى « لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء » وذلك قول اليهود ؛ فاتلهم الله !

يقول المولى : الخالق ، البصير ، الخبير : « واذكروا إذ كنتم قليلا فكثركم ،  
ونحن نقول : واذكروا إذ كنتم كثيراً فقللكم .

أغيثونا يا ذوى العقول والألباب ؛ فقد جاب القوم الصواب ، وأبوا الاستماع إلى نصح  
البارى الوهاب !

فيا بؤس من ينحرف عن نصح ربه ، ويتبع نصح شيطانه !

هذا شأننا في زمن الحرب والقتال ، والتعرض لنقصان الرجال !

أما عدونا العنيد اللدود : فيتمسول الرجال من شتى المسالك والأقطار ؛ ليستطيع  
الوقوف أمام هذا الجيش الجرار ؛ الذى وهبنا إياه المولى سبحانه : نعمة ؛ فحسبناه نعمة !  
ونحاول جاهدين صرفها عنا ، وحرماننا منها !

ومن ضمن ما قالوه في هذه الحملة التليفزيونية : قول الله تعالى « إنا كل شيء خلقناه بقدر »  
لذا يلزمنا أن نحدد النسل ونقدر الأبناء أيضاً .

وكانهم فهموا من تقدير المولى سبحانه : أنه أخطأ التقدير ؛ فلا حول ولا قوة إلا بالله !  
هذا : ويقول الحق سبحانه وتعالى : « يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور  
أو يزوجهم ذكراً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً » ومن المعلوم أن الهبة لا تكون  
إلا في الخير المحض ؛ فلا يجوز أن يقال : وهبه الله تعالى داهية ، أو أنعم عليه برزية !  
بل كل ما ساقه الله تعالى في كتابه الكريم بمعنى الهبة : هو خير محض ، وسعادة بينة :  
« الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحق . . . ووهبنا له إسحق ويعقوب . . .  
وهبنا له من رحمتنا . . . ووهبنا له يحيى . . . لأهب لك غلاماً زكياً . . . رب هب لى  
من لدنك ذرية طيبة . . . ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين . . . وهب لنا  
من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب . . . »

أما الجمل : فقد يكون خيراً ، وقد يكون شراً ؛ فمثال الخير قوله تعالى : « وهو الذى  
جعلكم خلائف الأرض . . . وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحدكم من العالمين . . . جعلنا  
الأنهار تجري من تحته . . . وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس . . . »

ومثال الشر قوله جل شأنه : « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة . . . فجعلهم  
كعصف ما كول . . . »

فقوله تعالى : « ويجعل من يشاء عقيماً » يقتضى الشر المحض ؛ إذ لا يوجد إنسان



يستكمل سداده وعقله : يتمنى أن يكون عقياً مقطوع العقب ! اللهم إلا إن كان من أنصار التحديد !

فكيف نحاول جاهدين — بإرادتنا المحضة — أن نمنع هبة الله تعالى لعباده ، أو أن نوقفها ونحد من نموها ؛ وقد أحاطها المولى الكريم الحكيم بسياج منيع يحد من نقصها أو فشلها . قال جل من خالق ، وعز من رازق : « أفرأيتم ما تمنون أن تتم تخلقونه أم نحن الخالقون ، وقد ثبت علينا : أن عدد الجرائم المنزوية — التي يتسكون منها الجنين — يبلغ مئات الملايين ؛ في حين أن الجنين يتولد من واحدة ليس غير من هذه الجرائم ! فانظر يا رعاك الله وهداك ، إلى حكمة مولاك وتدبيره في إيجاد الكائنات !

ونحن الآن في عصر العلم — الذي يزعمون أنه أزهى العصور — نريد بجهلنا وحمقنا أن نهدم ما بناه الله تعالى من تدبير الكائنات والمخلوقات ؛ وهيات هيات ، أن نحارب جبار الأرض والسماوات !

فيا أيها الناس : اتقوا ربكم الذي خلقكم ، وتكفل بأرزاقكم ، ولا تقحموا أنفسكم فيما ليس لكم به علم ، وادعوا الله تعالى : ألا يكل أحدكم إلى نفسه فهلك ، واذكروه كما هداكم ورزقكم من الطيبات ، وفضلكم على العالمين !

ولا تفيضوا في هذا الحديث « ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ، إذ تلقونه بالسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم ، !

وتذكروا قول الحكيم العليم ، الرؤف الرحيم « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ، !  
ونريد أن نهمس في آذان من يقولون بالتحديد : أن ما يبعثه الله تعالى من نسل ؛ لم يكن مستهلكاً فحسب ؛ بل هو منتج قبل أن يكون مستهلكاً !

ولكن قلة الكياسة ، وسوء السياسة : حدث بكم إلى الدعوة لما تدعون إليه !  
وسنختم هذا المبحث بما بدأناه به : من قول الباري المصور ، الحكيم العليم : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار ، وقوله جل شأنه « وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعله ، .

فإذا كان المولى جل شأنه يعلم — علم لإنشاء وإرادة — ما تحمله كل أنثى في أرحامها ،

وما تنقصه تلك الأرحام بما تحمله : بسقوط الأجنة ، وما تزيده : من تعدد الأجنة في الرحم الواحد ؛ بولادة واحدة « التوائم » .

وجميع ذلك : مقدر بمقدار معلوم لديه ؛ تقتضيه الضرورة ، وتستلزمه الحاجة والمصلحة وعلمه جل شأنه — كما لا يخفى — سابق لأمره !

إذا كان ذلك كذلك : فمن أعلم من الله ؟ ومن أخبر منه بحاجة مخلوقاته وكائناته ؟ !

والقول بتحديد النسل : هو منتهى سوء الظن بالله ، واليأس من قدرته وعدالته !

### قرار المؤتمر الإسلامي

هذا وقد كلفنا مؤتمر « مجمع البحوث الإسلامية » المنعقد في القاهرة عام ١٩٦٥ والذي جمع أكثر من مائتي عالم من مختلف الدول ، والذين يمثلون شتى المذاهب والطوائف الإسلامية : كلفنا مؤنة الدفاع عن هذه العقائد « تعدد الزواج . حرية الطلاق . تحديد النسل » التي تعتبر جميعها — كما بينا — من صميم الدين ، ومن صلب العقيدة الإسلامية ! فنذاعها بنجم ؛ من تضييقها وتحديدتها : من أضرار اجتماعية ! فقد كلفنا مؤنة الدفاع عنها ؛ وقد دافع الله تعالى عنها في محكم كتابه ، ودافع عن المدافعين عنها ؛ لا تصافهم بالإيمان : « إن الله يدافع عن الذين آمنوا » .

وقد كان قرار المؤتمر كافياً شافياً ، لم يدع كلمة لقائل ، أو مغمزاً لغامر !

وهاكم نص هذا القرار السليم ، الحكيم ؛ بعنوان « شئون الأسرة والشباب » :

أولاً — بشأن تعدد الزوجات :

يقرر المؤتمر أن « تعدد الزوجات » مباح بصريح نصوص القرآن الكريم ؛ بالقيود الواردة فيه ، وأن ممارسة هذا الحق : متروكة إلى تقدير الزوج ، ولا يحتاج في ذلك إلى إذن القاضي .

ثانياً — بشأن الطلاق :

يقرر المؤتمر أن « الطلاق » مباح في حدود ما جاءت به الشريعة الإسلامية ، وأن طلاق الزوج يقع دون حاجة إلى إذن القاضي .

ثالثاً — بشأن تحديد النسل :

يقرر المؤتمر ما يلي :

١ — أن الإسلام رغب في زيادة النسل وتكثيره ؛ لأن كثرة النسل : تقوى الأمة الإسلامية : اجتماعياً ، واقتصادياً ، وحرابياً ، وتزيدها عزة ومنعة .

٢ — إذا كانت هناك ضرورة شخصية تحتم تنظيم النسل : فللزوجة أن يتصرفا طبقاً لما تقتضيه الضرورة ؛ وتقدير هذه الضرورة متروك لضمير الفرد ودينه (١) .

٣ — لا يصح شرعاً وضع قوانين تجبر الناس على تحديد النسل بأى وجه من الوجوه !

٤ — أن الإجهاض بقصد تحديد النسل ، أو استعمال الوسائل التي تؤدي إلى العقم لهذا الغرض : أمر لا يجوز ممارسته شرعاً للزوجين ، أو لغيرهما (٢) .

ويوصى المؤتمر بتوعية المواطنين ، وتقديم المعونة لهم في كل ما سبق تقريره بصدد تنظيم النسل .

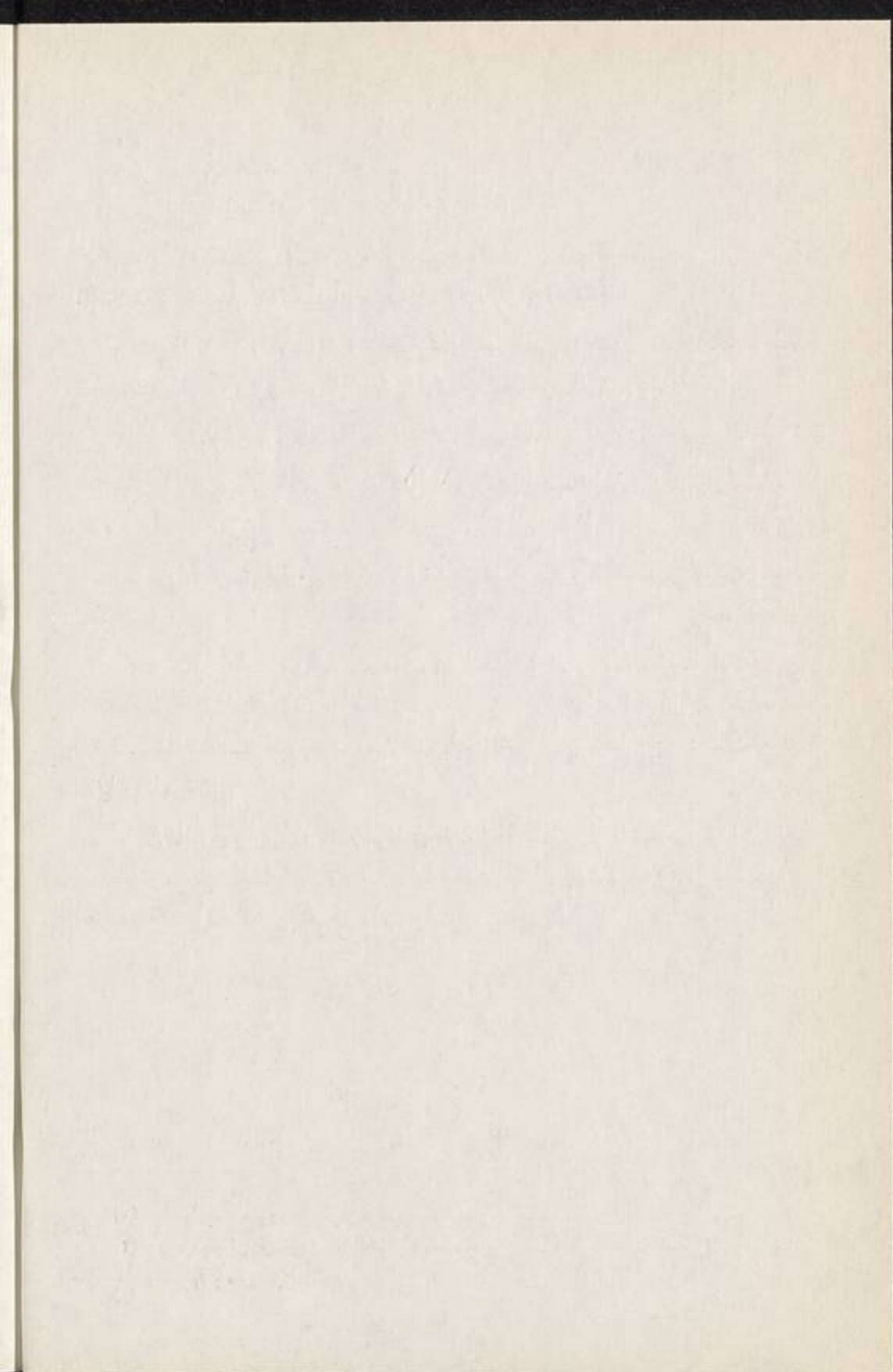
والذي نريد أن نسجله في هذه الكلمة : أن الفضل كل الفضل للسادة العلماء القادمين من شتى الأقطار الإسلامية ؛ فقد راعوا دينهم وربهم ، ولم يخرجوا في آرائهم عما حددته الملة السمحاء ؛ فاستوجبوا رضا أمتهم — خير الأمم — ورضاء ربهم : مالك خيرى الدنيا والآخرة !

أما من نافق في رأيه ، أو اتبع هوى في نفسه : فلا يسعني إلا ما وسع عيسى ابن مريم — عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام — حيث قال : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وأن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم » .

(١) وقد أريد بالضرورة : المرض الذى يضر الحامل في بدنها .

(٢) أريد بالوسائل التي تؤدي إلى العقم : ما يصنعونه من حبوب طيبة مانعة للحمل ؛ وقد ثبت

ضررها ، وتكفها بأناس كثيرين .



## التبرج والسفور

يقول الله تعالى ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين<sup>(١)</sup> عليهن من جلابيبهن<sup>(٢)</sup>﴾ ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً<sup>(٣)</sup> .

وهو أمر صريح لسائر نساء المؤمنين وبناتهم بإرخاء الجلابيب ليستر سائر الجسم حتى لا تعرف المرأة : من هي ؟ وما شكلها ؟ وما هيئتها ؟ وليفرق ذلك الستر بينها وبين الإماء ، وليبتعد عن إذايتها المرتاب ، ومن في قلبه مرض !

والمراد أيضاً في هذه الآية : إدناء الجلابيب والخمار ؛ وهو من باب ذكر البعض وإرادة الكل ؛ وإلا فالجلباب بغير خمار لا يمنع من التعرف بالمرأة ؛ إذ أن وجهها ينم عليها : يؤيد هذا المعنى قوله عز من قائل ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن<sup>(٤)</sup>﴾ .

ويقول الله تعالى أيضاً ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم<sup>(٥)</sup>﴾ وكيف يتوفر غض البصر ؛ وقد انتشرت النساء في الطرقات والمتدييات ؛ كاسيات عاريات ؛ لا يحجبهن عن الأنظار سوى غلالة من هواء ؛ تزيد في فتنتهن ، والإغراء بهن ؛ وكما أن تحريم الخمر : لا يبيح صنعها ، فكذلك تحريم النظر لا يبيح الحث عليه ، والتشويق إليه . وكيف يغض البصر غاض ؛ وقد امتلأت الطرق والحوانيت بالكاشفات عن النجور ، والشدى والصدور ؛ اللهم إلا إذا أغمض عينيه ، وأسلم نفسه وروحه للمتادير ؛ فتتلقفه الأحداث ، ويحيط به الموت وأسبابه من كل جانب ؛ وهذا أمر يخرج عن حد التكليف المعقول المقبول ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾ .

ولائم ذلك لا يقع على هؤلاء السافرات المتبرجات وحدهن ؛ وإنما لائم واقع على أشباه الرجال الذين يكفلونهن ، ويدبرون هذه الفتنة وهذا الفجور !

(١) « يدنين » أي يرخين . يقال : أدنيت الست ؛ إذا أرخته .

(٢) الجلابيب : ثوب يستر جميع البدن ، وقيل هو القناع .

(٣) آية ٥٩ من سورة الأحزاب .

(٤) آية ٣١ من سورة النور . و « الخمار » غطاء الرأس . و « الجيب » فتحة الثوب مما يلي العنق .

(٥) آية ٣٠ من سورة النور .

وليس معنى هذا أننا نبيح للرجال النظر للأجنبيات ، ما دمن سافرات ؛ بل إن غض  
البصر من أزم اللوازم ، وأفرض الفرائض ؛ بل هو في مقدمة الحلال الكاملة ، والأخلاق  
الفاضلة ؛ وكيف يسلم الإنسان الكامل نفسه للشيطان ، ويدع بصره يرديه في العصيان ؟  
وما أحسن قول الشاعر :

لواحظنا تجنى ؛ ولا علم عندها وأنفسنا مأخوذة بالجرائر<sup>(١)</sup>  
ولم أرَ أغبي من نفوس عفاف تصدق أخبار العيون الفواجر  
ومن كانت الأجفان حُرَّاس قلبه أذنَّ على أحشائه بالفواقر<sup>(٢)</sup>

ولا عبرة بما قاله لقيط من الشعراء الماجنين ؛ الذين لا يعبأون بحلال ، أو حرام .  
بل يسرون وفق هواهم : مخالفين بذلك مولاهم !  
فمن ذلك قول بعضهم :

لاني امرؤ مولع بالحسن أتبعه لاحظ لي فيه : إلا لذة النظر !  
وقول الآخر :

أمتع في روض المحاسن مقلتي وأمتع نفسي أن تنال المحرما  
وأى إثم أكبر من اتباع الحسن ، والتلذذ بالنظر ؟ وقد نهى ربك عن النظر أصلاً !  
وأى محرم أخش من إمتاع ناظريه ، في روض المحاسن ؛ التي حرمها الله تعالى عليه !  
ومن المعلوم أن النظر : بريد الزنا !  
ومثال هؤلاء - الذين أحلوا ما حرم الله - كمثل من يسرق الفاكهة من بستان غيره ؛  
ويقول : ما أذمها وما أحلها ! وما أبهى منظرها وطعمها<sup>(٣)</sup> ؟

وكأنهم لا يرون حراماً : دون الزنا ؛ لأنه في نظرهم هو العمل المسمى بالمؤاخذه عليه !  
في حين أن الله تعالى نهى عن النظر : نهياً صريحاً فصيحاً : « قل للؤمنين يغضوا من  
أبصارهم . . . وقل للؤمنات يغضضن من أبصارهن » .

(١) الجرائر : جمع جريرة ؛ وهي الذنب والجنابة .

(٢) الفواقر : جمع فاقرة ؛ وهي الداهية العظيمة فال تعالى « ووجوه يومئذ باسرة ، تظن أن يفعل  
بها فاقرة » أي تأكدت بأن تنزل بها داهية .

(٣) وجه المقابلة : أت السرقة حرام ، والنظر حرام أيضاً ، والسرقة اعتداء على ملك الغير .  
والنظر اعتداء على ملك الغير أيضاً ؛ بل اعتداء على حرمة الله !

وقال أحد الحكماء : من طأوع طرفه : تابع حثفه !

وقيل : إن الشافعي رضى الله تعالى عنه — وقد كان يلقي دروساً على طلابه بالمسجد الحرام — أتاه شاب فأعطاه ورقة ؛ فقرأها الشافعي وكتب عليها رداً لما جاء بها .  
وافصرف الفتى ؛ فقال بعض الطلبة : لا بد أنها فتوى ، نستفيد بالاطلاع عليها . فأسرع بعضهم وراءه ، وقال له : بالله عليك أرنا ما أفتاك به الإمام .  
فأراهم ورقة مكتوب فيها :

سل المفتي المسكي : هل في تزاور وضمة مشتاق الفؤاد جناح ؟

وقد كتب الشافعي بخطه — على الورقة — إجابة لهذا السؤال :

أقول : معاذ الله أن يذهب التقى تلاصق أكباد بهن جراح !

فمجبوا من ذلك أشد العجب ؛ وحق لهم أن يعجبوا :

كيف يبيح الشافعي ذلك ؟ وهو من هو : علما وفقها ، ودينا وتقى !

فرجعوا للشافعي رضى الله تعالى عنه متسائلين :

لقد رأيناك يا سيدى منذ قليل تكتب فتوى لسائل ؛ فما هى ؟

قال : سألتى هل يجوز له تقبيل امرأته وضمها في الصيام ؟ فأجبتة بالإيجاب .

فقالوا له : ولكن لم يصرح لك بذلك .

فقال : قد فهمت سؤاله ، وأجبتة عليه .

فعادوا إلى الفتى ، فسألوه : ماذا كان يقصد من سؤاله ؟

فقال : سألت الإمام عن جواز تقبيل امرأتى وضمها في الصيام ؛ فأجابنى .

فازداد عجبهم لمزيد فهم الشافعي ، وغزير فضله ونباهته !

لكن البغاة الطغاة : شوهوا جمال هذه القصة وجلالها ، وما احتوت عليه من فقه ،

وكمال ، وأدب ؛ فرووا البيتين :

سل المفتي المسكي : هل في تزاور وضمة مشتاق الفؤاد جناح ؟

فقال : معاذ الله أن يذهب التقى تلاصق أكباد بهن جراح ؟

في حين أنهم بذلك قد حرفوا المعنى والمبنى : وأساءوا للدين والأخلاق !

هذا وقد حد الله تعالى حدوداً يجب على المؤمنات ألا يتجاوزنها ؛ فقال عز وجل ﴿ ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ، أو آبائهن ، أو آباء بعلتهن ، أو أبناءهن ، أو بناتهن ، أو إخوانهن ، أو إخوانتهن ، أو بنى إخوانهن ، أو بنى أخواتهن ، أو نسائهن ، أو ما ملكت أيمانهن : أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال ، أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء <sup>(١)</sup> 》 .

وهذه الأصناف التي أبيع للمرأة عدم إخفاء زينتها عليهم ؛ لا يصح تجاوزهم إلى غيرهم ؛ فكيف يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تتعدى حدوده ، وتنتهك محارمه ، وتبدي زينتها ، وما وراء زينتها لرجال حرم الله تعالى عليهم النظر إليها ؟

هذا وقد أخذ كثير من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في تأويل هذه الآيات مأخذ الشدة — لعلمهم أن النساء يتغالين فيما يسمح لهن به ، ويتجاوزن الحدود المرسومة لهن — فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما : تستر المرأة حتى لا يظهر منها سوى عين واحدة تبصر بها . وقال الحسن رضى الله تعالى عنه : تغطي نصف وجهها .

وقد ذهبوا إلى وجوب ستر الوجه والكفين أيضاً ، وأن إبداءهما رخصة عند الخطبة .  
خشب .

ودليلهم على هذا قول الحكيم العليم ، يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، .  
ولا أدل على التعرف على الإنسان من وجهه ؛ فوجب ستر وجه المرأة تطبيقاً لهذه الآية الكريمة .

ودخل نسوة على أم المؤمنين عائشة رضى الله تعالى عنها ؛ وعليهن ثياب رفاق <sup>(٢)</sup> فقالت عائشة : « إن كنتن مؤمنات ؛ فليس هذا بلباس المؤمنات ؛ وإن كنتن غير مؤمنات فتمتنن به ،

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم في وصف ما نراه الآن : « نساء كاسيات عاريات <sup>(٣)</sup> ،

(١) آية ٣١ من سورة النور .

(٢) أين تلك الثياب الرفاق مما يليه نساء اليوم من ثياب لا تحجب ما تحتها ؛ حتى ان المرأة لتبدو كأنها عريانة ؛ لا يحجبها حاجب ، ولا يسترها ساتر !  
(٣) أى مكسوات اسماً ، وعرايا فعلاً . أو المقصود : عرايا من الإيمان .



مائلات ميملات (١) ، رموسهن مثل أسنمة البخت (٢) ؛ لا يدخان الجنة ولا يجدن ريحها ، وهل بعد نفي الإيمان ، والحرمات من الجنان ؛ يقوم إنسان فيدعو لهذا السفور ، بل هذا الفجور ! ؟

وقد قام أناس - غفر الله تعالى لهم - بالدعوة إلى السفور والحض عليه ، وذم الحجاب ؛ الذي مدحه الله تعالى ورسوله وأمر به ؛ وقد قال قائلهم :

آخر المسلمين عن أمم الأر ض حجاب تشقى به المسلمات (٣)

وقد جعلت هذا البيت مطعماً لقصيدة قلناها من عشرات السنين - قبل أن يستفحل الأمر ، ويحل الخطب - وقد نسيت أكثرها ؛ ولا بأس من تدوين ما تذكرته منها ، عسى أن يتعظ به متعظ ، أو يستفيد به مستفيد :

آخر المسلمين عن أمم الأر ض حجاب تشقى به المسلمات (٤)  
بئس ما يدعى فلاسفة العصر من أن السفور فيه الحياة  
وهو حق إذ أن أسلافنا الأعراب من فرط من يحبون ماتوا (٥)  
يا خليل حدث عن الشرق قدماً حين كانت تعظم المعجزات  
حين كان القرآن يرجى ويخشى والقوانين : آية البيئات  
حين كان الحديث يتلى ولا ير وبه إلا ذوو العقول الثقفات

\*\*\*

إننا في الزمان نلقى (٦) أناساً في التوضي علومهم قاصرات (٧)

- (١) أي يتباين في مشيئتهن ، ويميل إليهن من في قلبه مرض من الرجال .  
(٢) أسنمة : جمع سنام . والبخت : نوع من الإبل . (٣) من قول شاعر العراق جميل صدق الزهاوي .  
(٤) صدرت بهذا البيت قصيدتي لأرد على هذا الرأي الفاسد الذي يتعارض مع صريح القرآت الكريم ؛ فإنا آخر المسلمين سوى السفور ، الذي أفسد الدين وسود الصدور ، أدركنا الله تعالى بطفه ! وهذه الأبيات من قصيدة طويلة . قلتها في صباي . وما تذكرت منها سوى ما أوردته .  
(٥) تهكم بهذا الرأي الفاسد ، والقول المذموم ؛ وإشارة إلى من مات من أعفاء العرب حزناً وجوى على عدم نيل من أحب . هذا في حين أن السفور المقوت قد خلط الحابل بالنابل ، وجعل الحبيب متمكناً من حبيبته ، والعاشق مالكا لعشيقته ؛ فانتشع بذلك الأسي والجوى ، وحل مكانهما القرب والنجوى ، فعم بذلك الشر والبلوى ، واستوجبا الحرمان والنيران ، وغضب الرحمن الديان ؛ فلاحول ولا قوة إلا بالله !  
(٦) نلقى : نجد .  
(٧) أي لا يتقنون الرضوء ؛ وهو أسط الأشياء في الشريعة والفقہ ، أو لا يقومون به أصلاً لتركرم الصلاة ، وهذا شأن الكثيرين ممن دعوا إلى السفور .

وهو بعد يدعون علوماً أنكرتها عصورنا الخاليات (١)  
ليت شعري ماذا يريدون منا وصنوف الأذى بنا محذقات

◊ ◊ ◊

بنت مصر هاتى سفورك واغشق كل ناد ولتل منك الجهات (٢)  
عرفى نفسك الغداة وطوفى لا تفتك الأسواق والحانات (٣)  
ثم أمى مجالس القوم وادعيهم إلى حيث لا تمل الدعاء  
علنا بالسفور فبني حصوناً شائحات بها ترد العداة  
وعسانا نرى البرايا سجوداً لابن مصر وقد عداه السبات (٤)  
ولعمري لقد بكى الدين حزناً حين قال الخطيب يا سيدات (٥)

وحقاً إن الدين ليبيكى حزناً حين تختلط الفتيات بالفتيان ، ولا تعرف الحرائر من  
القيان (٦) ، وتكشف المرأة — للأجانب عنها والذين ليسوا بمحرم لها — عن جسمها  
ومفاتها بغير خجل ولا حياء ولا مروءة ! فليُنظر ذلك وليعتبر به من كان له قلب أو ألقى  
السمع وهو شهيد !

وإن دعاء تحرير المرأة : لم يدعوا إليه إلا لعلمهم أنها لا تفهم لتحررها معنى سوى  
الانطلاق على سجيتهما فى الطرقات والمحافل العامة : شبه عارية تزرع الفتنة فى قلوب الرجال .  
أو لتعمل مضيقة تسلى الراكبين بالفتنة المملقة ، والبسمة المطغية . أو موظفة تندس بين  
صفوف الموظفين ؛ تنوشها العيون ؛ الزائفة التى تحملق فى جوع ونهم إلى وجهها الذى جملة  
الشیطان ، وقدها المياس الذى يذكى فى نفوسهم عوامل الشر والجريمة !

- 
- (١) وذلك بما يزعمونه من أن السفور لا يفتاق مع الدين ، على ما فيه من تبرج وزينة بأبائها الدين  
القوم ، والخلق الكرم !
- (٢) هو أمر قصد به الاستهزاء والتهمك .
- (٣) وقد تفالت النساء فى زماننا هذا حتى أصبحن لا يتورعن من غشيان الأسواق والحانات ، بل  
والمرامق أيضاً ؛ بغير وازع من دين ، أو رادع من خلق !
- (٤) عداه السبات : تركه النوم والنحول .
- (٥) أمى عند ما غشيت النساء المحائل والمنتديات ، وقال الخطباء : سيداتى سادتى .
- (٦) القيان : جمع قينة ، وهى الأمة البيضاء . وقد غلب على القينات والرائصات التبدلات .

وهي في كل ذلك تزاحم الرجال في المركبات العامة ، والمجالس ، والطرفات : تزاحمهم بالصدر والعجز ؛ وهي غير مبالية بما تفعله تلك المزاحمة من رواج لأسواق الشيطان !  
فإن تمّ تعلمها ، وحسن إدراكها وفهمها ، ووقفت بينهم خطيبة : فإنما تقف لتستعرض مفاتن جسمها ؛ أكثر مما تستعرض مواهب عقلها ، ولتستدر الإعجاب بجملها ؛ أكثر مما تستدره برأيها وفكرها .

وخير عندها ألف مرة أن يقال لها : كم أنت جميلة فاتنة ؛ من أن يقال لها : كم أنت ذكية فاهمة !

فإن شئت واحدة منهن — لكرم أصلها وطيب عنصرها — فاحتفظت لنفسها بدينها وكرامتها ، ولزوجها بجملها ورشاقتها ، ولولدها بجملها وحنانها : حسبت أسيرة في المنزل ، لا تمد يدها لخدمة المجتمع ، وقال شاعرهم :

آخر المسلمين عن أمم الأرز حجاب تشقى به المسلمات

هذا في حين أن المرأة المسلمة قد استطاعت في شتى العصور : أن تؤدي أجل الخدمات لأمتها ومجتمعها ؛ دون أن تغمز بعين ، أو تميمس بقدم ، أو تكشف عن صدر أو نحر ؛ فتدخل النار بما فعلت ، وتدخل معها من شغل بها من ضعاف الدين والعزم !

والمرأة المسلمة حقاً واجباتها أكثر : فمن واجباتها ألا يقعدما ظلام الجهل في مكانها ؛ بل عليها أن تسعى إلى العلم النافع ؛ فإذا ما تعلمت لا يظن بها الفرور العلمي عن مكانها الذي أعده الله تعالى لها ؛ إذ أنها عماد الأسرة في التربية والتوجيه ، وهي عماد الأمة في النصيح لله تعالى ولرسوله !

وهي أيضاً ظهيرة الرجل في الكفاح من أجل الدين والوطن : ثابتة في الصف الثاني ؛ لتكون دائماً رداً للرجل ، ومرجعاً له : إن استشارها نصحته ، وإن رجع إليها من عنت العمل ومشاق الكفاح : غمرته بالحب والحنان ، ووطأت له كنف المنزل ؛ فوجد فيه الهدوء لنفسه ، والراحة لبدنه !

وهذا هو الإطار العام الذي يجب أن تبدو فيه المرأة المسلمة ؛ فإن زادت على ذلك : فقد أحاط بدينها الغموض ، وتلفقتها الشكوك والريب ، ولا كتبها الألسن والاعين !

ما من شك أن هناك فلتات في التاريخ لا يقام لها وزن ؛ لأنها تبلغ حد الندرة التي لا حكم لها .

ولم يفض من قدر أم المؤمنين عائشة رضوان الله تعالى عليها أنها لم تكن سافرة ؛  
فمع الحجاب الشديد الذى كان يلفها — من رأسها إلى قدميها — فقد كانت من أعلم الناس ،  
وعنها أخذ المسلمون نصف دينهم !

وقد كان من فضل النساء فى العصر الأول : أن يلجأ إليها أفاضل العلماء ، ويقولوا :  
تعالوا بنا نستشير وقاية ؛ فعصابتها خير من عمائمنا (١) !

وانظر إلى وصية إحداهن لابنتها عند ما زفت إلى زوجها : لا يأكل خير ما فى بيتك  
غير زوجك ، ولا تسكنى عن رأسك فى بيت غيرك : ولو كان صاحبه فى العراق !  
فما أحلى هذا الخلق ، وما أبدع هذا النصيح !

هذا وقد بلغت حرية كثير من الغربيين شأواً بعيداً ، متحررين من سائر قيود الأخلاق  
والفضيلة ، ضاربين بالسكرامات والأعراض عرض الحائط ؛ غاضبين بالهمس عن كل ما يحد  
من الملمات ، أو يضيق أفق الإباحية المطلقة ، والتمتع الجلسى الخالص من القيود !

فقد ضبط أحد الأزواج — فى منزل الزوجية — زوجته عارية كيوم ولدتها أمها ،  
بصحبة رجل أجنبي عنها عرياناً أيضاً كيوم ولدته أمه : فرفع أمره للقضاء طالباً الطلاق  
من زوجته البغى التى استهانت بكرامته وكرامة منزل الزوجية المقدس ! غير أن القضاء-  
الإنجليزى فى إحدى محاكم لندن لم يرقه تصرف ذلك الزوج الرجعى الذى لا يتمشى مع  
التقدم الغربى والرقى الاجتماعى ؛ ففضى برفض دعواه : مبرراً هذه الفعلة بأن الزوج يجب  
عليه أن يقدر الظروف والتقاليد (٢) !

وقد ضبط أحد الشبان الهنود — وقت إقامته بباريس — رجلاً يجلس مع امرأة  
فى حالة مربية واضحة الفجور فى الطريق العام ؛ فلم يحد بدأ من الاستعانة بمجندى البوليس ؛  
الذى قبض على الشاب الهندى المبلغ بتهمة الإخلال بالحرية الشخصية !

فرحى مرحى لهذه الحريات ؛ التى تقوم على أشلاء الفضيلة !

وهكذا كلما ازددنا تنكراً لتعاليم الدين الإسلامى الحنيف : ازددنا بعداً عن الأخلاق  
والمروءة والكرامة والعفة ؛ بل خرجنا من عداد بنى الإنسان ، إلى عداد الحيوانات !  
وقد نرى فى بنى الإنسان من يأتى عملاً ينزه الحيوان نفسه عن إتيانه ! فلا حول ولا قوة  
إلا بالله العلى العظيم !

(١) وقاية : امرأة طالة فاضلة ، كانت بإحدى مدن ليبيا ، وكان أفاضل القوم يتبركون برأيها ،  
ويستمعون لقولها .

(٢) هذا الخبر منشور بمجريدة أخبار اليوم ص ٢ عدد ٦٠٨ الصادر فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٥٦ .

هذا وقد أصبحنا في زمن ؛ فشا فيه الانحلال والاضمحلال : فترى الشاب والفتاة ؛  
فلا تعلم من منهما الشاب ، ومن منهما الفتاة ؟  
شباب مخنث : لا يعبا إلا بربنته ، وتصفيف شعره ، وتحزيق ملبسه<sup>(١)</sup> ، وقد قلت  
في ذلك من قصيدة طويلة :

كيف ينجو التثوم والشر صاح يتصدى بسائر الطرقات  
فتيات : يلحن كالبدر حسناً بقلوب قددن من صخرات  
ورجال : تسير تيباً وعجباً كنساء ؛ يخطن كالفاجرات  
لا تفرق بين الرجال وبين النساء : صوتاً ، وملبساً ، وخطة  
يتشنى الفتيان في المشى كالافسح ، وتمشى العادات كالعاريات  
ليه يا أيها الشباب : أرضوا أن تكونوا في السير كالعاهرات ؟  
مارأينا والله فيمن رأينا مثل أخلاقكم بهذي العففات  
عهد لوط من بعد نوح تولى<sup>(٢)</sup> وأتانا النبي بالمعجزات  
أبدل البغاة الطفافة ؛ فصاروا بقلوب تفيض بالرحمات  
يرحمون الضعيف فيهم ، ويلقوا كل عات بقسوة وثبات  
فتحوا الفرس : فتح قرم عنيد وسقوا الروم فرقة وشتات  
أغمدوا السيف في صدور عداهم لم يلاقوا الحروب بالكلمات  
سنة الله : أن تكونوا رجالا وتكونوا من صادفي العزمات  
أين أنتم من إخوة سبقوكم لصفوف الجهاد كالباشقات<sup>(٣)</sup>  
ما الذي أوجب التخلف عنهم حيث صرتم كالأعظم النخرات  
فمعالوا أيها الشباب فأنتم لي ؛ وإن أمحل الدواء أساق  
واركوا اليوم ما جلاتم عليه ودعوا الموبقات والشهوات  
لتروا في الحياة كل جميل وتكونوا من سادة السادات

(١) حزق ملبسه : ضفطه وضيقه .

(٢) إشارة إلى أن قوم لوط : كانوا يأتون الذكران دون النساء .

(٣) الباشقات : جمع باشق . وهو من جوارح الطير .

(1) ...

(2) ...

(3) ...

## التعطيل

لقد فشا بين الأمم المتقدمة مذهب التعطيل<sup>(١)</sup> ، وأخذه عنهم بعض الضالين من المتأخرين . وكل هؤلاء مقفرة عقولهم ، معطلة قلوبهم !  
 وقالوا إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ،<sup>(٢)</sup> .

فرد الله تعالى على زعمهم هذا بقوله عز من قائل « ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ، للحساب يوم القيامة » قال أليس هذا ، البعث ، بالحق ، كما أخبرتكم على لسان رسلي ؛ فكذبتموهم وأذيتهم وقتلتهم ، قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كتمتم تكفرون ،<sup>(٣)</sup> بذلك اليوم .

« قد خسر الذين كذبوا بقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها ،<sup>(٤)</sup> أى فى الدنيا بعدم الإيمان بالساعة .

قال تعالى « قل الله يحييكم ، بالخلق ابتداء ، ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة ، للحساب والجزاء ، لا ريب فيه ، أى لا شك فى مجيئ ذلك اليوم الموعود ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ،<sup>(٥)</sup> .

وهل يجوز عقلا وجود مصنوع بغير صانع ، ومخلوق بغير خالق ؟ أم هل يجوز

(١) التعطيل لغة : التفرغ والإخلاء وترك الشيء ضياعاً . وإبل معطلة . لا راعى لها . وتعطل : بقى بلا عمل . وتعطلت المرأة : إذا لم يكن عليها حلى ، ولم تلبس الزينة وخلا جديدها من القلائد . والمعطل : الموات من الأرض . وتعطل معطل : إذا ترك بلا حام يحميه . وبئر معطلة : لا يستقى منها ولا يفتتح بمائها . ومن أنكر البعث : فقد قال بالتعطيل ؛ لأنه ترك الكون ضياعاً وهمل ، لا راعى له ، ولا مدبر لأمره . وحاشا أن يكون كذلك !

(٢) آية ٢٩ من سورة الأنعام . (٣) آية ٣٠ من سورة الأنعام .

(٤) آية ٣١ من سورة الأنعام . (٥) آية ٢٦ من سورة الجاثية .

نسبة خلق هذا العالم البديع ، وهذا الإنسان الناطق المبصر السميع ، وهذه الشمس المنيرة ، والكواكب المضيئة ، والسموات المرفوعة ، والأرض المبسوطة ، وتلك الأزهار الناضرة ، والمناظر الساحرة ، والطيور السابحة في الهواء ، والأسماك الجارية في الماء ، والفاكهة التي تسر الآكل والناظر ، وسائر المطاعم ، والمشروبات ، والمشمومات ؛ واختلاف كل هذه المخلوقات : منظرأ ومخبرأ ؛ هل يجوز خلق جميعها بلا خالق يخلقها ، أو مدبر يديرها ؟ وهل هي الطبيعة كما يقولون ؟ وهل قام هذا الكون باطلا ، وهذه المخلوقات عبثاً ؛ فلا بعث ولا حساب ، ولا نعيم ولا عقاب ؟ لقد ارتكبوا إثماً وجوراً ، وقالوا بهتاناً وزوراً !

هذا وقد جهر بهذا القول السقيم ، والرأى الفاسد العقيم : كثير من طبع الله تعالى على قلوبهم فهم لا يفقهون ! فن ذلك ما قاله شاعر العراق جميل صدقي الزهاوي ؛ من قصيدة طويلة<sup>(١)</sup> :

- وسائلة : هل بعد أن يعث البلى بأجسادنا نحميا طويلا ونرزق ؟<sup>(٢)</sup>  
فقلت مجيباً : إنني لست واثقاً بغير الذي حمى له يتحقق<sup>(٣)</sup>  
وهيهات لا ترجى حياة لميت إليه البلى في قبره يتطرق<sup>(٤)</sup>  
تقولين : يفي الجسم والروح خالد فهل بخلود الروح عندك موثق<sup>(٥)</sup>

(١) نشرت في ٢٢ سبتمبر من سنة ١٩٢٤ بمريدة السياسة اليومية .

(٢) هو إنكار صريح للبعث والنشور .

(٣) لا يؤمن بعقابه وله : كإيمان الإنسان ، بل يؤمن بلمسه وحسه : كإيمان الحيوان ؛ وما أشبهه بمن قالوا لرسولهم «أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً . . . أو ترى في السماء وان نؤمن لرقيقك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه» .

(٤) ومن قبله قال الكافرون «أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون . أئذا كنا تراباً وآبؤنا أئنا لنخرجون . أئذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد» لعنهم الله تعالى وأشياهم إلى يوم القيامة .

(٥) أنكروا عدو الله وعدو نفسه خلود الروح ؛ وقد آمن بخلودها سائر الناس : مسلمهم وكافرهم ؛ وأصبحت من المفاتيح العلمية للملوسة .



إلى أن قال :

وكم لي من رأى إذا ما بسطته يقولون : زنديق من الدين يمرق<sup>(١)</sup>  
إذا جئت كذباً : فالضمير يلومني وإن قلت حقاً : فال مخاطب يحنق  
لقد كره الجهال كل حقيقة<sup>(٢)</sup> على أنها حسناء بالحب تخلق  
خض اللج من بحر الطبيعة سابراً<sup>(٣)</sup> ولا تخش عند الخوض أنك تفرق

وقد نشرت هذه القصيدة في مصر بالجرائد السيارة ؛ فلم يتصد أحد من الكتاب  
أو العلماء للرد على هذا الكفر الصريح الفاضح !

وقد رددت عليه بقصيدة من بحر قصيدته وقافيتها ؛ راجياً بها وجه الله تعالى ، ذاتماً  
عن حياض الدين ، مدافعاً عن الكتاب المستبين !

والزهاوى هذا من كبار الملاحدة — بل ليس في الملاحدة من يدانيه في الإلحاد —  
وله شعر كثير ؛ أنكر فيه صراحة وجود الإله جل شأنه !  
فن ذلك قوله :

لما جهلت من الحقيقة أمرها وأقمت نفسك في مقام معلل  
أهبت رباً تبتنى حلا به للشكلات ؛ فكان أكبر مشكل

وقوله أيضاً :

قالوا بأن الإله حى له على عرشه ثبوت  
فقلت : ما الله غير وهم أهبطه الوصف والنعوت  
إن حى العلم فى أناس فالله من ذاته يموت

(١) لعم زنديق وأى زنديق ، ومارق من الدين وأى مارق !

(٢) سولت له نفسه ، وأوحى إليه شيطانه ؛ أن ما يقوله من إنكار البعث : هو الحقيقة المحرودة عن  
الهوى ، وأن من لم يوافق على رأيه الفاسد : من الجهال الذين يكرهون الحقائق . اللهم اجعلنا من الجاهلين  
بهذه الحقائق التي يقول بها ذلك المارق !

(٣) الصبر : التأمل والبحث ، وسبر الجرح : تعرف عمقه .

هذا وقد هلك الزهاوى منذ بضع سنين ؛ ورأى الآن جزاءه الحق فى قبره ؛ وعلم أن معرفته تعالى لم تكن من المشكلات ؛ بل آمن به كل الحيوانات والجمادات ؛ وأنه جل شأنه : حقيقة لا وهم فيها ؛ إلا على من انطمست بصيرته ، واسودت سريرته ؛ حمانا الله تعالى من الجهل بحقيقته ، بعد عرفانه حق معرفته ؛ وحفظنا من الزيغ بعد الإيمان ، ووقانا شر النفس ومكائد الشيطان ؛

وما هى قصيدتى ردأ على قصيدته فى إنكار البعث :

## حول إنكار البعث<sup>(١)</sup>

أو قصيدة الزهاوى

د قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة  
لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ،

[قرآن كريم]

إذا طفق <sup>(٢)</sup> التبريح <sup>(٣)</sup> بالقلب يعلق	فلا عجب للطرف إن كان يأرق
وقائلة : مالى أرى الهم والاس	حليفك هل أمسيت للزهر <sup>(٤)</sup> تعشق ؟
أضنُّ بما ترجو خليل ؟ فقلت : لا	ولسكننى من غير ذلك أفرق <sup>(٥)</sup>
أخاف الذى فوق السموات عرشه	لإذا خضت بحر الإثم فالإثم يوبق <sup>(٦)</sup>
فقلت : تعشق كل هيفاء غادة	ولا يتجنبك الغزال المقرطق <sup>(٧)</sup>

(١) نشرت فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٤ بالسياسة اليومية بعد نشر قصيدة الزهاوى بثمانية أيام .

(٢) طفق يفعل كذا : أى ظل يفعله .

(٣) التبرح : شدة الشوق وتوجهه .

(٤) الزهر : الأنجم المضيئة ، والمراد بها هنا : الفيد الحسان اللاتى يشبهن الأنجم الزهر فى الجمال .

(٥) أفرق : أخاف .

(٦) يوبق : يهلك ؛ لأنه يورد النار .

(٧) القرطق : ملبوس يشبه القباء ، وهو من لبس الأعاجم .

وحافظ على ذكر الملاح ورقن  
وغازل ونادم واشربن واطربن ولا  
فقلت لها : مثل العروس ينام في  
ويحشر في حزب الأمانة والنهي  
ويسكن جنات النعيم مخلداً  
فقلت : أحق أننا بعد موتنا  
فقلت لها : إن كنت أنكرت هذه  
لأنك أنكرت الإله ورسوله  
فقلت : لنا عقل ودينكم لكم  
فقلت لها : ماذا أرتكم عقولكم؟  
بها كان ما قد كان : هل أنت منصف؟  
وليس ضميري يطمئن لباطل  
لقد رد ذا نوح ، وهود ، وصالح ،  
وإن رمت منهاج العقول فإنني  
أختلف الاشيا بغير إرادة

لسيبك فيمن للنيب يرقق  
تضيق فماذا نال منها المضيق؟  
حفيرته دهرأ إذا النفس ترهق<sup>(١)</sup>  
وأكرم أهل الأرض يوم تشفق<sup>(٢)</sup>  
على حين يصلى النار من كان يفسق  
وبعد البلى نحيماً طويلاً ونزق<sup>(٣)</sup>  
فثلك من دين المهيمن يمرق  
وكتباً أنت بالحشر والنشر تنطق<sup>(٤)</sup>  
وللعقل بين الرشد والغى يفرق  
فقلت : وجودي بالطبيعة ملصق  
فقلت لها : ما قال هذا موفق  
ولا أنا من ذكر الحقيقة أحق<sup>(٥)</sup>  
وموسى ، وعيسى ، والنبي المصدق<sup>(٦)</sup>  
به عارف والباب ما هو مفلق  
تخصص كلا بالذي هو أليق<sup>(٧)</sup>

- (١) ورد في الحديث الشريف : أن المؤمن ينام في قبره مثل العروس .  
(٢) إشارة إلى قوله تعالى «يوم تشقق الأرض عنهم سراعا» . وهو يوم القيامة : عافانا المولى سبحانه فيه ، وجعلنا من خاصة أحبائه !  
(٣) هذا هو السؤال الاستنكارى الذى سأله الزهاوى في قصيدته النجسة .  
(٤) ورد ذكر القيامة والبعث في سائر الكتب السماوية .  
(٥) وذلك رداً على قوله «وإن قلت حقاً فالخطاب بمنق» .  
(٦) ورد في القرآن الكريم ذكر القيامة والبعث والحساب ؛ على لسان هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .  
(٧) اختلاف الطموم والألوان والأشكال والروائح وجميعها «يسق بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل» .

أباطبيون اشرحوا لي طبيعة  
فإن تك عين الجسم : كان مقدماً  
وإن تك جزءاً منه ، أو قوة له  
إذ الجزء : مثل الكل في سبق نفسه  
فلا عمل من قوة في محلها  
وإن لم تكن من ذا : فأرسمها إذا  
على أنكم لا تعرفون سوى الذي  
فقولوا لنا : إذ كلنا لجوابكم  
أباللس ، أم بالشم ، يدرك حالها  
بها كل جسم عندكم يتحقق  
على نفسه إذ فاعل الشيء يسبق  
على كل حال فالمحال محقق  
إذن وصفات الشيء للشيء تلحق  
لأن به تلك القوى تتعلق  
تجافي عن التحديد عقل ومنطق ؟  
إذا مادعاه الحس لا يتعوق<sup>(١)</sup>  
وشرحكم الشافي غدا يتشوق  
لكم ، أم بذوق ، أم بالابصار ترمق ؟

هذا وقد تفضل — مشكوراً ماجوراً — المجاهد الإسلامي الكبير ؛ المرحوم الامير  
شكيب أرسلان ؛ فأرسل لي — حين اطلع على هاتين القصيدتين بالجرائد السيارة —  
خطاباً يفوح بعطر الإيمان ؛ الذي كان يحتويه صدره ؛ وشذا الإسلام ؛ الذي كان يشيع  
من جهاده !

وقد رأيت تكريماً له ، واعترافاً بفضله : أن أنشر هذا الخطاب الكريم بخطه  
كما ورد :

(١) إشارة لقول الزهاوي :

فقلت مجيئاً : لاني لست وانقأ  
بغير الذي حسي له يتحقق

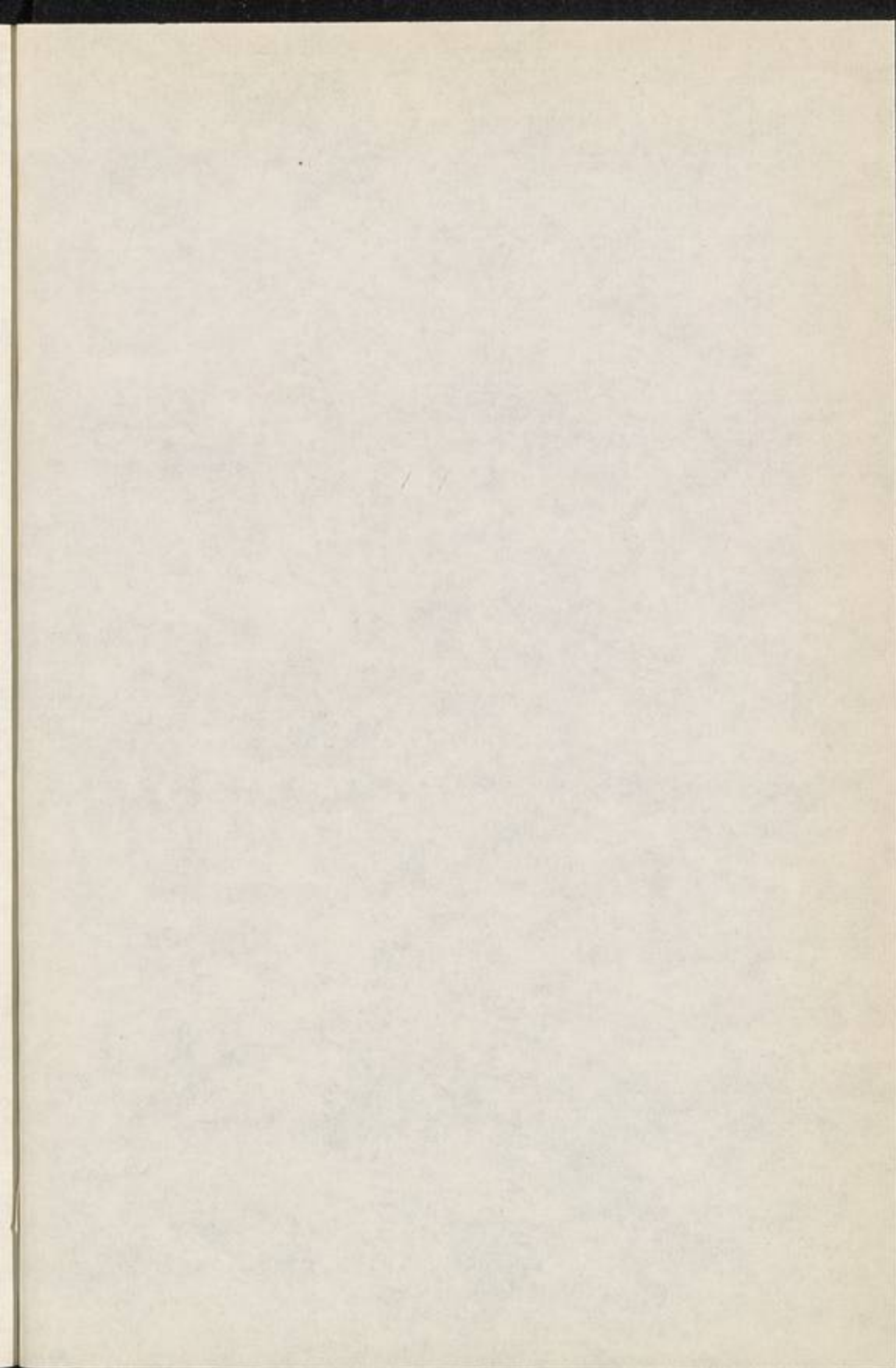
جنيف ١٠ أكتوبر ١٩٢٤

حضرة الشاعر المنقذ الحكيم السيد محمد محمد عبد اللطيف

قرأت في السياسة ، قصيدتك في افكار التقطيل فاجبت بها لفظاً ومعنى وراقني أسلوب السهل المتع  
وما فيها من حسن التقليل ولطف الجدل بساطع البرهان مع فحولة اللفظ وعذوبته معاً مما يلحق بشرك  
بشعر الاولين الذين كانوا يمكنون علو المعاني مع قوة العربية فما ملكت نفسي مع وفرة اسطغالي أن غناك  
على هذه الكلمة النادرة والله يزيدك فصاحة وبلاغة ومضاهة في تنوير الودهان بحقيقته

شاكوش  
شاكوش

Hôtel Angletère  
Genève



# أين الله؟

سؤال حائر ، على شفاه ساذجة : تنشده الإيمان والمعرفة !

فرفقاً بأبنائنا المؤمنين ، الذين يتساءلون : أين الله ؟

تظنونهم كفاراً ، وما هم بكافرين ! وتوهمونهم ملاحدة ، وما هم بلحدين !  
عرفوهم بالمنطق السليم ما يريدونه من معرفة الله ؛ ضمورهم إلى صدوركم ليحسوا بحنانكم ،  
قبل امتحانكم ، وبعطفكم ، قبل حكمكم !  
إن حرمانهم من استماعكم لأفواههم : سبب لهم عقدة الجحود بأرائكم ؛ وزاد كفرهم  
بربهم !

إن من يقول : أين الله ؟ خير بكثير ممن عرف الله ؛ ثم أشاح بوجهه ، وأدار له ظهره !  
فكم رأينا أناساً ينتسبون إلى الإيمان ؛ والإيمان منهم براء ! ويزعمون بحبة الله ،  
والله كاره لهم ؛ غير راض عنهم !

ويدعون معرفته ؛ وهم أول الكافرين به ، المنكرين لوجوده !

أما الذي يقول : أين الله ؟ فهو طالب للمعرفة ، راغب في الإيمان !

ولا يعقل بحال ، أن يكون القائل : أين الله ؟ راغباً في رؤيته بالذوق والحس ؛  
وإلا كان عابداً وثناً وصنم !

لأن المولى سبحانه : يجل عن الرؤية البصرية ، ولكنه لا يمتنع عن رؤية العقل ،  
والبصيرة !

فلو توهم لإنسان أن الله تعالى : يجب أن يرى بالبصر : لكان جاحداً بمنطق العقل !

ولو رأى الله بالبصر : لكان مخلوقاً مثلنا ، يرى ، ويحدد ، ويلبس !

وهذا ما لا يقوله لإنسان أكرمه الله تعالى بالعقل السليم ، والفكر المستقيم !

ولا تنسوا — يرحمكم الله — موسى عليه السلام ؛ حين قال : « رب أرني أنظر إليك ،

فزلزلت الأرض زلزالها ، ودكدكت جبالها ، وخر السائل صريعاً سؤاله !

فتعالوا يا أبناءى : أعلمكم أين الله ؟

ها هو الله ! ترونه عياناً : فى بديع صنعه ، ودقيق نظامه !

ها هو الله ! يثبت وجوده فى كل خلق خلقه ، وفى كل رزق رزقه ، وفى كل منح

منحه ، وفى كل منح منعه : أعطى بمقدار ، ومنع بتقدير !

وقد يوسع على من يكره ، ويضيق على من يحب ؛ الحكمة يراها جل شأنه الا مانع

لما أعطى ، ولا معطى لما منع !

ها هو الله ! نصر من قال : الله أكبر ! ونخذل من قال : أنا القوى الأقدر !

ها هو الله ! ترونه فى أنفسكم ، وفى أنفسكم أفلا تبصرون ، .

ألا تعلمون كيف جئتم إلى هذه الحياة ؟ ومن أى مادة صنعتم ؟

لقد صنعكم المولى ابتداء من طين ، ثم خلقكم من ماء مهين ، ثم حول هذا الماء إلى

علقة ، ثم إلى مضغة ، ثم جعل هذه المضغة عظماً ، ثم كسا هذه العظام لحماً ، ثم أخرجكم

فى هذا الاستواء الخلق الذى أنتم عليه !

وأظنكم يا أبناءى — وأنتم رجال الغد ، وفضلاء المستقبل — أظنكم أعقل وأسما

من أن تلجؤا فى مناقشتى إلى ما يلجأ إليه سفهاء الأحلام : من أن أنايب الاختبار ؛

الذى وضع فيها ماء الرجل : قد استجابت مبدئياً إلى الحياة ، التى يصنعها الله !

وهنا يحق لى أن أقول لكم : ومن صنع ماء الرجل الذى وضعتوه فى أنايب الاختبار ؟

لقد أخذتم البيضة ، ووضعتوها فى الدفء حتى أنتجت دجاجة ، وقتتم : ها نحن

خلقنا الدجاجة !

فهل هذه الدجاجة تعتبر من صنعكم ، أم من صنع الخالق جل شأنه ؟

لأن التساؤل الواجب فى الحالتين : من خلق ماء الرجل ؟ ومن خلق البيضة ؟ أترون

يا أبناءى — وأنتم العقلاء الألباء — أن كل هذا صنع بغير صانع ، وخلق بغير خالق ؟

وأنها تحولت من عنصر الموت إلى عنصر الحياة بلا موجد ومدبر !

إنى أربأ بعقولكم أن تظن هذا !

أم تقولون كما قال أناس من قبل : لأنها الطبيعية وحدها التى صنعت هذا الصنع وأبدعت

هذا الإبداع ؟



وهنا يحق لي أن أسألكم : وما هي الطبيعة ؟ إن ما تسمونه الطبيعة ، هو ما نسميه  
معشر المؤمنين . الله : والله وحده !

والأمثال كثيرة على فساد هذا الزعم وسأكتفي بإيراد مثل واحد ، تقتنمون من خلاله  
بأن الله وحده ولا شيء بعده !

إن الطبيعة — إذا صح أن هذا صنعها — لا تختار الذكورة والانوثة ، والجمال  
والقبح ، والسواد والبياض ، وحسن الخلق وسوأها !

فما تقولون — هداكم الله وعافاكم — في الشعب الألماني ؛ بعد الحرب الضروس  
التي أشعلها واحترق بها !

وقد خرجت ألمانيا من الحرب بفقد جل رجالها ! وزيادة تعداد نساها : زيادة  
كثيرة مخيفة !

فماذا فعلت الطبيعة السماء ؛ حيال هذا الحادث الجلل ؟

لم تفعل الطبيعة — التي يزعمها الملاحدة — شيئاً ، وما كان لها أن تفعل ، لأنها طبيعة  
لا تجلب نفعاً ، ولا تدفع ضرراً !

ولكن المولى سبحانه : النافع الضار — خالق الكون ومدبره — فعل ما يصلح الكون ؛  
بعد أن أفسده أهله وذوره !

فترى الإحصاءات الرسمية للوالميد بعد الحرب : قد أثبتت زيادة الذكور على الإناث  
حتى بلغت ثمانين في المائة ، وحتى عاد مستوى الذكور متوافقاً مع مستوى الإناث !

وذلك لأن الله تعالى خالق ، والطبيعة لا تخلق ! ورازق ، والطبيعة لا ترزق ! ومدبر ،  
والطبيعة لا تدبر !

وهكذا تجدون أصبع الرحمن في كل مكان !

ألا ترون الأشجار ، وما تنتجه من عجيب الثمار ؛ فهذا حلو ، وهذا مر ، وهذا رطب ،  
وهذا يابس !

الحنظلة : بجوار المانجو ؛ فيثمر هذا ثمراً حلوً وبالغ الحلاوة ، ويثمر ذلك ثمراً مرا  
بالغ المرارة ، وكلاهما يسقي بماء واحد !

وترى الوليد من البهائم : ينزل من بطن أمه فيقف على رجله ، ثم يستدير إلى أمه فيلتقم  
ثديها بفمه !

فن الذى أعلمه أن الرجلين للوقوف ؟ وأن فه للطعام والشراب ؟ وأن ثدى أمه وعاء  
لذلك الطعام والشراب ؟

ألا ترون الهرة ؛ وما شاكلها من الحيوانات : حين تلد ؛ فإنها تقطع الحبل السرى  
لمولودها : بحيث لا تزيد عما يجب ، ولا تنقص ؟

إن هذه الأمور كلها : تدل على هداية خفية : ليس للطبيعة فيها شأن !

ولأنما هو صنع الصانع : الذى أتقن كل شئ ، وأعطى كل شئ خلقه ثم هدى !

فاطمثنوا يا أبناءى إلى ربكم ، وثوبوا إلى رشدكم ، واسألوا متى أردتم ! وأنى شئتم :  
أين الله ؟

فإنه معكم : فى حللكم ، وترحالكم . يحفظكم من كيد أنفسكم ، ومن شر  
الشیطان اللعين !

ولله در سيدى محيى الدين بن عربى حيث يقول :

ومن عجب : أنى أحسن إليهم وأسأل شوقاً عنهم ؛ وهو معى !

فتنكرهم عيني ، وهم فى سوادها ويشكو النوى قلبى ؛ وهم بين أضلعي !

الإِسْرَاءُ وَالْمِعْرَاجُ

## مقدمة

# بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، خالق الخلق أجمعين ؛ خلقهم كما يشاء ؛ لما يشاء ؛ ورزقهم ،  
وهداهم ، وأرشدهم إلى ما يرضيهم ، ووفقهم إلى ما ينجيهم ؛  
والصلاة والسلام — من المولى سبحانه تبرى — على أكرم خلق الله ، وأقربهم  
منه ، وأعرفهم له ؛  
أرسله — عز وجل — هادياً : فهدي ! ومرشداً : فأرشد ! ومبشراً : فبشر !  
ومنذراً : فأنذر !

أمده مولاه تعالى بخلق : لم تتوفر لاحد من خلق ؛  
ووهبه نوراً إلهياً : لم يهبه لاحد من وهب ؛  
وأعلا شأنه بقوله : « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم  
الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً ، وأى رحمة ؛  
وجعل أفئدة الناس تهوى إليه بقوله : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر  
بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلبوا تسليماً ، وأى قضاء ؛  
وتوجه — جل وعلا — بقوله « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، وأى نور ؛  
فاستوجب بحق ، من يطع الرسول فقد أطاع الله ، وأى طاعة ؛  
واستحق بصدق ، وإنك لعلى خلق عظيم ، وأى خلق ؛  
وكان جديراً بخطاب مبدعه له ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، وأى رحمة ؛  
نور الله في أرضه ؛ ونوره في سمواته ؛ ونوره في قيامته ؛ ونوره في جنته ؛ ونوره  
في قلوب عباده ؛

إذا انتقطع هذا النور الرباني المحمدي عن بشر : كفر والعياذ بالله ؛ وإذا انتقطع عن  
أمة : بامت بالحرمان والخذلان ؛

أعلى مولاه شأنه فوق كل شأن ! ورفع قدره فوق كل قدر !  
فما من مخلوق علا : إلا وهو دونه ! وما من إنسان سما : إلا وهو تحته !  
درجة : لا يحلم مخلوق أن يصل إلى أديانها ! ورتبة تتساقط سائر الرتب دونها !  
رتب : تسقط الأمانى حمري وعطاء : حاشاه أن يتناهى !

أعدّه الله تعالى لما أعده : من سيادة ورياسة ؛ لأمر يعلمه المولى سبحانه ؛ ليرتقى  
بالبشرية الأرضية : إلى سموات الروحانية الربانية !

فكان جديراً بصلاة الله تعالى وملائكته ، وسائر مخلوقاته عليه !  
« إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » .  
اللهم صل وسلم وبارك عليه : صلاة وسلاماً دائماً بدوامك ، تنفعنا بفضلهم ما في دنيانا ،  
وتنجينا بفيضهما في آخرانا ! وتجعلنا فيمن رضيت عنهم يا مولاي ورضوا عنك !

### الإسراء

أما بعد : فإنه مما لا يشك فيه مسلم — ذاق بقلبه حلاوة الإيمان ، واستمتع  
بما أودعه الله تعالى في القرآن — أن رسولنا صلوات الله وسلامه عليه : قد أسرى به ليلاً  
من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ؛ كما جاء في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من  
بين يديه ولا من خلفه ؛ تنزيل من حكيم حميد ! « سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد  
الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا » .

### المعراج

أما العروج به : صلى الله تعالى عليه وسلم إلى السموات العلى : فإن الإنسان المسلم :  
يحس في قرارة نفسه بصحته ، ويؤيده تمام التأييد بقلبه !  
فإذا ما قرأ الأحاديث الواردة فيه : أحس بالوحشة تمكنته ، وبالانقباض الفسكرى  
يتمسكه !

ولم تكن تلك الوحشة ، وذلك الانقباض من صعوده عليه الصلاة والسلام إلى  
السموات ! فهو جدير به ، وقمين بنيله !

ولكن هذه الأحاديث — كما سترونها — مليئة بالترهات ، مفعمة بالباطيل والأضاليل !

قدر الرسول صلى الله عليه وسلم

فالرسول عليه الصلاة والسلام : لن ينقص قدره : عدم عروجه إلى السماء ، كما أن عروجه إليها : لن يزيده رفعة فوق رفعته ؛ التي لم تدع زيادة لمستزيد !

وأى رفعة أعظم من مدح مولاه له في القرآن الكريم ، وإنك لعل خلق عظيم ، !

وأى فضل أكبر من تفضيله على سائر المخلوقين ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، !

ومن المعلوم يقيناً : أن سائر الأنبياء من العالمين ؛ وسائر الملائكة أيضاً من العالمين ؛

وذلك لأن العالمين ، جمع العالم . والعالم : كل ما سوى المولى سبحانه وتعالى .

وما أرسل عليه الصلاة والسلام — كنص الآية الكريمة — إلا رحمة لهم وبهم جميعاً ؛

فلم يقل المولى سبحانه : إنه أفضل المخلوقات ، أو أكرمها ؛ أو أشرفها ؛ بل قال :

إني لم أرسله إلا رحمة لها !

وبذلك يكون محمد عليه الصلاة والسلام : أفضل المخلوقات على الإطلاق ؛ إنس ،

وجن ، وملك !

فتعالى من رحمة به ، وأعزنا برسالته ، وأكرمنا بشفاعته !

وبما قدمناه : ينقطع قول من ادعى أن جبريل أفضل من محمد . عليهما الصلاة والسلام ؛

كما قالت المعتزلة وغيرهم : عفا الله تعالى عنا وعنهم !

ولنعد إلى ما بدأناه من الكلام في الأحاديث التي تناولت المعراج .

وقد قلنا : أحاديث — وهو حديث واحد — لما ورد فيه من روايات : يتباين

كل منها مع باقية ؛ تبايناً كلياً .

لكنها تجمع على أشياء كثيرة : منها تفاهة المعنى والأسلوب ؛ وبعد منطوقها عن منطق

النسبة الرائع المبدع المنير ؛ وبعد مفهومها عما اصطلاح عليه سائر المسلمين : من عدم وقوع

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الزلل ؛ بالقول ؛ أو الفعل ؛ اللذين يحيطان من أقدارهم :

كما حواه هذا الحديث الغريب ؛ من منكر القول ، وفساد الأخلاق والعقائد !

### زيف هذه الأحاديث

وقد اجتمع في هذه الأحاديث - رغم كثرتها - شيء واحد : هو صياغتها على ما هي عليه .

فحينما تتلو أحدها : تذكر أن هذه الصياغة ليست بغريبة عنك ، ولا بعيدة منك .

فهذه الصياغة ، وهذه اللمجة : هما نفسهما اللذان صيغت بهما آيات التوراة والإنجيل ؛ اللذين أجمع على تحريفهما وتبديلهما كل من فهم ومن لم يفهم ، ومن علم ومن لم يعلم ؛ حتى صاروا عليين لكل ما يتصف بالتحريف والتبديل ، وصاروا مثلاً يضرب لكل فساد وإفساد !

### وجوب تبجيل المولى سبحانه !

ومخترعوا هذه الأحاديث : إنما أرادوا بها تعظيم شأن الرسول ؛ عظيم الشأن ! وإعلاء قدره ؛ عالي القدر !

ولم يبألوا بما نزلوا به من مرتبة المولى عز وجل !

فالرسول عليه الصلاة والسلام : واجب التكريم بنص القرآن الكريم ؛ وإغفال حاله تعالى ؛ ومرسله عز وجل : من التبجيل والتكريم ؛ الواجبين له : هو في نظري : انحراف عن الجادة ، وعدول عن الصراط المستقيم !

فترى كثيراً من المسلمين : إذا ذكر الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه قولاً ، أو كتابة : بادروا بالصلاة والسلام عليه ؛ وهو أمر واجب على كل من يدين بدين الإسلام !

فإذا ذكر المولى سبحانه : الذي تفضل علينا بالرسول الذي نصلي عليه : أشاحوا بوجوههم ، وخرست ألسنتهم !

أقول : خرس : لأن الذي يقصر في تبجيل مولاه : مستحق للخرس !

وقد يقول قائل ساذج الفهم ، تافه الإدراك : إن تكريم الرسول عليه الصلاة والسلام واجب بنص القرآن ؛ حيث لم يوجب علينا تكريم المولى سبحانه بنص صريح !

ونحن لا نحتاج إلى أدنى عناء للرد على مثل هذا القائل الضعيف الوجدان ، السقيم  
العقيدة !

فالمولى سبحانه - ولو أنه غنى عن التكريم - قد كرم نفسه بنفسه ؛ ليعلمنا واجب  
تكريمه وتعظيمه !

فقد كرر في كتابه العزيز لفظ « سبحانه » ١٤ مرة ، و « سبحان » ١٨ مرة . والامر  
بالسبح « سبح ، سبحه ، سبحوا ، سبحوه » ١٨ مرة . وذكر من يسبح له « يسبح ،  
يسبحن ، يسبحون ، يسبحونه » ١٥ مرة ، ولفظ « تعالى » ١٤ مرة : و « تبارك » ٩ مرات !  
ويكفيك قول العزيز المتعال « تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام » وقوله جل شأنه  
« وسبحوه بكرة وأصيلاً ، أى صباحاً ومساءً ، وفي كل وقت !

وهذا هو واجب المؤمن حيال ربه : الذى « لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ،  
و « ليس كمثله شيء ، و « خالق كل شيء ، و « وسع عليه كل شيء ، و « بيده ملكوت  
كل شيء ، !

### العودة إلى حديث المعراج

ولنعد إلى ما نحن بصدده ؛ وهو حديث المعراج : الذى أعلم علم اليقين : أن ما أكتبه  
فيه : سيثير على حراً عواناً ؛ لا هوادة فيها ، وسيقول بعضهم عنى : كافر ، فاسق ، زنديق ،  
ملحد ١٢... الخ ما فى القواميس من قذف وسباب !

ولكنى وإيم الله : مشفق عليهم ، رؤف بهم ؛ طالب المغفرة لهم مقدماً !  
وأقسم غير حائث ولا آثم : أنى ما كتبت إلا ما اعتقد أن رضا المولى سبحانه فيه ،  
وأنه تعالى سيثيبني عليه !

فليشفق اللائم على من هذا شأنه . وليتحرر الناقد مرضات ربه : كما تحريت ؛ وليفهم  
أن كل كلمة يكتبها أو ينطق بها : فهى له أو عليه ! « ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد » .  
هذا وقد كنت منذ نعومة أظفارى : إذا سمعت حديث المعراج - كما يرويه  
الراون ، وينقله الناقلون - أحس فى صدرى بما يثقله ، وفى عقلى بما يتوء بهمه !



### بطلان بعض الأحاديث

وإذا سمعت أيضاً حديث « خلقت آدم بين الطين والماء » وحديث أئمة القوم « لولا ما خلقت الأرض والسماء ، ولما انشقت الأنهار ، ولما أظلم ليل وأضاء نهار ، وأن اسمه صلوات الله تعالى وسلامه عليه مكتوب من نور على ساق عرش الرحمن ! ، ... الخ ما يروونه : إشادة بمن أشاد به الله ، ورفعته لمن رفعه الله !

تعالى الله عن أن يشركه أحد في ملكه ، أو أن يكون سبباً في خلقه ما خلق ، وذراً وبرأ !

فالمولى سبحانه : خلق خلقه بإرادته وحده ؛ من غير مثال سبقه ! وأعدّم لتلقى أوامره ونواهيه عن طريق أنبيائه ورسوله ؛ الذين بعثهم ؛ لتقطع بهم الحجة ، وتسقط المعذرة ! ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم : لإمامهم جميعاً ، وخاتمهم ، وسيد الخلق على الإطلاق ! فكل من أراد أن يسمو به فوق هذا السمو : مخطئ ! وكل من أراد أن يعلو به فوق هذا العلو : واهم !

فإذا ما أردنا أن نضع الحقائق في مواضعها ، وأن نخضع المفاهيم إلى مقاييس الفهم الصحيح ، ونزنها بالميزان الراجح ؛ الذي وهبنا إياه المولى سبحانه ، والذي يحاسبنا بمقتضاه ، ويؤاخذنا بما أفصح عنه ذلك الميزان الرباني : وهو العقل !

وجب علينا : أن نعرض عليه كل ما يمرض لنا في هذه الحياة : من مقول ، أو منقول : بشرية ألا نترك لإبليس العنان : فيتدخل فيما بيننا وبين الرحمن !

فإذا ما قلنا : إن الرسول عليه الصلاة والسلام قد خلق - خلقه حقيقية - قبل خلق آدم : فن الذي ولدته آمنة ؛ من ظهر عبد الله ؟ ومن الذي شق قلبه ؛ كما يقولون ؟

وإذا قلنا : إنه قد خلق قبل آدم في علم الله تعالى لحسب : قلنا أيضاً : إننا جميعاً قد خلقنا قبل آدم في علم الله ؛ فلم يعد لهذا الحديث معنى .

وإذا قلنا : لم يعد له معنى ؛ وجب علينا أن ننفي نسبته إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ الذي لا يتطرق عن الهوى !

وأى فخر لمن يخلق أولاً ؟ اللهم سوى الإرهاب لما يريد المزيفون من إثبات

ما يريدون لإبائته للرسول الكريم من أشياء لا تعلى قدره الذى أعلاه ربه : بقره ،  
وجبه ، واصطفائه !

وها هو إبليس اللعين : وقد خلق قبل الخلق أجمعين ؛ فما زاده ذلك سوى لعناً ،  
وطرداً ، وبؤساً وبخساً !

أما القول بأنه صلى الله تعالى عليه وسلم : لولاه لما خلقت الأملاك والأفلاك ، وأن  
اسمه مكتوب على ساق العرش . . . الخ فهو رغم ما فيه من اختلاق وإفك ظاهرين : باطل  
بطلاناً واضحاً لا شبهة فيه ! فإننا لم نشاهد فى حياتنا الدنيا ملكاً كتب اسم رئيس وزرائه ،  
أو كبير أمنائه على كرسيه ، أو على عرشه ! ولو كان هذا الرئيس ، أو كان هذا الكبير :  
متسبباً فى تولية هذا الملك على ملكه !

هذا فى حين أن الملك ، ورئيس وزرائه ، وكبير أمنائه : بشر ؛ من طينة واحدة ،  
وأصل واحد .

فكيف نجزؤ أن نقول بكتابة اسم محمد على ساق عرش الرحمن ؛ وهو انسان ، وهذا  
هو الخالق الديان ١٩

فبئس القول ما قيل ! وبئس هذا التصور العقيم السقيم !

وهذا القول نفسه : يؤثم من يدعيه ؛ بل ويقربه من الكفر ، ويعمسه فيه !

ومن هنا : كان بدء غلو المادحين للرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ( وهو خير  
الممدوحين ، وأولى الناس بالمدح ) .

فقال بعضهم ؛ مشطراً لأبيات من همزية الإمام البوصيرى :

بابن عمران شرفت سينا ، وإلدريس والمسيح السماء

ولك العرش موطىء ووطاء كيف ترقى رقيق الأنبياء

ياسماء ما طاوانتها سماء

فانقلنا بذلك من كتابة اسمه على العرش : إلى أن وطىء محمد العرش بقدميه !

عرش الديان ؛ المعد لاستواء الرحمن : يكون موطناً ووطاء لقدم أحد مخلوقاته ؛

ولو أنه خيرهم ، وسيدهم ، وإمامهم !

العرش : الذى يمثل عظمة السلطان ، وسلطان الرحمن : يطؤه واحد من بنى الإنسان !  
وجميع ذلك : لا يجوز عقلاً ، ولا ذوقاً ، ولا ديناً ، ولا يعقله عاقل ، ولا يجنون !  
اللهم إلا إذا آمننا بأن الله تعالى شريكاً فى ملكه ! وهذا الشريك : غير مماثل لشريكه ؛  
بل مفتون عابث ، متعال عليه ، يظأ عرشه برجله !  
تعالى المولى عن ذلك علواً كبيراً ! وتعالى الرسول أن يكون كما قيل !  
فليس هناك سبب لما خلق الله سبحانه : سوى أنه تعالى كان كنزاً مخفياً ؛ فأراد أن  
يعرف : فخلق الخلق ؛ فبه تعالى عرفوه ، وبه عبدوه !  
جل شأن المولى سبحانه ! وصلى وسلم على نبيه المختار : صلاة تتعبد بها له .  
وتتقرب بها إليه !

### وجوب تحرى الأحاديث

هذا وقد ورد عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه أنه قال : « إذا سمعتم  
الحديث عنى : تعرفه قلوبكم<sup>(١)</sup> » ؛ وتلين له أشعاركم وأبشاركم<sup>(٢)</sup> ، وترون أنه قريب  
منكم<sup>(٣)</sup> ؛ فأنا أولاكم به . وإذا سمعتم الحديث عنى : تنسكرو قلوبكم ، وتنفر منه أشعاركم  
وأبشاركم ؛ وتروونه بعيداً منكم : فأنا أبعدهم منه . . .

فإذا ما سمعنا — مثلاً — فى حديث عائشة رضى الله تعالى عنها ، قالت : جاءت سهلة  
بنت سهيل امرأة أبى حذيفة إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ فقالت : يا رسول الله لانى  
أرى فى وجه أبى حذيفة<sup>(٤)</sup> من دخول سالم — وهو حليفه<sup>(٥)</sup> — فقال لها : أرضعى  
سالمًا خمساً : تحرى بها عليه . . .

هل يجوز لعاقل يؤمن بالله واليوم الآخر ؛ بعد أن قرأ قوله تعالى « قل للمؤمنين يغضوا  
من أبصارهم . . . » وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ، أن يصدق هذا الحديث ، أو أن  
يعيره بالأل<sup>١٤</sup> ؟

(١) تعرفه قلوبكم : أى تطمئن إليه ، ولا تنسكرو معناه .

(٢) الأبشار : جمع بشرة ؛ وهى ظاهر جلد الإنسان .

(٣) قريب منكم : أى لأنهمكم ، وأذواقكم ، وآدابكم .

(٤) أى أرى فى وجهه من الكدر والغيرة ؛ لدخول أجنبى على امرأته .

(٥) المراد به : شريكه فى التجارة .

ولكن رواية هذا الحديث في المسانيد معنفاً مطولاً : دعت كثيراً من الفقهاء إلى تصديقه وبخشه ، والأخذ منه بجواز إرضاع الكبير !

فهل هذا الحديث : قريب منا ! أم بعيد عنا ؟ تعرفه قلوبنا ؛ أم تنكره أشد الإنكار ؟ لانت له أبقارنا وأشعارنا ؛ أم اقتشعرت وجمدت !؟

ولنفرض أن هذه المرأة : أتت لأحدنا ، وشكت له ما شكت للرسول عليه الصلاة والسلام ؛ أكان يقول لها : أرضعيه ، أم كان يقول لها : احتجبي عنه ؟ !

وأى الجوابين أولى وأصح : قول الرسول الأعظم ؛ الذى كان كل فعله وقوله : تشريع . أم قول مخلوق مغمور من أمثالنا !؟

وهكذا أحاديث كثيرة : اتصفت بهذه الصفات ، واتسمت بهذه السمات !

منها — على سبيل المثال لا الحصر — وقوع يوسف فى الخطيئة ؛ حين هم بامرأة العزيز ! وقصة زينب بنت جحش ؛ وما اكتشفها من أكاذيب وأضاليل ؛ بلغت حدّاً لا يرضى عامة الناس ودهماؤهم : أن ينسب إليهم !

وقد أرادوا بأحاديث أم المؤمنين زينب بنت جحش ؛ أن يصوروا محمداً : عظيماً فى كل شيء ؛ عظيماً حتى فى شهوات الدنيا ؛ التى ذمها المولى سبحانه فى كتابه !

وقد أخطأ الدكتور هيكل ؛ حيث يقول فى كتابه ( حياة محمد ) إن القوانين التى تجرى على الناس : لا سلطان لها على العظماء ؛ فأولى ألا يكون لها سلطان على المرسلين والأنبياء ! وهو قول خاطيء — جملة وتفصيلاً — فى ظاهره وباطنه ؛ فإن الأنبياء والرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليهم : جاءونا من لدن المولى سبحانه بأوامر واجبة الطاعة ! وذلك لبعدها عن الجور ، وعن الانحراف !

فإذا ما زعم زاعم — كافر بالله ، وبكرامة رسله — أن أحد هؤلاء الأنبياء قد حاد عن المثل العليا : جاز — طبعاً — لمتبعيه أن يخرجوا عن طاعته ، ويكفروا برسالته !

فإذا قيل : إن أحدهم ؛ بل كبيرهم : نظر الى امرأة واحد منهم ؛ فهويها ! حق لنا أن نقول : إن مثل هذا لا يصلح للرسالة التى اختصه المولى سبحانه بها ، واتممه عليها ! ولا يصلح للزعامة التى بوأه الله تعالى لإياها ! وإلا جاز لنا أن نقنطى به ، ونسير على هديه !

وهو — كما ترون — هدى فاسد : أقرب إلى الشيوعية الملحدة البغيضة : من الإسلام القيم ، المنير ، المحبوب !  
وقصة داود : إذ رأى امرأة عريانة ؛ فوقر حبها في قلبه ، فأرسل زوجها للجهاد : ليقتل ؛ فرجع منصوراً مأجوراً ! فأعاده للحرب ثانية ، وثالثة حتى قتل ؛ وتزوج امرأته !  
وقصة سليمان : إذ طفق يقطع أعناق الخيل وسوقها ؛ وقد كانت معدة للجهاد !  
وأمثال ذلك : يضيق المقام عن حصره !

### ذبوع هذه الأحاديث

وكل ذلك : وارد في صحاح الصحاح ؛ بشق الروايات ، ومختلف الألفاظ .  
وقد بلغ من ثبوت هذه القصص لديهم : أن وردت في شق التفاسير ؛ كبيرها وصغيرها !  
وقد بلغ من ذبوعها وشيوعها : أن أورد الطبري — وهو من أئمة المفسرين ؛ بل لإمامهم جميعاً — عشرات الروايات ؛ بطرق عدة !  
وقد رروا في بعض هذه الأحاديث الفاسدة أن الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ عند ما قرأ قوله تعالى : « أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى » ، قال : تلك الغرائيق العلا وإن شفاعتهن لترجي !  
واستدلوا على ذلك القول الفاسد السقيم ؛ بقول العزيز الحكيم : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، وأولوا التمنى : بالقراءة ؛ فتعساً لهم وسحقاً !  
فانظر — رحمك الله — إلى أى مدى بلغ بهم الفسق ، والكفر ، والضلال !  
وحديث الغرائيق : ذائع في كتب التفسير ؛ ذبوع الشهادتين ! رغم أنه ظاهر البطلان ، مكفر لمن يعتقده ! وقد أيدوا صحته بقوله تعالى : « لقد كدت تركن لإيهم شيئاً قليلاً ، مع أن ذلك الركون : فوق الكثير بكثير !  
ولا يجوز مطلقاً أن ينسب إلى الرسول عليه الصلاة والسلام النطق بالهجر ؛ فكيف بالكفر !  
وقد ذهب قتادة إلى أن الرسول : تلاه ناعساً !

وقال ابن عباس : إن شيطاناً يقال له الأبيض كان قد أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في صورة جبريل ؛ وأتت في قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : تلك الغرائيق العلاء ، وأن شفاعتهم لترتجي .

وقد زعموا أن الرسول المعصوم المبرأ قال بعد أن قال ما قال ، افتريت على ربي وقلت ما لم يقل . ما شاء الله ! الرسول : ينص عند التبليغ ، ويفترى على الله !

وزعموا أيضاً أنها من القرآن ؛ ونسخت بقوله تعالى « فينسخ الله ما يلقى الشيطان » . ولا ندرى : كيف ينطق الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ بما نطق بعد أن حشوا قلبه الشريف ؛ الذي ينبض ، وحشيت عروق حلقه — التي ينطق بها — بالحكمة والإيمان ؟ هذا وإن ما قلناه في هذا الصدد : دون القليل ؛ ولو شئنا لجننا بما يملأ المجلدات الضخام . ولو سكت المسلمون على هذا القذى ، وارتضوا بهذا الأذى ! الذي اختلفه اليهود الملاعين ، ودسه غلاة المنافقين : لأصبح ديننا الطاهر ؛ كسائر الأديان الفاسدة المتداعية ! وهي ليست منا ببعيد !

( وإن أردت المزيد : فانظر كتابنا أوضح التفاسير ؛ عند تأويل هذه الآيات ) .  
وإن يضير أئمة الحديث — كالبخارى ، ومسلم ، وغيرهما — ولا ينتقص من أقدارهم : تسرب بضع أحاديث منكورة ؛ في هذا الخضم الزاخر بالصحة ، والجودة ، وأمانة النقل ، والإخلاص للعلم ، والله ورسوله !

### الدس في الحديث وغيره

وكيف لا يجوز الدس على مثل البخارى — رغم خطره ، وعلو قدره — وقد دس على الرسول نفسه صلى الله تعالى عليه وسلم : ذراع شاة مسمومة ؛ فأكل منها ! فكان صلى الله تعالى عليه وسلم : مصدقاً لمن قدم له الذراع ، وكان البخارى رضى الله تعالى عنه : مصدقاً لمن قدم له الحديث !

وقد اشتهر — من قديم الزمان — واضعوا الأحاديث ، ومزيفوها ؛ فلم يدعوا شيئاً إلا وولغوا فيه !

حق الإفتار ( وهو إتيان المرأة في دبرها ) وجدوا له ما يؤيده ويبرره ؛ رغم فحش مرتكبه ، وبعده عن الإسلام !

### كتمان الحق : لائم

وقد يوافقني كثير من المسلمين على ما أقول ؛ غير أن جبناً راودهم ، وتردداً خالطهم ؛ عن أن يجهروا بكلمة حق : قد تقر بهم من خالقهم ؛ غير أنها قد تباعد بينهم وبين المخلوقين ؛ وما يؤسف له أشد الأسف : أن هذا صار شأن كثير من فضلاء الأمة : الذين أضع فضلهم جبينهم ، وتخليهم عن قول ما يعتقدونه حقاً : قولاً صريحاً مدوياً ، كشأن المؤمن الصادق الإيمان !

ولن يبتلى الإسلام بشر ممن يكتب ما يعلم : خشية ضجيج الجهال ، وتعميق الغربان ، وتعميق الضفادع !

### من حق كل مسلم أن يجهر برأيه : نفيًا أو إثباتًا

فلا حرج على مثل أن يجاهر بما يعتقد ؛ ومن حق كل مسلم — يغار على دينه — أن يقول لي : قد أخطأت ، وجانبك الصواب ؛ ولا لائم على فيما قلت ، ولا لائم عليه فيما قال ؛ لأن كلانا ينشد الحقيقة المطلقة ، وكلانا يتغنى بثناء المولى سبحانه ؛ في كل ما يقول أو يدع ؛ هذا : ومسألة العروج بالرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه إلى السماء ، والتقاءه بمولاه : رب العزة سبحانه وتعالى ؛ مسألة ذات شطرين : أولاهما — مسألة العروج نفسه ؛ وهل كان بروحه فحسب ؛ أم بروحه وجسده معاً ؟ وقد رجح الاكثرون الرأي الثاني ( كما أوضحنا ذلك في أوضح التفاسير ) .

ثانيهما — الأحاديث الواردة في ذلك ، ومبلغ مجافاتها للعقل والذوق ، ومخالفتها لأبسط قواعد الإجلال والتقديس الواجبين لذات المولى سبحانه وتعالى ؛ ولرسوله عليه الصلاة والسلام !

### نتيجة أحاديث المعراج

فإذا ما بحثنا الأحاديث الواردة في الإسراء والمعراج : اصطدنا بمخضم مجاح ، متلاحم الأمواج ؛ وبحر لاغور له ولا ساحل ؛ من روايات شتى ، متلاحقة متباينة ، وكلها يدور

في محور واحد ؛ نخرج منه بنتيجة واحدة ؛ لا مناص منها ، ولا محيد عنها ؛ وهي الرفع من شأن موسى ، والخط من قدر محمد ! والرفع من شأن محمد ، والخط من قدر جبريل ! بل نخرج بالخط من أقدارهم جميعاً !

### موسى عليه السلام

فوسى — وهو من خيرة أنبياء الله تعالى — يتفوه بما لا يصح أن يتفوه به أو ساط الناس وعامتهم ، ويخاطب مولاه تعالى بالصياح والضجيج !

### محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

ومحمد — وقد بعثه الله تعالى رحمة للعالمين — يصير كالدمية في يد موسى ؛ يحركه كيف شاء ، ويكون مرشداً له ؛ فيأمره بالصعود والهبوط ، لمراجعة ربه سبحانه وتعالى تسع مرات ؛ فلا يخالف له أمراً ، ولا يعصى له إشارة ! وبذلك يعارض محمد ربه جل وعلا ، ويراجعه ؛ بما لا يصح أن يعارض به ، أو يراجع عبد سيده ؛ وهما صنوان ، من بني الإنسان ؛ فما بالك بالإنسان والرحمن ؟ !

### جبريل عليه السلام

وجبريل — وهو أمين الله تعالى على وحيه ، وكبير ملائكته ، ورسوله إلى رسله — لا يدخل السموات — التي هي مستقره ومقامه — إلا بإذن ، وقرع للأبواب ، وتنكر له ، وتجاهل لمركزه وصفاته ؛ بمن هم دونه من الملائكة !

### المولى جل وعلا : لا يراجع

والمولى سبحانه وتعالى — وهو رب العزة ، وبارئ النسم ، ومثو الخلق من العدم ، وخالق الكل ، ورازقهم ، وراحمهم ؛ يأمر مخلوقاته بما لا يطاق تحمله ، وهو القائل : لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . . . لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها . . .

ويراجعه واحد من مخلوقاته فيما أمر ؛ مرات عديدة ؛ وهو الذي لا يرد له أمر ، ولا معقب لما يريد ، والله يحكم لا معقب لحكمه . . . ما يبذل القول لدى . . .



ولسنا في هذه الحال : حيال شخصين متشابهين : يفضل أحدهما الآخر ؛ بل نحن حيال خالق ومخلوق ، وعابد ومعبود ، وإله وإنسان !

ليست بينهما مشكلة أو مقارنة : اللهم سوى علاقة عبد ببيده الأعلى ؛ وذلك العبد : يفخر بعبوديته ، ويباهي بها !

### إذاعة حديث المراج بالتليفزيون

هذا وقد فوجئت أخيراً في رمضان هذا العام (١٣٩٣ هـ) في التليفزيون المصرى ؛ بأحد العلماء الاعلام : فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، .

وهو من خاصة من عرفت ، ومن أقدر فضلهم ، وعلمهم ، ودينهم ! فوجئت به يتكلم في موضوع المراج : بتوسع ، وإسهاب ، وطلاقة ؛ بل وتأثر وتأثير روحى بالغين !

حسن سميت ، وطلاقة لسان ، وسعة علم ، ودقة فهم ! وكنت به معجباً أشد العجب ؛ حتى أنى كثيراً ما بكيت عند استماعى إليه ؛ وبالأحرى عند استماعى لذكر سيدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ! ولو كنت لا أقر ما أسمع !

ولكن العاطفة : لا تغنى عن بحث الحقائق مجردة من الدوافع : لتوضع الأمور في مواضعها ؛ خصوصاً ما يتعلق منها بكرامة الدين ، وما يمس حرمة الأنبياء والمرسلين !

ولكنى ما إن استمعت إليه : إلا وأدركنى — رغم بكائى — من الغشيان ما يدركنى دائماً حين أستمع لامثال هذه الأحاديث : التى أعتبرها سبباً للرسول عليه الصلاة والسلام ؛ لا مدحاً له ! ونقصاً في الدين لا إعلاء لشأنه ! وحطماً لقواعد الذوق والأدب ؛ لا إرساء لها !

وقد ذكرت ذلك لأعز صديق ، وأحب ابن : الأستاذ الدكتور محمد عمر زبير : عميد كلية الاقتصاد ، وأمين جامعة الملك عبد العزيز ( وهو صديق صدوق للأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى ) فرأيت — للأسف — مؤيداً لما سمعته منه . وهو في ذلك معذور . عذر الآلاف المؤلفة من صالحى هذه الأمة ! الذين يعقلون أنفسهم بعقال غيرهم ، ويتقيدون بقبود من الأوهام !

### نقض حديث المعراج

وقد دعاني كل ذلك إلى أن أدلى بما أراه صواباً : أثاب عليه ! فإن أصبت : فالحمد لمن وهبني الإصابة ! وإن أخطأت : فليأجرني الله سبحانه بقدر إخلاصي له ، وتمسكي بدينه ، وحي لرسوله !

ورجائي السلامة من سخطه ، والطمع في عفوه ومغفرته !

ومن رأى صواباً غير الذي قلته : فليردني إليه ؛ وهو في ذلك مشكور مأجور !  
وإني أعد من يفند رأني ، أن أنشره له : أمانة للعلم ، وبرائة من الجهل ! وأن ألزم برأيه ؛ إذا هداني الهادي له ، ووقفني إلى قبوله !

ولنبداً الآن — بعون من المولى سبحانه — في رد هذه الأحاديث ، وإثبات ما رأيناه باطلاً فيها !

ونحن إذا ما تكلمنا فيها : فلايس هذا بمنقص من أقدار أناس : وقفوا أنفسهم ، وقضوا حياتهم في حب الرسول عليه الصلاة والسلام ، واستقصاء أحاديثه الكريمة من مظانها ومنابعها ، وأحسنوا ترتيبها وتأويلها ؛ مخلصين في ذلك كل الإخلاص ، متعبدين به أسمى التعبد ؛ طالبين من الله مولاهم الحق : الرضا عنهم بما قاموا به ، وإحلالهم مستقر رحمته بما صنعوا ! وليس بمنقص من قدر البخاري ، أو مسلم رضى الله تعالى عنهما : بطلان بضع أحاديث وردت في صحيحيهما الخاويين لعشرات الآلاف من الأحاديث البالغة قمة الصحة ، وقمة الفضل والجودة !

وقد وعد المولى سبحانه بحفظ كتابه ، ولم يمدنا بحفظ كتب الصحاح من أحاديث رسوله ! والخطأ : جازر على كل مخلوق : عدا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام !  
فن ادعى أن إنساناً ما — من غيرهم — لم يخطئ : لزمته الحجة ؛ وكان هو المخطئ .  
في تصويره هذا !

والقرآن — الكريم — وقد وعد المولى سبحانه بحفظه — يجب تطويع العقول له ؛ لا تطويعه للعقول ! أما ما عداه : فيجب أن نأخذه بشرطة موافقته للعقل ، والعرف ، والدين ، والأخلاق .

### قواعد مناقشة هذا الحديث

وعلينا — قبل أن نناقش أحاديث المهرج — أن نضع أمامنا قواعد راسخة ، وأساساً ثابتة ؛ سداها ولختها : الأحاديث الصحيحة المعقولة المقبولة ، وآيات الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ،

فقد قال الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ حينما سأله بعض الصحابة رضوان الله تعالى عليهم : هل رأيت ربك ؟ قال عليه الصلاة والسلام ، ذلك نور أنى أراه ، أى كيف أراه ! وقول عائشة رضى الله تعالى عنها ، من قال : إن محمداً رأى ربه فقد أعظم الفرية . ثم قرأت ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير .

وقول المولى سبحانه ، وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء .

فهذه هي الصور الثلاث : التى لا يكلم المولى سبحانه بشراً إلا فى حدودها ؛ وتقييد الآية بالبشرية ، ما كان لبشر ، ولم يقل : ما كان لأحد ، أو ما كان لمخلوق . هذا التقييد : يحتمل تكليم المولى جل وعلا لغير البشر : كالملائكة المقربين مثلاً ؛ الذين هم ليسوا من البشر .

وقربهم من الله عز وجل ، وتلقفهم لأوامره مباشرة : قد يقتضى مكالمهم بغير هذه الصور الثلاث وقبودها .

وهذه الأسس التى ذكرت فى الآية الكريمة ؛ والأحاديث الصادقة ؛ التى ذكرناها : لا يستطيع مسلم — مهما كابر — أن يخرج عن منطوقها ، ولا مفهومها ، ولا إطارها العام . وذلك لأن هذه الأحاديث الصحيحة — بمدلولها ومعناها — قد أجمعت ، وتواترت على عدم رؤية الرسول الكريم ؛ لمولاه العظيم ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير .

وقد جاءت الآية الكريمة بما يقطع كل شك وريب : إذ أوضحت أنه لا يجوز ، ولا يصح : ولا يعقل ؛ أن يكلم الله بشراً ؛ إلا فى حدود الاستثناء الذى أوردته الآية : إلا وحياً : أى إلهاماً ؛ فى يقظة ، أو منام ، لأن من معانى «الوحى» لغة : الإلهام والكلام الخفى .

« وحياً ، كوحية تعالى لام موسى ، وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ، .

« وكوحية جل شأنه للنحل ، وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما يعرشون ، .

« وكوحية سبحانه وتعالى للخضر عليه السلام : بقتل الغلام ، وخرق السفينة ، وإقامة الجدار ، وما فعلته عن أمرى ، .

« وما منا : كرحية تعالى إلى إبراهيم ؛ حيث قال لولده إسماعيل عليهما السلام « يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال يا أبت افعل ما تؤمر ، .

« ومن يوحى إليه في المنام يسمى بالمحدث — بفتح الدال المشددة — وقد روى عن ابن عباس رضی الله تعالى عنهما : أنه قرأ « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث ، وهي قراءة شاذة : لعدم ورودها في المصحف الإمام .

« وقد ذهب الإمام الشوكاني إلى أن المحدث : هو الصادق الظن ، المصيب الفراسة . وذلك تأويلاً لقول الرسول عليه الصلاة والسلام « إنه قد كان في الأمم قبلكم محدثون ، فإن يكن في أمتي أحد منهم : فمعه منهم ، وذلك لأن عمر رضی الله تعالى عنه : قد جاء القرآن والوحى موافقاً لقوله في كثير من الأحيان : مثل اتخاذ الحجاب ، والأسرى ، والأذان ، وغير ذلك ؛ مما هو معروف .

« أو من وراء حجاب : بظهور صوت كريم ؛ لإله عظيم لا يتصف هذا الصوت بصفة من صفات أصوات المخلوقين : ارتفاع ، أو انخفاض ، أو نعومة ، أو خشونة ، أو جهورية . بل صوت : يسمع ويفهم حسب !

« كتكليمه تعالى لموسى عليه السلام ؛ عند الشجرة ، وتكليمه جل شأنه لنبينا محمد عليه الصلاة والسلام ؛ ليلة المعراج ، عند فرض الصلاة .

« أو يرسل رسولا : يرسل المولى عز وجل خيرة ملائكته : جبريل عليه السلام ؛ لخيرة خلقه : الأنبياء جميعاً عليهم السلام ، وإمامهم وخاتمهم : محمد صلى الله تعالى عليه وسلم !

« فإذا سرنا في مناقشة أحاديث العروج ؛ على ضوء ما قدمناه : ثبت لنا بما لا يقبل أدنى شك : أن الرسول الكريم ؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه قد كُلمه مولاة ؛ كما كلم موسى : صوت كريم ، بلا رؤية ، ونور بلا مصباح !

وفرض عليه وعلى أمته الصلاة ؛ كما فرض على موسى وأمه : ما فرض في الألواح  
التي أنزلت إليه .

كيف يكون محمد ك موسى ؟

بقي اعتراض واحد : يجوس في خاطري ؛ قبل أن يجوس في خواطر الآخرين ؛ وهو :  
كيف يكون محمد — وهو من هو : مكانة ، وقدراً ، وسمواً — في صف واحد مع موسى ؟  
وكيف يكون محمد : الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين ؛ كواحد من العالمين ؟

ولم أجد في نفسي عناء في الإجابة على هذا الاعتراض الجدلي !  
فستان بين من تجراً ؛ فطلب رؤية ربه « رب أرني أنظر إليك ، واحتاج  
— في إقناعه — إلى ذلك ذلك الجبل ، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقاً .  
فستان بينه ، وبين من طلب إلى السموات العلى ، فلم يرن بطرفه إلى ما جال بخاطره ،  
ولم يطلب من مولاه مستحيلاً !

وستان بين من كلفه ربه في أرضه ، ومن كلفه سبحانه وتعالى فوق سمواته !  
وستان بين من خاطبه المولى سبحانه بقوله « ولتضع على عيني ، ومن خاطبه الكريم  
بقوله « فإنك بأعيننا » .

### العودة إلى أحاديث المعراج

ولنعد بعد ذلك إلى مناقشة ما جاء في هذه الأحاديث ؛ وهي كثر : يضيق المقام عن  
ذكر بعضها ؛ وقد أصبحت محفوظة عن ظهر قلب للنخاص والعام ؛ فلا داعي لذكرها ؛  
مكتفين بذكر ما تناولته اعتراضاتنا لحسب ؛ ومن أراد التفصيل ؛ فمكتب الأحاديث  
ملاى بها ، وشق التفاسير غاصة بتفصيلاتها وتأويلاتها . وسنشير إلى بعضها إذا اقتضى  
المقام ذلك .

### شق صدر الرسول عليه السلام

١ — فقد جاء في بعض روايات هذه الأحاديث : أن جبريل عليه السلام جاء الرسول  
صلى الله تعالى عليه وسلم ، فشق صدره الشريف ، وأخرج قلبه ؛ ففسله بماء زمزم ، . . .

قال : فأثيت بطست من ذهب ، مملوءة حكمة وإيماناً ؛ فغشى بهما قلبه الشريف .

وقيل : إن قلبه الشريف ؛ قد شق مرتين .

ورواية الحديث تقول : غشى صدره ولغاديدته ، ( أى عروق حلقه ) .

وهنا يحق لنا ؛ بل لكل عاقل أن يعترض :

هل تُرى الحكمة والإيمان في الطسوت ؟ ولو كانت هذه الطسوت من ذهب ،  
أو ماس ، أو زبرجد ؟

وما الحكمة في أن المولى سبحانه وتعالى يجعل هذا أمراً مادياً ، ملموساً ، محسوساً ؟

وقد أورد المولى جل شأنه ؛ في كتابه الكريم ؛ على رسوله الرؤف الرحيم ؛ في شأن  
داود عليه السلام ، وآتاه الله الملك والحكمة ، وقوله عز من قائل : *ويؤتي الحكمة من يشاء* .

فكيف يؤتي المولى سبحانه وتعالى الحكمة لداود ؛ بل لمن يشاء من خلقه ؛ بغير شق  
صدره ، وإخراج قلوب ، وإدخال الحكمة فيها ؛ محمولة في طسوت من ذهب ؟

كل هذا وأمثاله : يجعلنا في حل من رد هذه الأحاديث وأمثالها ؟

ومن رأى قبورها ؛ فليقبلها ؛ وأمره مفوض لربه ؟

٢ - وقد قيل : إن جبريل عليه السلام : صلى بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم الظهر  
( أول صلاة : تعليماً له ) .

ويناقض هذا القول : حديث آخر جاء فيه : *لأنه صلوات الله وسلامه عليه ؛ صلى  
في كل سماء ركعتين يوم أملاكها* ؟

٣ - كما قيل : *لأنه عليه الصلاة والسلام : قد أسرى به مرتين ؛ لإحداهما ؛ في نومه  
- قبل النبوة - والآخرى : في يقظته .*

وقيل : أسرى به : يقظة ، وعرج به مناماً . . . الخ .

#### فساد القول بربط البراق

٤ - قد أجمعت الأحاديث الواردة كلها على أن الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ حينما  
وصل إلى المسجد الأقصى : نزل عن البراق ، ثم ربطه بحلقة باب المسجد . أو ربطه  
جبريل بالصخرة كما قدمنا .

### البراق ملكاً ؛ لا دابة

وهنا يحق لسائل أن يسأل : هل كان البراق دابة ؛ خشى الرسول الكريم أن تند ، أو تجفل ؛ وتنطلق في الصحراء ؛ كما يقع من شرار الدواب ؛ أم كان ملكاً مكلفاً بحمله صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، كما ورد في الكتاب الكريم .

فإذا افترضنا أنه دابة ؛ فإن من الأفراس والدواب ؛ من يقف عند صاحبه فلا يزول عن مكانه .

وإذا كان ملكاً — كما جاء في الأحاديث — فكيف يعامل الملك ؛ معاملة البهائم المعجاوات ؟

وفي الحالين : أين جبريل وميكائيل عليهما السلام ؛ وقد كانا يسيران في ركابه كما ورد ؛ وقد جاء في إحدى روايات هذا الحديث : أن جبريل عليه السلام أتى الصخرة ببیت المقدس ؛ فوضع أصبعه فيها فخرقها ؛ فشد بها البراق .

جبريل : الذي يرفع البلدة بما فيها ومن فيها إلى عنان السماء ؛ فيقلبها رأساً على عقب ؛ يخشى أن يتد منه البراق ؛ الذي يعلم أنه ليس بحيوان جموح ، ولا لإنسان طموح ؛ بل ملكاً من الأملاك ؛ الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

٥ — وجاء أيضاً في هذه الأحاديث : أن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ صلى في بيت المقدس ؛ ليلة أسرى به .

وقد أنكر كثير من الصحابة هذه الصلاة .

وقال حذيفة بن اليمان رضی الله تعالى عنه : لو صلى فيه ؛ لسكتبت علينا صلاة فيه .

وقد رأى بعض الصحابة الرسول عليه الصلاة والسلام في المنام — بعد لحوقه بالرفيق الأعلى — فقال له : يا رسول الله إن ناساً من أمتك يحدثون عنك في السرى<sup>(١)</sup> بمعائب . فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ، ذلك حديث القصاص .

١ — المراد بالسرى : الإسماء . والسرى ؛ كالمهدى ؛ سيرة عامة الليل .

### طرق جبريل لأبواب السموات

٦ - ويأتي بعد ذلك : الصعود إلى السموات ؛ وكيف كان يطرق جبريل عليه السلام باب كل سماء منها . فيقال له : من ؟ فيقول : جبريل . فيقال : ومن معك ؟ فيقول : محمد . فيقال : أوقد أرسل إليه ؟ فيقول : نعم .

### علم الملائكة : أوسع من علم البشر

هذا وإن من المقطوع به أن جبريل عليه السلام : رئيس الملائكة المكرمين ، وأن من في السموات يعلمون بصعوده إليها ، وهبوطه منها ؛ لأنهم ليسوا من البشر : الذين لا يعرفون وراء ما يرونه بأعينهم ، ويلسونه بأيديهم .

بل إن من البشر من يعلم من يطرق بابه ، ومن يكون مع هذا الطارق ؟

وعلى هذا أبسط المشتغلين بفن التنويم المغناطيسى .

ومن الواضح - عقلا ونقلا - أن ملائكة السماء : خير من سكان الأرض : معرفة لما يجري ، وإدراكا لما يدور .

وإن أردنا أن نوضح ذلك نقلا : فقد جاءنا جبريل الأمين ؛ بما أوحاه إليه رب العزة في قرآنه الكريم الحكيم ؛ على لسان الجن : « وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً ، وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً » .  
فأين الحرس إذن ؟ وأين الشهب ؟ عند وجود غريب عن السماء ؛ في السماء . إن لم تكن هناك بشارة بمجيء هذا الغريب ، واستعداد مسبق للقائه وتلقيه !

وما ذكر في الحديث ؛ في هذا الصدد : استهانة بملك الله سبحانه وتعالى ، وامتهان لمخلوقاته ؛ التي اختصها بقوى ، وقدرات ؛ ليست بمقدور البشر ، ولا طاقتهم !

### بكاء موسى عند لقاء محمد

٧ - وبعد ذلك : يذكر الحديث لقاء الرسول بموسى عليهما الصلاة والسلام ؛ وأنه بكى عند لقائه ؛ فقال له جبريل : ما يبكيك يا موسى ؟ فقال : أبكي لأن غلاماً بعث بعدى : يدخل الجنة من أمته أكثر من يدخلها من أمتي !



موسى عليه السلام : يقول عن الرسول عليه الصلاة والسلام : مثل هذا الغلام !

أف لمن يسمع هذا فيصدقه ! أو يسمعه فلا يحاربه !

وهذا الكلام الذى يزعمون أن موسى نطق به : يبتعد عنه دهما الأمة وغوغاؤها ؛

الذين نسمع منهم مثل هذا الابتذال !

فكثيراً ما نسمع مثل هذا الهراء ، والبذاء ؛ من طعام الناس ؛ فيؤذى سمعنا وأذواقنا

ما يقولونه !

هذا فضلاً عما فيه من الحقد على من وهبه الله تعالى خيراً وفضلاً من لدنه !

وهذا الحقد الذى يروونه صدر من ١٩

صدر من نبي من خيرة أنبياء الله تعالى ، وصفوة رسله ؛ وفي دار البقاء ؛ بعد أن أذهب

المولى سبحانه عن عامة الناس ودعواتهم : كل حقد ، وغل ، وحسد ؛ فما بالك بخاصة

الخاصة : من المرسلين والنبیین ١٩

وهذا القول : يتنافى مع قول الله تعالى ، ولإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من

كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه . قال أقررتم وأخذتم

على ذلكم إصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين .

فمنطوق هذه الآية الكريمة : يتنافى مع ما قاله موسى لحمد ؛ وقد أخذ الله تعالى على

موسى وعلى سائر الأنبياء معه : الموائيق والعهود على الإيمان به ونصرته !

وهل من الإيمان به ونصرته ، أن يقول عن محمد : مثل هذا الغلام ، وفي هذا القول

ما فيه ؛ من الكفر بقدر محمد ؛ لا الإيمان به ! وخذلانه ؛ لا نصرته ! ونقض ميثاق الله

تعالى ؛ لا الوفاء به !

وبعد ذلك يلزمونا لإزاماً بأن نتقبل هذا الحديث ، ونجعله أساساً من أسس

الدين والإيمان !

موسى لم يكن حاقداً على محمد

وموسى عليه السلام — وقد اختاره ربه رسولا نبياً — لم يكن في حياته الدنيا بمن

يتصف بهذه الصفات الخسيسة ؛ وإلا لما اختاره الله تعالى لما اختاره له ! فكيف به ،

وقد لقي مولاه ، وصار بقربه متمتعاً برضوانه ورضاه ؟ !

ووصف موسى لمحمد بالغلام ؛ فإنه فضلاً عن مجافاته للأدب ، ومنافاته للذوق ؛ فإن الغلام لغة : الصبي حين يقارب البلوغ ، والخادم الصغير .

### سن الرسول عند الإسراء

وقد أسرى بالرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه : بعد نبوته بعشر سنين ، وقد بعث بعد الأربعين .

والراجح أن سنه عليه الصلاة والسلام حين أسرى به : إحدى وخمسين سنة ، وتسعة أشهر ، وثمانية وعشرين يوماً .

أما من قال : إنه أسرى به قبل بعثته ؛ فقد أخطأ خطأ واضحاً فادحاً ؛

إذ كيف تفرض على أمته الصلاة ؛ ولم يرسل إليها بعد ، ولم يعلم بنبوته أحد . بل لم يعلم هو نفسه أنه سيكون نبياً يوماً ما ؛

٨ - وجاء أيضاً في هذه الأحاديث : أن الرسول عليه الصلاة والسلام رأى فوق السموات السبع : النيل والفرات - أى والله النيل والفرات ؛ وكلنا يعلم أن النيل : فى مصر . والفرات : فى العراق .

وكلنا يعلم أيضاً من أين ينبع النيل ، وأين يصب ، ومن أين ينبع الفرات وأين يصب . ومهما قيل من تعلات ؛ فهى حقائق ثابتة ، يجب النزول عليها ، والوقوف عندها ؛ فإن قيل : لانهما فى السماء ؛ يغذيان بمائهما نيل الأرض وفراتها . قلنا : إن سائر أنهار الأرض : ينزل ماؤها من السماء . حتى المسيسي ، وأمريكا ، والشمس ، وأنجلترا ، والراين ، وفرنسا .

### تقدم محمد وتراجع جبريل

٩ - وقد جاء فى هذه الأحاديث - المتكثرة الغريبة - أن محمداً وجبريل عليهما الصلاة والسلام ؛ حينما وصلا إلى سدرة المنتهى : قال جبريل لمحمد : تقدم أنت يا محمد ؛ فإنك إذا تقدمت : اخترقت ، وإذا تقدمت أنا : احترقت (١) ؛

١ - هذه هى رواية الأستاذ الشراوى ؛ كما رواها فى محاضراته التى القاها بالتلفزيون . ولم أعثر على هذا المنطوق فيما بين يدي من المراجع .

وهي قالة : ليس لها معنى ؛ سوى إرادة تفضيل محمد عليه الصلاة والسلام ؛ على جبريل عليه السلام ، وهي مسألة — كما قدمنا آنفاً — مقطوع بها ، ولا تقبل حواراً ، ولا جدلاً ! وفيها من الغرابة ما فيها : إذ كيف يحترق جبريل في المكان الذي يلججه في كل وقت وحين ؟ ! والذي هو مكان رضاء ورحمة ؛ وليس مكان عذاب ونقمة !

أليس جبريل : رسول الله ؛ إلى رسل الله ؟

وكيف يتقدم المرسل إليه ؛ ولا يتقدم الرسول ؟

وفي إحدى روايات هذا الحديث : أن جبريل عليه السلام وقع مغشياً عليه ؛ ولأول مرة نسمع أن أحد الملائكة وقع مغشياً عليه في الدنيا ؛ وقبل قبض أرواح الخلائق جميعاً عند القيامة .

ومن المعلوم أن جبريل عليه السلام : له صورتان : صورة يلتقي بها مع محمد عليه الصلاة والسلام ؛ لإيلاف قلبه ؛ وصورته الحقيقية ؛ وهي كما جاء في الأحاديث التي وردت في وصفه : ساداً ما بين الأفق ! فهل كان — عند غشيته — في صورته الحقيقية ؛ أم في صورته الإنسانية ؟

وهنا يطراً سؤال آخر : كيف يصعد جبريل إلى السماء مع الملائكة في صورته الإنسانية ؟  
١٠ — وبعد ذلك التقي محمد عليه الصلاة والسلام ؛ بربه جل وعلا ( كما يروون ) .

#### فرض الصلوات

قال : فخررت ساجداً لله عز وجل ، فقال لي يا محمد إني يوم خلقت السماء والأرض : اقترضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك .

عدم استطاعة القيام بهذه الصلوات

يا للهول ! رب العزة : الرؤف الرحيم ، اللطيف الكريم ؛ الذي أنزل في محكم كتابه ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، طاقتها . ولا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها ، من القوة والجهد .

يفرض الرب تعالى — الذي هذه صفاته ، وهذا كلامه — على عباده الضعفاء — فوق وسعهم وطاقتهم — خمسين صلاة في اليوم واللييلة !

ومن المعلوم أن اليوم والليلة : يحتويان على أربع وعشرين ساعة ؛ فيخص كل صلاة  
ثمانية وعشرين دقيقة !

فانظر بربك أيها المسلم العاقل ؛ وليس بغافل ! العالم ؛ وليس بجاهل ! العادل ؛  
وليس بظالم !

يقول المولى سبحانه وتعالى : وجعلنا الليل لباساً ، وجعلنا النهار معاشاً ، فأين اللباس ،  
وأين المعاش ؛ في هذا الخضم الزاخر بالقيام والقعود ، والركوع والسجود ؟ !

وقد قال الرسول الحبيب عليه الصلاة والسلام : إن الله تعالى لا يمل : حتى تملوا ، .  
وأى إنسان : لا يدركه الملل من صلوات خمسين يؤديها تبعاً : لا يكاد يجلس ؛ حتى  
يقوم ، ولا يكاد يقوم ؛ حتى يجلس ، وهكذا حتى تصعد روحه لبارئها ؛ لا أقول : راضياً  
مرضياً ، بل أقول : ضائعاً بما كلفه به الودود المجيد !

وأين الذي لا يمل من انقضاء ليله ونهاره في العبادة ؛ التي لا تترك له وقتاً لمعاشه ،  
أو لرعاية أبنائه ؛ بل ولا لإنجابهم !

اللهم سوى رسل الله تعالى وأنبيائه ؛ وعلى رأسهم محمد بن عبد الله : الذي بات يصلّي  
حتى تورمت قدماه !

### يجب أن تكون الصلاة : أحب العبادات للمؤمن

وإن الصلاة : وهي أحب العبادات لدى المسلم : المؤمن بالعطاء والجزاء : ليؤديها  
مؤديها ؛ وهو راغم ! وهو بذلك يكفر ، أو يقارب الكفر !

فالصلاة : التي هي عماد الدين ، بل عماد الحياة : أصبح المصلي — بالغاً ما بلغ من ادعاء  
الإسلام ، وتقوى الله تعالى ومحبه — أصبح يؤديها ؛ وكأنه عائد من مكروه أصابه ،  
وغم نزل به !

الصلاة : التي كان الرسول الأعظم صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ يقول لمؤذنه :  
أرحنا بالصلاة يا بلال ! والتي كان عليه الصلاة والسلام : يفرع إليها إذا حربه أمر ،  
أو لقيه مكروه !

هذه الصلاة نفسها ، وهذا أثرها ونفعها : أصبح المسلم — الذي ما فرضت الصلاة  
إلا من أجل راحته — يتعب من أدائها ، ويميل من وقتها !

وهي ما فرضت عليه ؛ إلا ليفزع إلى ربه - في ساحتها - إذا ناله مكروه ،  
أو نأبته نائبة ا

يلاقى المسلم إنساناً - وقد يكون هذا الإنسان كافراً : لا يؤمن بالله ، ولا باليوم  
الآخر - فلا يزالان في حديث تلو حديث : على شوق منهما وتلف ؛ وحين يفترقان :  
يمشى كلاهما سعيداً بما لاقاه من الآخر ؛ من حديث : قد يكون تافهاً ا وحب : قد يكون  
رياء ونفاقاً ا

يحادث صديقه : وهو منصرف إليه بكلية - في جده وهذره - فإذا ما وقف  
للصلاة مع ربه . ومالسه ، وخالفه ، ورازقه : حلت بأفكاره كل شواغل الحياة : حرامها  
قبل حلها ، وسيتها قبل حسنها ا

حتى إنه ليفكر - حين صلاته - في مؤمن يؤذيه ، أو صالح يرديه ، أو فتاة يتعشقها ،  
أو امرأة يسطو على عرضها ا

فانظر - رحمك الله وهداك - إلى أى مدى : ينزل الإنسان - مدعى الإسلام -  
بعلاقته مع ربه ا

يفرح للقاء صديقه ، ويحنوله ، ويرنو إلى حديثه .

أما الصلاة : فإنه يستكثر بضع دقائق : يقضيها في نعيم لقاء ربه ومناجاته . ويعود منها :  
وكأنما هو عائد من معسكر تدريب شاق ، أو من لقاء خصم عنيد ا  
وكأنما خلص من العناء ؛ إلى الراحة ، ومن الشقاء إلى السعادة .

فأى كفر هذا ؛ وأى إثم : يسوقهما الشيطان اللعين ، إلى أصدقائه من المطرودين ا

11 - وجاء أيضاً في هذه الأحاديث : أنه عليه الصلاة والسلام ؛ عند نزوله - بعد  
فرض الحسين صلاة - مر بموسى عليه السلام ؛ فسأله موسى : بم أمرت ؟ قال : أمرت  
بمخمين صلاة كل يوم ، فقال له : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف ؛ فإن أمتك لا تطيق ذلك ا  
قال : فلم أزل أرجع بين ربي ، وبين موسى ؛ ويحط عنى خمساً خمساً ( كأنه راجع  
ربه تسع مرات ) .

قال : ثم احتبسه موسى عند الخمس . فقال : يا محمد والله لقد راودت بنى إسرائيل  
قومي ؛ على أدنى من هذا : فضعفوا فتركوه . وأمتك أضعف أجساداً ، وقلوباً ، وأبداناً ،  
وأبصاراً ، وأسماعاً ؛ فارجع فليخفف عنك ربك .

فرجع محمد - كمادته في اتباع موسى ، والاستماع إلى ما يقوله - إلى ربه ؛ قائلاً .  
يا رب إن أمتي ضعفاء أجسادهم ، وقلوبهم ، وأسماعهم ، وأبصارهم ، وأبدانهم ؛ فخفف عنها .  
فقال الجبار تبارك وتعالى : يا محمد . قال : لبيك وسعديك ! قال : إنه لا يبدل  
القول لدى .

فرجع إلى موسى ؛ فقال : كيف فعلت ؟ قال : خفف عنا . أعطانا بكل حسنة عشر  
أمثالها ! قال موسى : قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ؛ فارجع  
إلى ربك فليخفف عنك أيضاً . قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : يا موسى قد والله  
استحييت من ربي عز وجل مما أختلف إليه ! قال موسى : فاهبط باسم الله !  
وقد زعموا أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد اختلف إلى ربه تسع مرات ؛ بغير حياة  
ولا وجل !

ويروى هذا الحديث رواه : بغير حياة ولا وجل !

ويصدق من يصدقه : بغير حياة ولا وجل أيضاً !

وكان موسى عليه السلام : فيما قاله نصحاً لمحمد عليه الصلاة والسلام : أرأف لعباد الله  
من الرؤف الرحيم ؟ وأعرف بهم من خالقهم عز وجل !

١٢ - وفي بعض روايات الحديث : أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ؛ مر على  
موسى ؛ وهو يصلي في قبره (وأين قبره من السماء السادسة ؟)

### ارتفاع صوت موسى على صوت مولاه !

١٣ - هذا : وفي بعض روايات هذا الحديث الغريب : أن الرسول عليه الصلاة والسلام  
- وهو في السموات العلى - سمع صوتاً عالياً ؛ فقال لجبريل عليه السلام : ما هذا  
يا جبريل ؟ قال : هذا موسى . قال : ومن يعاتب ؟ قال : يعاتب ربه فيك ! قلت : ويرفع  
صوته على ربه ! قال جبريل : إن الله قد عرف له حديثه !

يا لهول ما يقال ! ويا لفتوح ما نسمع ! ويا حسرتا لمن يصدق هذا الهراء !

يقول المولى سبحانه وتعالى في قرآنه المجيد ؛ تأديباً للأمة ، وتعريفاً لقدر رسوله عليه  
الصلاة والسلام : يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له  
بالقول كجهر بعضهم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون .

والنبي عليه الصلاة والسلام : بشر مثلنا ؛ ولو أنه ليس كسائر البشر ا  
فياقئ موسى : فيرفع صوته فوق صوت ربه ، وخالقه ، ومالكة اإنها لإحدى الكبر ا  
وياحق من يصدق ذلك ؛ ويا بؤس من لم يدفعه ، ويحارب من أجل بطلانه ا

### ثم دنا فتدلى

وفي بعض روايات الحديث ، ثم دنا الجبار فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى .  
١٤ - وقد جزم الأستاذ محمد متولى الشعراوى - فيما ألفاه بالتليفزيون - بأن قول  
المولى سبحانه وتعالى ، ثم دنا فتدلى ، يعنى أن الجبار القهار : دنا من محمد ، وتدلى إليه ا

وزعم أنه دنو : لا كدنوننا ا وتدلى : لا كتدليتنا ا

وهو قول قاله قلة لا يعتد بها ، وقد ردّ على ذلك فضلاء الصحابة جميعاً ، ونفوه نفيماً  
قاطعاً ، وعابوه عيباً شديداً ا

فهذا الدنو المزعوم : ليس كزول المولى سبحانه إلى السماء الدنيا ( كما ورد في  
الاحاديث ) وليس كقوله تعالى ؛ في الحديث القدسى ، من أتاني ماشياً أتيته هرولة ... الخ ،  
فليس هذا حقيقة واقعة ؛ بل هو على سبيل المجاز .

وإلا إذا تصورنا أن المولى سبحانه يدنو من بعض عبيده ويتدلى إليه ، وينزل بنفسه ؛  
لا بأمره . وأنه تعالى يمشى هرولة ا

إذا تصورنا هذا حقيقة : لكان بعدنا عن الصواب : بعد الله سبحانه وتعالى عن  
مشابهة مخلوقاته ا

ومن عاب هذا التأويل - الذى أيدته الشيخ الشعراوى - جملة من الصحابة ؛ منهم  
ابن مسعود ، وأبو ذر الغفارى ، وعائشة ، والبيهقى : من المتأخرين ، وغيرهم ، ولا يعرف  
لهم مخالف من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ؛ في هذا التأويل . وأكدوا أن المراد  
بالدنو ، والتدلى ، والرؤية : جبريل عليه السلام ، ولا قول يقبل خلاف هذا ا

وقد أثار أيضاً الأستاذ الشعراوى حديث ، رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد  
الأكبر ، وكان هذا الحديث لم يرق لديه ؛ فتناوله ببعض النقد ؛ مقررراً ألا جهاد يفضل  
الجهاد فى سبيل الله ا وقد غاب عنه أن جهاد النفس : هو السبيل الأوحد للجهاد فى سبيل  
الله ؛ الذى لا يجيىء إلا بواسطة مجاهدة النفس ، وقهرها عن شهواتها ا وبذلك ترخص  
أمامها الدنيا ، وتغلو الآخرة بما فيها من نعيم مقيم ا

١٥ - هذا ، وأنه لما لا شك فيه ؛ أن رسولنا الكريم صلى الله تعالى عليه وسلم ؛  
أفضل الرسل على الإطلاق ، وإمامهم !

### إبراهيم والملوك

وإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؛ الذي أنزل المولى سبحانه في حقه ، وكذلك نرى  
إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين ، .

قد يقول قائل : كيف لا يرى محمد : ما رآه إبراهيم عليهما الصلاة والسلام ؛ من  
ملكوت السموات والأرض ؟

فإذا ما استوعبنا معنى الآية الخاصة بإبراهيم عليه السلام : وجدنا أنه رأى من  
ملكوت الأرض : فساد عبادة غير الله سبحانه وتعالى ، وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر  
أتتخذ أصناماً آلهة لئني أراك وقومك في ضلال مبين ، .

ورأى من ملكوت السموات : كبار الكواكب ؛ فظن أنها قد تكون أرباباً ، فلما  
جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر  
بازغاً قال هذا ربي . . . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال  
يا قوم إني بريء مما تشركون ، (١) .

ولما تبين له فساد ما عليه صحيحاً ؛ لطروء التغير عليه ، والإله : يجب أن يكون ثابتاً  
لا يتغير : طلب الهداية من مولاه ، الذي خلقه ورباه ، قال لئن لم يهدني ربي لا كون  
من القوم الضالين . . . إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا  
من المشركين ،

فلما رأى إصرار قومه على عبادة ما لا يجوز أن يعبد ؛ بعد إبداء الحجج الناصحة  
القاطعة على فساد تلك العبادة : شرع في إفهامهم بالطريقة التي لا يستطيع فيها عاقل ، فأتى  
أصنامهم وحطمها بيديه وجعلهم جذاذاً ، .

١ - الراجع أن إبراهيم عليه السلام : فعل ما فعل ، وقال ما قال : ليجاج قومه ، ويعلمهم أن هذه  
الكواكب - رغم عظمتها ونفاستها - لا يصح عقلا أن تكون آلهة ؛ فما بالهم بالهتهم الحسية ؛ التي  
هي من الحجر الأصم ، وسياق الآيات تقتضي ذلك التأويل .



وهي الحجة الملموسة ؛ التي لا يتطرق إليها شك : مخلوق يحطم الخالق وبهشمه ،  
فلا يستطيع الخالق أن ينال منه شيئاً !

هذا مبلغ مارآه إبراهيم من ملكوت السموات والأرض .

### محمد والملوكوت

فإذا ما أردنا أن نتفهم مدى إرادة رسولنا عليه الصلاة والسلام لملكوت السموات  
والأرض : نرى أنه صلى الله تعالى عليه وسلم آمن بربه جل وعلا ؛ فوق إيمان الملائكة :  
جبله ، وعصمة ، ووحياً !

آمن حين نزل من بطن أمه ؛ موحدأ ، رافعأ أصبعه إلى السماء ، مرجحأ بصره إليها !  
وظل صلوات الله تعالى وسلامه عليه : محضوفاً بعناية ربه وكلامته ؛ فلم يقع منه ما هو  
خلاف الأولى ؛ ولم ينزل من عليائه إلى عموم المباحات !

بل ظل طوال حياته : يرتقي درجات الكالات ؛ مدفوعأ إليها بنفسه الطاهرة ، وبمعونة  
من ربه تبارك وتعالى ؛ حتى بلغ عنان السموات ! فاختصه مولاه بما اختصه ، وحباه بما حباه !  
ولاقي بعد ذلك من عنت قومه وأذاهم ؛ مالاقى ! فلم ينن ذلك من عزمه ، ولم يفت  
في عضده !

بل جادلهم بالحجة والموعظة ! وكلما ازداد إيداؤهم له : ازداد عطفه بهم وعليهم !  
وكلما زادوه حمقأ وسفهاً : زادهم حليماً ورفقأ !  
ولم يزدده وضمهم له بالجنون ، والسحر ، والكذب ؛ سوى دعاؤه لهم بالهداية  
« رب اهد قومي فإنهم لا يعلمون » .

هذا هو خيرة أنبياء الله ؛ كما أراد له الله !

وهو ليس في حاجة إلى إعلاء شأن ، أو رفعة قدر ؛ فقد أعلى المولى الكريم شأنه ؛  
ورفع قدره !

١٦ — هذا وقد تطرق الأستاذ محمد متولى الشعراوى ( في محاضراته التي ألقاها في  
التليفزيون ) إلى قوله تعالى « لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، وأن لفظ « الكبرى » ،

ليست وصفاً للآيات ؛ بل المعنى : لقد رأى الآية الكبرى من آيات ربه . مريداً بذلك المعنى : آية لقائه ليلة المعراج بربه ، وفرض الصلوات عليه .

وهو معنى لا نوافقه عليه ؛ على استحياء منا ، لتقديرنا لمزيد فضله ، وغزير عله ، وفائض تقواه !

فكما قال المولى سبحانه لمحمد ، لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، فقد قال نظيره لموسى ، ولزريك من آياتنا الكبرى ، ولا فرق في الحالين بين اللفظين ؛ وبالتالي بين المعنيين .

فوسى : رأى آيات كثيرة من آيات ربه : مكاملة المولى سبحانه له ، وإبدال العصا حية ، وإنارة يده بعد وضعها في جيبه ، وفضح سحر السحرة الذين جمعهم فرعون لمحاربه ، وإيمانهم به !

ومحمد : رأى أيضاً آيات كثيرة من آيات ربه : في أرضه ، وفوق سمواته : حيث أطلعه مولاه جل شأنه على عجائب خلقه ، ومآلم عنده !

فرأى — في سموات ربه عز وجل — عدل القضاء ، وصدق الوعد ؛ لمن استوجب الحسنى ! وتأكد الوعيد ؛ لمن استوجب السوأى !

ورأى جنة مولاه وناره ، بغير قيد أنهما في السموات .

ورأى من آيات ربه آيات وأى آيات !

ثم عاد إلى حيث كان ؛ وقد تجسدت أمام عينيه المعنويات ؛ فصارت حسية ؛ لا شبهة فيها ولا غموض !

كل هذه الآيات ، أراها له مولاه ؛ من غير طلب ولا مطمع !

فقد كان يطلب منه دون ما رآه ؛ فيؤمر أن يقول ، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً .

فأبدله المولى المتفضل عن تضيق أهل الأرض عليه : شرف الصعود إلى السماء ، وسعتها !

رد هذه الأحاديث :

١٧ — وهذه الأحاديث التي أشرنا إليها : قدردها بعض أفاضل رواة الأحاديث ، وعلمائهم :

فقد أورد الإمام ابن كثير أغلبها ، وأشار إليها بقوله :

مشمتم على أشياء منها ما هو صحيح ، ومنها ما هو منكر !

لأن بها غرابة ، ونكارة جداً !

سياق فيه غرائب عجيبة !

في بعض ألفاظه غرابة ، ونكارة شديدة !

وقد قيل عن بعض رواة الحديث : إنه اضطرب في هذا الحديث ، وساء حفظه ،

ولم يضبطه !

١٨ - وحين يقول المولى سبحانه وتعالى لنا معشر المسلمين ، من يطع الرسول فقد

أطاع الله ، : فإنما يريد منا أن نطيعه جل شأنه بطاعة رسوله ؛ الذي لا ينطق عن الهوى !

وطاعته صلى الله تعالى عليه وسلم : واجبة فيما أمر به أو نهى عنه ؛ أو فعله بنفسه .

كل ذلك حال حياته .

ويستمر الأمر بتلك الطاعة ؛ بعد لحوقه بالرفيق الأعلى ؛ بشرط أن يصح ما ينقل عنه

صلى الله تعالى عليه وسلم صحة كاملة ، وأن يكون ما يروى عنه صلوات الله تعالى وسلامه عليه

في حدود الاخلاق ، والمعقول ، والمقبول : ذوقاً و عرفاً !

بل في حدود ما عرف عنه عليه الصلاة والسلام : من كريم السجايا ، وحسن الخلال !

فإذا ما روى راو : أن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه قال ، حبيب إلى من

دنيا كم النساء ، وجب أن نذيع كذبه ، وأن نشيع فسقه !

وإذا ما روى راو : أن الرسول المعصوم رأى زينب بنت جحش ؛ وقد كشف الهواء

ثيابها ، فأعرى ساقها ، وأنه هويها ، وبدا لها منه ما يدل على ذلك ؛ فذكرته لزوجها زيد :

فطلقها ليتزوجها الرسول !

إذا زعم ذلك زاعم ، قلنا له : كذبت ، وخسئت !

لذلك : لا يجوز أخذ مثل هذه الأحاديث على علاتها ، بغير ما تمحيص ،

وفهم ، وتدقيق !

لذا أنها مصدر من مصادر التشريع ؛ كالقرآن تماماً !

والقرآن : قد حفظه منزله عز وجل ! ونحن مهما بالغنا في المحافظة على الأحاديث ،

فلن نبلغ ما بلغه القرآن من حفظ المولى له ! وأين حفظ البشر ، من حفظ خالق البشر ؟ !

### الإفراط والتفريط

١٩ - هذا وإن آفة كل الأمم : الإفراط والتفريط .

#### اليهودية :

فالامة اليهودية : فرطت في كل شيء - حتى الاعراض - وأفرطت في حب المال وحده ، وجمعه : يسرقون في سبيل جمعه ، ويقتلون !  
يجمعونه من حل أو حرام ( وقد يحلو الحرام عندهم عن الحلال ) ويهدرون في سبيل ذلك كل مقدساتهم ( إن كانت لهم مقدسات ) .

#### النصرانية :

والامة المسيحية : فرطت في حق ربها ، وأفرطت في حق رسولها : فجعلت من رسولها إلهاً ؛ وما هو بإله ! وابن إله ؛ وحاشا للإله أن يلد ! وذبيحاً من أجل خطاياهم ؛ التي لا يضيئها صلب آلاف الانبياء !

#### الإسلامية :

والامة الإسلامية - حفظها الله تعالى ، ونق عنها أضرارها - فرطت في حق ربها من التكريم والتبجيل ، وأفرطت في حق رسولها : أكرم الرسل عليه الصلاة والسلام ؛ حتى قاربت أن تقول فيه ما قالته وتقولته النصرى في نبيهم !

دع ما ادعته النصرى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم !

وما نحن أولاء نردم عما فرطوا فيه في حق ربهم ، وما أفرطوا فيه في حق نبيهم !

#### الطريق إلى نقض ما اتجهنا إليه

وعلى من يريد أن يؤيد هذه الاحاديث ، وينقض ما قلناه فيها : أن يسائل نفسه هذه الاسئلة ، وأن يحسن الإجابة عليها :

١ - لماذا شق صدره الشريف ؟

وإذا كانت الإجابة : لإخراج حظ الشيطان منه . قلنا : ولم شق صدره الشريف مرتان — كما جاء في بعض الأحاديث — وهل حظ الشيطان يعود بعد الشق والغسل ؟

٢ — هل شقت صدور كل الأنبياء ؟ أم بقي فيها حظ الشيطان ؛ كسائر بني الإنسان ؟ أم كان الشق : خصوصية لمحمد عليه الصلاة والسلام !

وما تأويل قوله تعالى : عن يوسف عليه السلام ، إنه من عبادنا المخلصين ، وقول إبليس ، ولا غوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين .

فكيف كان يوسف : بمن لا سلطان لإبليس عليهم ؛ من غير شق صدور ؛ وكان صدر نبينا عليه الصلاة والسلام : فيه حظ للشيطان ؛ احتاج معه إلى شق صدره الشريف مرتين ؟

٣ — وإذا استسغنا أن صدره الشريف قد شق فعلا ؛ فكيف نستسغ حشوه حكمة وإيماناً ؟!

٤ — وإذا سلنا بجميع ذلك ؛ فكيف نعرف الحكمة والإيمان في طسوت ولو كانت هذه الطسوت من ذهب ، أو فضة ؟!

٥ — لماذا ربط الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم البراق في حلقة باب المسجد الأقصى ؟ أو لماذا يخرق جبريل عليه السلام صخرة بيت المقدس بإصبعه ، ويربط فيها البراق ؟ كما جاء في بعض الروايات ، وهل كان الرسول عليه الصلاة والسلام : يعلم أن البراق ملكا ، أو دابة ؛ أو لا يعلم ذلك ؟

٦ — لماذا سئل جبريل عند كل سماء عن نفسه ، وعن معه ؛ وهو معلوم لأهل السماء ؛ معرفة لا تقبل الشك ؟

٧ — وهل اعتاد الغرباء : طرق أبواب السماء ؛ ليقترح لمن يراد إدخاله ، ويرد في وجه غيره ؟

٨ — لماذا قال جبريل لمحمد عليهما الصلاة والسلام — عند بلوغهما مدرة المنتهى — تقدم يا محمد ؛ فأنت إذا تقدمت : اخترقت ، وأنا إذا تقدمت : احترقت ؟!

وإذا كانت الإجابة : لظهور فضل محمد ، وعلوه ، ودنوه على جبريل : فأين يكون جبريل إذن : عند تلقيه من رب العزة ؛ ما يلقيه إلى أنبياء الله تعالى ، وعلى رأسهم محمد عليه الصلاة والسلام !

- ٩ - كيف يكون النيل والفرات ؛ فوق السبع سموات ؛ وهما في الارض : تحد منابهما ، وتعرف مصابهما ؟
- ١٠ - كيف يتصور إنسان أن يراجه إنسان آخر - فيما يقوله ، أو فيما يأمر به - ثلاث مرات ؛ بغير ما وجل ، أو استحياء ؛ فكيف بإنسان يراجع رب العزة تسع مرات ؟
- ١١ - ولماذا وضع موسى - في هذا الحديث - موضع المرشد لمحمد ، والناصح له ؟ ولم لم يكن ذلك الناصح إبراهيم - مثلاً - وهو رأس الملة الخنيفية ، وأب الانبياء ، وجد لنبينا : عليهم جميعاً الصلاة والسلام ؟
- ١٢ - كيف يستسيخ إنسان أن ينسب إلى موسى الحقد على محمد ، وامتهان قدره ؛ مع عله برئاسته له ، وهيمته عليه ؛ فيبكي - حقدأ وحسداً - ويقول عنه : مثل هذا الغلام ؟
- ١٣ - كيف يعقل عاقل ؛ امتهان موسى لعزة ربه وجلاله ؛ فيخطبه مخاطبة الند للند ؛ بل أخط ، وأشد ؟
- ١٤ - ما الرد على ما قاله أئمة المفسرين والمحدثين من كلام تناول هذه الاحاديث ؛ يبلغ حد الطعن في صحتها ، وإنكار ما حوته ، وتجريح بعض روايتها ؟

### كلمة أخيرة

إنه لا يضير اللالي والجواهر ، ولا ينقص من قدرها ، ولا يطمس من نورها وضوئها : أن يعلوها غبار عابر !

ولا يطمس في أصلاتها وجودتها أن يقوم مسلم بإزالة هذا الغبار ؛ الذي لحق بهذه الجواهر واللالي ؛ فتبدو أكثر لمعاناً ، وأشد بريقاً وتلألؤاً !

وإذا ما وازنا بين خدش ذلك الطود الشاخ الذي بناه جلة العلماء ، وأئمة أهل الفضل والصدق من المحدثين ؛ بعدد أن أفنوا حياتهم في تحصيله ، والحرص على نفي الشوائب عنه ومنه !

إذا وازنا بين ذلك ، وبين هدم ما بناه المولى سبحانه وتعالى في رؤسنا من موازين : لا نؤاخذ إلا بها ، ولا نثاب إلا بنتائجها !

لا نجد مناصاً من اتباع ما أراده الله جل شأنه من عباده ؛ حين خاطبهم بقوله : لقوم يعقلون ، لقوم يتفكرون ، أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها .

فإذا عرضنا ما ورد في هذه الأحاديث على العقل : نفاها . أو على الفكر : أبأها ، وإذا تدبرناها : وجدنا الحق فيما سواها !

فكيف نلقى يوم التلاق ربنا ؛ وقد عقلنا أنفسنا بعقال غيرنا ؛ واتبعنا مالا تستسيه عقولنا التي وهبناها ، لنفترق بها بين الحق والباطل ، والعالم والجاهل !

فإذا قيل : إنه البخارى ومسلم ؛ وما أدراك ما البخارى ومسلم ! قلنا ما قلناه آنفاً : إن المولى سبحانه وتعالى لم يعدنا إلا بحفظ قرآنه الكريم وحده ، ولم يعدنا بحفظ غيره ؛ ولو كان هذا الغير : البخارى ومسلم !

وهذه سنة المولى سبحانه وتعالى ، حتى كتبه الأخرى ؛ التي أنزلها ملائكته على أنبيائه ورسله ؛ لم يحفظها ؛ لأنه لم يعد يحفظها !

ولن يضير البخارى ومسلم : أن يعاب بضع أحاديث من عشرات الألوف من الأحاديث البالغة نهاية الصحة ، وغاية الدقة !

فمن ذا الذى ترضى سجايه كلها كفى المرء نبلا : أن تعد معايبه !

وليس معنى ذلك ؛ أن يأتي كل من هب ودب ؛ فيعترض على أحاديث سيد الخلق ؛ التي صححت روايتها عن سادة الأمة الإسلامية ؛ ويقول : هذا الحديث غير معقول ، أو هذا الحديث غير مقبول ؛ لهوى فى نفسه ، وغرض قذفه الشيطان فى قلبه !

فإن تكذيب حديث الرسول عليه الصلاة والسلام : كالكذب عليه تماماً !

عافانا المولى بئمه وكرمه : من التكذيب والكذب ! فقد قال عليه الصلاة والسلام ، من كذب على عمداً متعمداً : فليتبوأ مقعده من النار .

وقانا الحنان المنان : شر ناره ، وبؤأنا مقعد صدق مع من رضى عنهم ورضوا عنه ! وبالذى قدمناه من بحث وأدلة : تبلغ فى مجموعها حد اليقين : نخرج بفتيحة واحدة لا مناص منها ، ولا محيد عنها ؛ هى أن هذا الحديث وأمثاله مدسوس على فضلاء المسلمين ؛ من أعداء الدين ؛ وعلى رأسهم اليهود الملاحين ؛ ليشوهوا به جمال الدين — وهو فى قمة الجمال — وليحطوا من جلال الإسلام — وهو فى قمة الجلال !

وقد أردنا بما قلناه ؛ ردّ سهامهم في محورهم ، وكيدهم إلى صدورهم : ليوموا  
دائماً بالخزي والخسران !

ولا يخفى على القارئ الحكيم : أن عتاة اليهود كانوا يملأون الجزيرة العربية :  
سكناً ، ومكراً ، وكيداً ، ولؤماً وخبثاً ، وجبناً !

ولم يكن لهم من سلاح يستخدمونه سوى هذا السلاح الذي أتقنوه ، ويتقنونه دائماً !

حانا المولى سبحانه من كيدهم ، وأبان لنا سوء مقصدهم !

ولولا ضيق المقام ؛ لآتيناه فوق ذلك بالعجب العجاب !

وحسبنا الله ونعم الوكيل ؛ نعم المولى ؛ ونعم النصير ! ولا حول ولا قوة إلا بالله ؛

وسبحان الله ونحمده ، سبحان الله العظيم !

---

هذا وقد رأينا — إتماماً للفائدة — أن نلحق بهذا الباب : بعض أخطاء المفسرين ،

وسقطات المحدثين !



أخطاء المفسرين : قدامى ومحدثين  
وسقطات المحدثين

بعض أخطاء المفسرين ، وسقطات المحدثين |

ذهب كثير من فضلاء المسلمين إلى عدم جواز ربط بعض الآيات الكونية بالعلم الحديث ؛ بحجة أن مفهومات العلوم الحديثة : تتغير بتغير النظريات العلمية التي كثيراً ما يخطئ .

فلا يجوز أن نربط معاني الآيات بهذه النظريات ؛ فننسب بذلك إلى القرآن الكريم : ما لا يصح أن ينتسب إليه .

وهذا القول صحيح إلى حد ما ؛ بيد أن هناك نظريات علمية : بلغت حد المحسوسات والمرئيات :

فليس من أحد يستطيع أن يتشكك في كون الأرض كروية ، أو أنها متحركة ، أو أنها تدور في فلك الشمس . . . الخ هذه العمليات المقطوع بها .

هذا وقد حركت هذه الافكار شجوني وأشجاني ، وبعثت في نفسي الالاسى مما رأيته وقرأته في أمهات كتب التفسير — قديمها وحديثها — مما دسه بنو إسرائيل للملاعين |

ولاني إذ أسوق بعض الامثلة ، فإنما أسوق منها النزر اليسير ؛ الذي يتسع له المقام .

ومن المعجب أن ما دسه اليهود : قديم قدم الإسلام . وقد أخذه عنهم نفر من كبراء

المفسرين ؛ جرياً وراء غريب القول ، ومعجب القصص |

وقد نقلها الناقلون ، ورواها الراوون ؛ حتى بلغت حد التواتر واليقين |

وجميع ما وقع فيه المفسرون : وقموا فيه بحسن نية ، وفهم ساذج .

بيد أنهم لم يزنوا ما رووه ونقلوه ؛ بموازن الفهم الصحيح ، ولم يقيسوه بمقاييس القيم والاخلاق ، ولم يفرقوا بين صحيح الأقوال وسقيمها .

هذا وقد منى الإسلام : من بدء ظهوره ، وانبثاق نوره : بأعداء بغاة طغاة ؛ جبابة

في إعداد الشر ، وتدبير المكر |

فما فتشوا — حين وأو آياته البينات ، ومعجزاته الظاهرات — أن حاكوا الاحابيل ،

ونسجوا الاباطيل ؛ حول ما أنزله الله تعالى من قرآن كريم ، وهدى مستقيم |

ولم يكفروا بذلك ؛ بل دسوا في أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام : ما هو برى .  
من قوله ، أو التحدث به .

وإن ديناً يبدأ بمثل هذه القوة ، ويتغلغل في نفوس معتنقيه بمثل هذه السرعة : لجدير  
بأن يلفت أنظار خصومه للكيد ، ويحتمهم على النيل منه !

فلجأ اليهود — وهم العدو الأول للإسلام والمسلمين ؛ بل هم أعداء كل ملة ودين —  
وقد كانوا يسكنون وقتذاك الجزيرة العربية ؛ وهم أبد الدهر : أهل مكر ، ودس وخداع ا  
لجأوا إلى افتراء الأكاذيب وإسنادها إلى إمام الأنبياء ، وسيد الأتقياء ، وخير أهل الأرض  
والسما ، عليه الصلاة والسلام . ليطفثوا بذلك نور الله تعالى ، والله متم نوره ولو كره الكافرون .  
وأسندوا رواية هذه الأحاديث إلى فضلاء الصحابة . الذين اشتهروا بالصدق ،  
وامتازوا برجاحة العقل وكمال الإيمان !

والذى يدعو إلى العجب والغرابة : أن العلماء الأعلام ؛ الذين تصدوا الرواية الأحاديث  
النبوية وشرحها ، وزعموا الدراية بها ، ومعرفة الصحيح والسقيم منها : لم يشيروا إلى هذه  
الأحاديث وأمثالها بالتجريح والتضعيف ؛ بل كان كل منهم : بمح حال روايتها ، وهل هم  
من لفيث الثقة الذين يركن إليهم ، ويسند عنهم ؛ أم ممن اشتهروا بالغفلة والفسيان ؟  
وقد فاتهم — أثابهم الله تعالى — أن الكافر الكذاب ؛ حين يسند حديثاً مفترى عن  
الرسول : إنما يسنده إلى أجل الرواة ، وينسبه إلى ألقاهم وأصدقهم .

فكم من حديث افتروه على الصادق المصدوق ، وكم من قصة اختلقوها وزيفوها !  
ومن عجب أن هذه الأحاديث ، وتلك القصص : وجدت مرتعاً خصيباً ؛ في بيئة  
أعجمية : اعتنقت الإسلام — تقليداً لا اقتناعاً — فقلتها في كتبها ، وأشادت بها في  
تأويلاتها ! فوقمت في تلك الأحابيل ، وعللت مادونه بشق التعاليل . ونقلها عنهم  
ضعيفوا الفهم . قليلوا الدراية والعلم . فسارت بين المسلمين : سير النار في الهشيم !  
وقد تصدى لدفعها والتبرى منها بعض العقلاء المفكرين ، وتصدى للدفاع عنها بعض  
الأغبياء المنفيين ! وإليك الدليل ، وعلى الله قصد السبيل !

قصة زينب بنت جحش

فمن ذا الذي يصدق أن النبي الأمين — الذي بعث لينتم مكارم الاخلاق — رأى زينب بنت جحش ، فهويا ، وراقت في نظره ، وقال سبحان مقلب القلوب ، وهي زوج لرجل آخر مسلم ، من أفراد أمته ، والتي بعث إليها ليهديها ، لا ليسبها ١٩

وأنه كان حريصاً على روثيتها ؛ فحدث عند مروره : أن بعث الله تعالى ريحاً فرفعت الستر ، وزينب ما عليها إلا ثوب واحد ، فرأها فوقع في نفسه ، فأظهر أنه أت ملاقة زيد .

والأغرب من هذا : أنهم يروون أن النبي صلوات الله تعالى وسلامه عليه ، قال لزيد — بعد طلاقها — « ما أجد في نفسي أوثق منك فأخطب زينب لي . »

وأن ذلك كان من النبي عليه الصلاة والسلام : امتحاناً لإيمان زيد ، وشدة يقينه : أيقوم بالوساطة خير قيام ، أم لا ؟

أيقوم بالسفارة بين من أحب امرأته — وهي في عصمته — واشتهاها ، وهي حلاله وحده ، لا يشرك فيها إنسان : استحلبها بكلمة الله ، وتمسكها بشريعة الله !

هل يقوم زيد بالسفارة بينها وبينه ؛ أم تأخذه العزة بالإثم ، فيقول : لا إن ضميري لا يطاوعني ، ونفسي تتأني أن أخطب امرأتى ، التي طلقتها ؛ لأن إنساناً آخر رأها فأحبها ، ولو كان هذا الإنسان نبياً ؛ ولو كان هذا النبي محمداً !

وروا أيضاً أن المولى سبحانه وتعالى قد أشار — بعد إيراد قصة زواج الرسول عليه الصلاة والسلام من زينب — إلى جواز كل ما تقدم بقوله : « سنة الله في الذين خلوا من قبل ، أى سنة الله في الأنبياء السابقين : كداود ، حيث جمع بينه وبين من فتن بها . كما جمع بينك وبين زينب ، وقد فتنت بها (١) !

والأعجب من هذا : أن يأخذ بعض من يشهد لهم بالتقدير والتقدير ؛ من كبار علماء الملة المحمدية ومنهم الإمام الغزالي في كتابه « الوجيز ، في فقه الشافعي — في كتاب النكاح — يأخذوا هذه الأسطورة القذرة ، فيقولوا : إن النبي إذا نظر إلى امرأة فأعجبته : طلق من زوجها وحلت له !

(١) انظر المزيد في تفسير القرطبي ، والطبري ، وغيرهما من أئمة المفسرين . عند تأويل قوله تعالى « فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكمها » .

وفاتهم ذكر : هل عليها أن تعتمد ، أو أن يحوزها النبي بغير عدة ، ولا لإبراء رحم ١٩  
وكيف يحوز نسبة بعض ذلك لسيد الخلق ؛ وقد أمر أمته فيما أمر : ولا تخطب على خطبة  
أخيك ولا تسم على سومه ، فكيف ينهى عن خطبة المخطوبة ، ويختطف الزوجة من  
زوجها ؟ ! وكبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً .

ويمثل هذا المنطق الفاسد ، والفهم الخاطيء المظلم : كانوا يعالجون هذه المسائل  
الشائكة ، التي تذهب بكرامة الدين ، وتودي بحرمة فضلاء الأنبياء والمرسلين !

### قصة داود عليه السلام

ومن ذا الذي يصدق أن داود ، عليه السلام : فعل ما لا يفعله أقل الناس خلقاً  
وديناً : فنظر إلى امرأة عريانة ، فشفغف بحبها ، ولما سأل عنها : علم أنها زوجة أحد  
جنوده ؛ فأرسله على رأس جيش — ليقتل لا لينتصر — فعاد منتصراً ظافراً ، فأرسله  
مرة أخرى ، وأخرى ، حتى قتل فتزوجها ١٩

### قصة سليمان عليه السلام

ومن ذا الذي يصدق أن سليمان ، عليه السلام : فعل فعل السفهاء الجهال ، فقتل من  
الحياد — التي أعدت للجهاد — عشرات الألوف ١٩

### موسى ومحمد ، والمعراج

ومن ذا الذي يصدق أن أكرم الرسل وإمامهم : رأى ربه رأى العين ، وراجعه  
مراجعة الند للند — بإيعاز من موسى — عند فرض الصلاة خمس مرات .

ولامر ما : كان موسى آمراً ، ومحمد مأموراً ! وكان موسى هادياً ، ومحمد مهدياً !  
وكان موسى ناصحاً ، ومحمد منتصحاً !

ولامر ما : كان موسى يتبوأ مكان المرشد لمحمد : الذي أرسله ربه : رحمة للعالمين ؛  
وموسى من العالمين !

### زيادة ما ليس في القرآن

ومن ذا الذي يصدق أن الرسول عليه الصلاة والسلام — الذي لا ينطق عن الهوى —  
يذكر من القرآن ما ليس في القرآن . فيقول : « أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة  
الأخرى ، تلك الغرانيق العلاء ، وأن شفاعتهن لترتجى !  
فآمن من المشركين خلق كثير : لمدح آلهتهم في الكتاب الذي أنزل على محمد !

### سحر الرسول عليه الصلاة والسلام

ومن ذا الذي يصدق أن الرسول عليه الصلاة والسلام . وقد أنزل عليه ربه فيما أنزل  
« والله يعصمك من الناس ، قد سحره لبيد بن الأعصم اليهودي . حتى أنه ليخيّل إليه أنه  
يأني الشيء فلا يأتيه .  
وليس ببعيد على مثله — وحاله كما وصفوا — أن يخيل إليه أنه قد أوحى إليه ،  
ولم يوح إليه شيء ! أو أنه قد بلغ : ولم يبلغ !  
ويصدق عليه قول المشركين والكافرين : « إن تتبعون إلا رجلاً مسحوراً ، .

### يوسف عليه السلام

ومن ذا الذي يصدق أن يوسف الصديق عليه السلام : قد همّ بامرأة العزيز هما  
لا يتوهم أن يقع فيه أحط الفساق ، وذكروا في تفصيل ذلك : ما أنزه لسانى عن ذكره ،  
ولا أودى الأسماع بقوله !

### نسبة الفحش إلى أذى خلق الله !

ومن يصدق أن الرسول الكريم : يجلس بين صحابته ، فيقول : « أوتيت قوة أربعين  
في البطش والجماع ، .  
ويقول أيضاً : « حجب إلى من دنيا كم الطيب والنساء ، والله تعالى يقول في كتابه  
الذي أنزله عليه « زين للناس حب الشهوات من النساء ، .  
والمزين طبعاً : هو الشيطان . أو النفس الامارة بالسوء !  
يا للدهاية الدهياء ، والفتنة العمياء : الرسول عظيم الشأن ، جليل القدر : يقول على ملا

من الناس : أنا أحب النساء ! هذا في حين أن القرآن الكريم المنزل عليه من ربه العظيم ؛ يقول في معرض الذم والقدح ، زين للناس حب الشهوات من النساء .

ولم يكف هذا الكافر المفتري على أفضل الخلق تلك الفرية ؛ بل سندها بأخرى أشد منها وأخرى .

إذ يروى عن الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه أنه قال ، أوتيت قوة أربعين في البطش والجماع .

يا للهول ! الرسول المبرأ من كل عيب ، البعيد عن كل ذنب يقول لصحابته : أنا في قوة أربعين منكم في الجماع . فتصور — يا هداك الله — رجلاً يقول لك مثل هذا القول التافه السقيم البذيء ؛ أكننت مصاحبه أم مجانبه ؟ أكننت محابيه أم معاديه ؟ أيستوجب بقوله هذا احترامك أم تحزيتك ؟ وانظر في أي موضع يضعون من وصفه ربه بالخلق العظيم ، وانك لعلى خلق عظيم .

إن مثل هذا الكلام لو نسبته لإنسان كائن من كان ؛ لاحظ الناس : لثار وغضب ؛ فإياك بنسبته لأعلى الناس قدراً ، وأسماء خلفاً !

ولم تغف هذه الأحاديث عند حد المساس بكرامة الرسول عليه الصلاة والسلام فحسب ، بل تعدته إلى محيط الشرائع ؛ فقد رووآ فيما رووا ، حديث الرضاع ، (١) .

ومثل هذه الأحاديث الكاذبة ، والأقاويل الباطلة يضيّق المقام عن ذكرها ؛ فانظرها إن شئت مستوفاة في كتابنا ، الفرقان .

والرسول عليه الصلاة والسلام : محفوظ — بأمر الله تعالى — من الشيطان ، ونفسه أزكى من نفوس الملائكة !

وجميع ما قدمت : تكاد تجمع عليه أمهات كتب التفاسير المتقدمة ، مع توثيقه وعننته .

وهذا قل من كثر ، وغيض من فيض ؛ فلو أردنا أن نسوق كل ما ياباه العقل ، والذوق ، والدين ، والقرآن ؛ لما وسعنا هذه العجالة .

فإذا كان هذا حال فضلاء البشر وهداتهم ؛ فكيف بعامة الناس ودهماتهم !؟

(١) أنظر هذا الحديث في مبحث الإسراء والمراجع المتقدم .

### التفاسير المحدثه

أما التفاسير المحدثه : فقد رأينا فيها ما يتنافر ومعاني القرآن : التي أرادها الرحمن !  
فقد قرأنا في بعضها — على سبيل المثال ، لا على سبيل الحصر — قرأنا تأويلاً لقوله تعالى :  
« قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم أو من تحت أرجلكم ، أن المراد  
« عذاباً من فوقكم ، هو ما تلقيه الطائرات ، من قنابل ومهلبكات .  
وأن المراد « أو من تحت أرجلكم ، هو الديناميت : الذي يدسه الأعداء  
في باطن الأرض .

وهو قول بادى التشكف ، ظاهر التعسف !

لأن الله جلت قدرته : قد أنزل الصواعق من فوق الرؤس ، وسخر البراكين : تلقى  
بالأحجار والنخم ، وبعث الزلازل والحسف من تحت الأرجل : فأهلك بما أنزله من  
فوق الرؤس ، وما بعثه من تحت الأرجل : أمماً شتى مكذبة !

تشهد بذلك آثارها ، وأطلالها ، وأخبارها !

ورأينا — من بعض علمائنا المحدثين — من يقول على ملأ من المسلمين : إن المراد  
بقوله تعالى : « وهو على جميعهم إذا يشاء قدير ، : جمع أهل السماوات والأرض ، في الدنيا .  
جراً وراء من يزعم أن اختلاط سكان الأرض بسكان الكواكب : صار قاب  
قوسين أو أدنى !

وهو قول لا ترى كبير عناء ، في الرد عليه ، سوى : لإيراد قول الحكيم العليم :  
« هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين ... فكيف إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ... ونفخ  
في الصور فجمعناهم جمعاً ... ليجمعنكم إلى يوم القيامة ... وتندر يوم الجمع ، .  
إنن فالجمع المقصود — بين سائر المخلوقات — في الآخرة : لا في الدنيا . وأن اليوم  
الآخر : من أسمائه « يوم الجمع ، .

ورأينا أيضاً — في بعض التفاسير المحدثه والقديمه — تأويلاً لقوله تعالى عن أصحاب  
الكهف : « ولشوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ، أن « ثلاثمائة ، بالتاريخ  
الميلادى . و « ٣٠٩ ، بالتقويم الهجرى .



وهو تكلف لا داعى له ألبته : يتنافى مع لغة العرب التى نزل بها القرآن .

قال الشاعر : كانوا ثمانين وازدادوا ثمانية .

ولا يعقل إطلاقاً أن مقصد الشاعر العربى : كانوا ثمانين . بالتقويم الشمسى ، وثمانية

وثمانين ؛ بالتقويم القمرى !

ولإنما المعقول المقبول فى التأويل عند ذوى العقول : أن الله تعالى بعثهم من مرقدهم

على رأس الثلاثمائة من السنين : وكان من أمرهم ما كان ! ثم أنامهم تسع سنين فى كهفهم ؛

ثم أماتهم كما يميت غيرهم .

وكذلك رأينا من يقول : إن قيام الساعة سيكون فى تمام عام ١٨٠٢ هجرية : استناداً

إلى قوله تعالى : ولا تأتیکم إلا بغتة .

وحساب لفظ « بغتة » بالجل ١٨٠٢ الباء ٢ والغين ١٠٠٠ والتاء ٤٠٠ والتاء الثانية

٤٠٠ أيضاً ؛ فيكون المجموع ما ذكرناه .

وهو قول هراء : ينفيه صريح القرآن : بأن وقت الساعة لا يعلمه إلا الله تعالى وحده :

« قل إنما علمها عند ربى ... إن الله عنده علم الساعة ... إليه یرد علم الساعة » .

وهذه الأقوال التى أوردناها : بما ننزه قرآننا المجید عن السقوط إليه ، وننزه أنبياء الله

تعالى عن الوقوع فى مثله !

وما هو إلا انحذار فى الخلق والمفاهيم : أدى إلى اتباع أقوام ؛ ينسبون فى كتبهم المنزلة :

المبدلة : إلى أنبيائهم : أحط الدنيايا والخطايا !

فقد ذكروا عن لوط عليه السلام : أنه سكر حتى ثمل ، ثم زنى بابنتيه ، وأنهما حملتا

منه ؛ بتحريض من أمهما !

وليس بغريب منهم أن يدسوا علينا في ديننا ما ليس فيه ؛ لنتساوى معهم في هذا  
الإفك والبطلان !

ولإنما العيب كل العيب : أن نرى الخطأ فلا نحجوه ، والباطل فلا نزيله ، والكفر  
فلا نحاربه !

### الذين ينتسبون إلى الإسلام

وهو منهم براء

ويأتى بعد ذلك دور إناس : زعموا أنهم مسلمون ؛ وما هم بمسلمين ! وأنهم عالمون ؛  
وما هم بعالمين ! وأنهم مفسرون لآيات الله ؛ وما هم بمفسرين !

لقد أرادوا بحملهم ؛ أن يخضعوا آيات الكتاب الكريم لأفهامهم ، وأن يذيعوا ذلك  
الإفك في كلامهم : المكتوب ، والمسموع ، والمنظور .

وما يدعو إلى شديد الأسى والأسف : أن تفتح لهم أجهزة الإعلام أبوابها  
— في الدولة المسلمة — بغير رقيب ، ولا حسيب !

فتسمع نعيقهم في الإذاعة ، وترى صورهم الكالحة البغيضة في التلفزيون .

ويظهرون في جميع ذلك بمظهر المرشد المستبصر ؛ الذي يريد هداية المؤمنين ، ويحفظهم  
من الأخطاء التي وقع فيها سلفهم من خير العصور حتى الآن !

فالصحابة جميعاً كانوا مخطئين بما ارتكبوه من مخالفة صريحة للقرآن : بإباحتهم التعدد :  
قولا وعملا !

ألم يقل المولى سبحانه وتعالى : فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة ، وقوله : ولن تستطيعوا  
أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، وبذلك يكون المولى جل وعلا : أباح التعدد ، فانكحوا  
ما طاب لكم من النساء ، . ومنه بقوله : ولن تستطيعوا أن تعدلوا ، .

بمثل هذا الإفك والهرأ : يتكلم بعض العلماء والكتاب ، ويذاع في محطات  
الإذاعة المصرية .

( انظر المزيد في مبحث تعدد الزوجات )

وبأق بعد ذلك لإنسان : مفتون بعلمه ، مدلل بنفسه ؛ وهو يدعى ( الدكتور مصطفى محمود ) وهو ليس بالمصطفى ، وليس بالمحمود !  
فينسكرك في صراحة — لا تقبل الشك — وجود جنة ، أو نار ؛ بالمعنى المفهوم لدى المسلمين ، والمبين صراحة في القرآن الكريم .

ويكتب هذا المفرور في المجلات السيارة هذه المعاني بأقبح صورها ! ويتبجح لم يرتكبه مسيلمة الكذاب في أوج كفره !

وقد نصحناه كثيراً — يطريق أحد الفضلاء — فلم يرعو ؛ بل سار في غيه وبغيه ! وقد سمعناه أخيراً بالتليفزيون بدمه وولمه ؛ يذيع أفته المعاني ، وأقبح المفاهيم ! ويخوض في معاني القرآن الكريم خوفاً يستأهل معه اعلان كفره ، وفسقه ، وخروجه عن دائرة المسلمين !

فمؤ يبدأ حديثه بإيهام المستمعين أن سائلاً سألته ، وأنه سيجيب على هذا السؤال .  
وبعد ذلك يدلي بسؤال تافه ؛ أعد الإجابة عليه ، ويجيب بما يحلو له ، ويحلو أيضاً استماعه ؛ لما حواه من زيف ؛ يسر بعض المستمعين .

فمن ذا الذي يعترض على أن الله : غفور ، رحيم ، ودود ؟  
ومن ذا الذي يخالف في أن التأمل في خلق السموات والأرض ، والأفلاك ، والانجم : واجب على كل مسلم ؟

وبعد ذلك يدس من الإلحاد والكفر ما يدس !  
حتى أنه في بعض أحاديثه : أراد أن يطعن في الحدود التي أقامها الله تعالى لعباده ؛ ليربهم بها ، ويكف أذاهم بتوقيها : شنع عليها بقوله : كيف نستطيع قطع يد السارق ؛ وقد أصبح المجتمع كله لصوص : فمن يقطع من ؟ ( يقصد المجتمع العربي الإسلامي طبعاً ) لأن الحديث كان منسباً عليه .

وعرج بعد ذلك إلى رجم الزاني ؛ فقال : إن القرآن اشترط لثبوت الزنا شهود أربعة ؛ فمن ذا الذي قبل أن يزني يدعو أربعة أشخاص ( يتفرجوا ) عليه ؟ !

وقس على ذلك باقي الآثام المستحقة للحدود !  
وهكذا يسير بنا هذا المصطفى محمود في خضم من الكفر ، والإلحاد ؛ الذي يدبر لها ويبيت !

ومن الغريب - مع الأسف الشديد - أن يعاونه في نشر هذه السخائم ، والسخافات :  
أرقى أجهزة الإعلام في الدولة ؛ بغير ما تحفظ !

والأعجب من هذا : أن من بين مستمعيه طبعاً كثير من العلماء الاعلام : فلا يتعب  
أحد قلمه بدعوة هذا المغرور إلى السكف عما يذيعه ؛ أو يطلق لسانه لدى المسئولين بمنعه  
عن هذا الهراء ، والبذاء !

وكان ضمن ما قاله أيضاً : إن النار والجنة ؛ ليستا بالنار المعلومة لنا ، ولا بالجنة  
التي وعدناها .

بل لإنهما : نار التفكير ، وجنة الضمير !

وأنه ليس من المعقول أن يعذب الله - رغم عظمته ورحمته - عبداً ضعفاء أمثالنا !  
وأن النار المحرقة : كيف يكون فيها شجر يظل ، وماء يشرب ، وحديث يتبادله أهلها ؟  
مستدلاً بقول القرآن الكريم : لإنها شجرة تخرج في أصل الجحيم ، وقوله جل شأنه  
: وسقوا ماء حمياً ، وقوله سبحانه وتعالى : كلما دخلت أمة لعنت أختها ،  
وتكلمهم في النار ، وتلاعنهم ؛ وأشبهاء ذلك .

وغاب عن هذا الغر أن النار ذكرت ، في القرآن ١٢٦ مرة . والجحيم - وقصد بها  
النار - ٢٦ مرة . وجنم - وقصد بها النار أيضاً - ٧٧ مرة . والهاوية ، والظى ،  
وغير ذلك من الأسماء ؛ التي تعبر عن النار ، فيصير ذكرها أكثر من ثلاثمائة مرة :  
لا يؤخذ من أحدها ما فهمه ذلك العبقري ؛ الذي يؤكد أنها ليست بنار محرقة !

أما الجنة : فقد صال في معناها وجمال : ونعى على من فهم أنها : أنهار ، وأطيار ،  
وأشجار ؛ قائلاً : إن الجنة ليست بسوق خضار ؛ وكرر هذا اللفظ عدة مرات .

وإني لن أدعو عليه بأكثر من أن يحرمه الله تعالى هذه الجنة ، ولذيق ما فيها ؛ إذالم  
يسارع بالاستغفار والتوبة !

وكأنى به ؛ وقد أراد أن يطوع القرآن الكريم لمعان جالت بخاطره ؛ أوحى بها إليه  
الشیطان العين ؛ ليكون من جملة أوليائه الفاسقين !

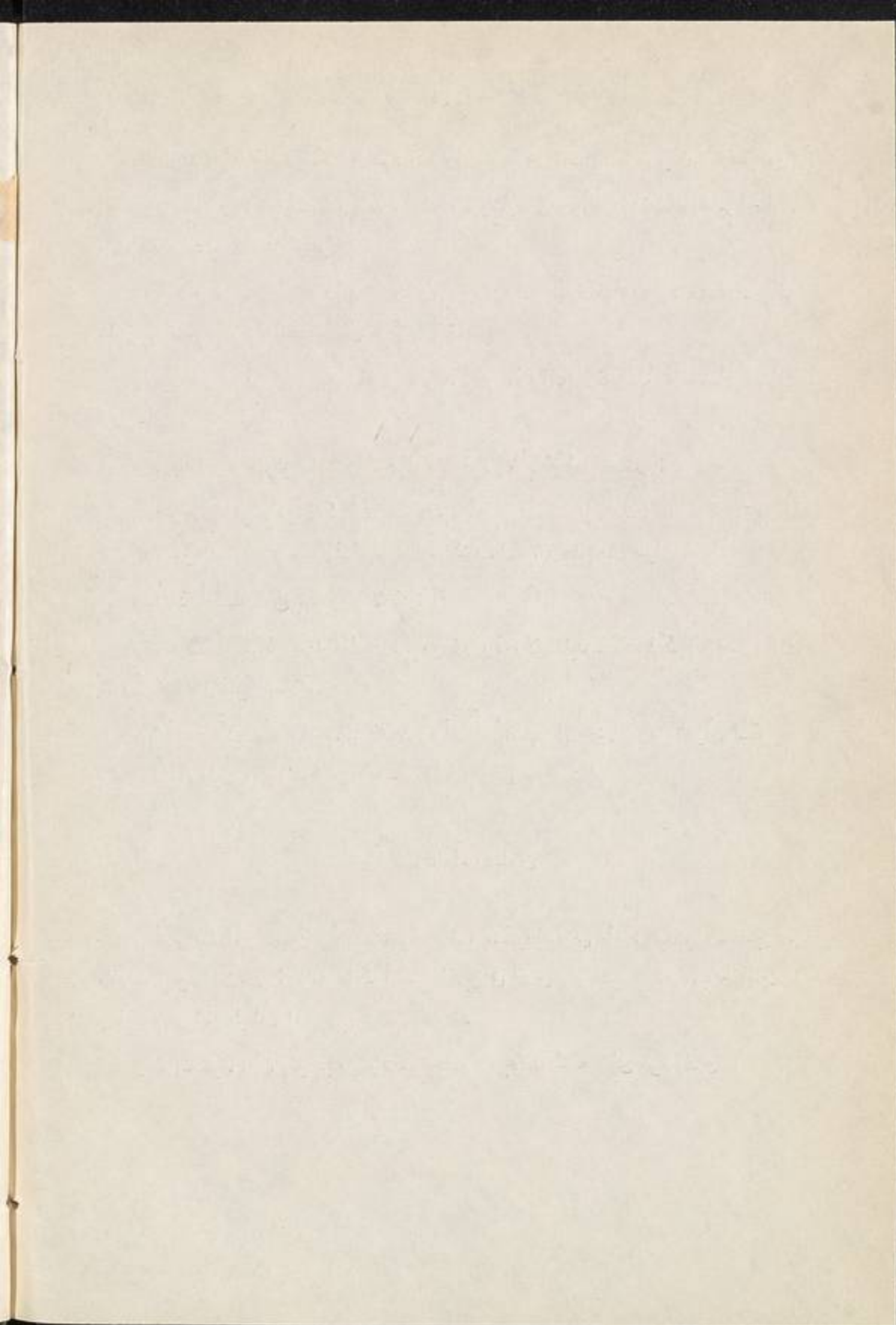
هذا وإن ما نادى به الدكتور مصطفى محمود ؛ لم يكن هو أول من نادى به ؛ فقد نادى  
به من قبل بعض الفرق التي اشتهرت بالمروق عن الإسلام !

بل وزادت عما قاله : إنكار وجود آدم وإبليس ؛ وزعمت أنهما رمزان لا أصل لهما ؛  
وإن أحذر كل من يصغى إلى هذه السفاسف والترهات ، وأنذره بغضب الحلم الجبار ؛  
وبالانتقام الدينوى ؛ فى النفس ، والمال ، والأهل ؛  
وفى الآخرة يقال لهم ، ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون ... هذه النار التى  
كنتم بها تكذبون . . انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ، .  
وأقول لهم اليوم ، بهدى من الله ؛ ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحقكم بعذاب  
وقد خاب من افتري ؛

وحسبنا الله ونعم الوكيل ؛ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ؛  
هذا وجميع أقوال من ذكرناهم — باسمهم أو برسومهم — إن دلت على شيء ؛ فإنما  
تدل على سوء فهمهم ، وعدم المسامحة بما فى كتاب الله ، وحديث رسول الله ؛  
هذا إذا أحسنا الظن بهم وبمقائدهم ؛  
وقد اكتفينا بذكر بعض ما قالوه ؛ من غير رد ولا تفنيد ؛ لأن ذكره وحده : كافٍ  
لهدم أركانه ، وظهور بطلانه ؛  
ولا أدرى كيف يقحم مصطفى محمود ، وأمثاله أنفسهم فى خضم تأويل القرآن الكريم ،  
وهم أول الجاهلين به ، المنكرين لآسسه ، الداعين إلى هدمه ؛

#### واجب علماء المسلمين

وجدير بعلماء المسلمين : أن يجتمعوا فى شبه مؤتمر إسلامى عام : فيذهبوا المسلمين إلى  
مادسه اليهود الملاعين ، وما حاكه أعداء الدين فى الدين : بقصد هدم بنيانه المتين ؛  
وتقويض ركنه الركبن ؛  
والله المسئول : أن يعز دينه ، وينصر جنده ، ويحفظ كتابه ؛ إلى يوم الدين ؛



اللهم معنا! فضل نحن مع الله؟

126

جان و کمال



لقد جرت سنة المولى سبحانه : أن ينصر من ينصره ، وإن تنصروا الله ينصركم  
ويثبت أقدامكم .

ونصر العبد لله تعالى : أن يعمل ما أمر به ، ويحجب ما نهى عنه ، وهنا يتحقق نصر  
المولى سبحانه له ؛ كما جاء في كتابه الكريم ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ،  
كما جرت سنته تعالى أيضاً أن يكون مع من اتقى من عباده ، وأحسن مع عباده  
، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ،

وتقوى المولى جل وعز : خشية غضبه ، وابتغاء مرضاته ، والتماس عفوهِ وغفرانه ؛  
هذا وقد ذاق الشعب المصري الأمرين ؛ في انتظار نصر المولى سبحانه له على أعدائه  
وأعداء الله : وأنى يأتينا النصر ؛ وقد ازددنا بعداً عن أسبابه المؤدية إليه ، والموجبة له ؛  
فالفجور : هو الفجور ؛ والتغالي في الإيمان : هو التغالي ؛ والتغالي في العصيان :  
هو التغالي ؛

والبعد عن الله سبحانه ، واستمرار معاصيه ، والمجاهرة بها ؛ كل ذلك كان  
شأغلتنا وديدنا ؛

فلما ضاقت بنا السبل ، وضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وضاقت علينا أنفسنا ،  
وأيقنا ألا ملجأ من الله إلا إليه ؛

وقد قال الرسول الأعظم صلى الله تعالى عليه وسلم ، صنفان من الناس ؛ إذا صلحا :  
صلح الناس ، وإذا فسدوا : فسد الناس ؛ العلماء والأمراء ، لجأ حينذاك علينا ،  
وذو الرأي والأمر فينا إلى الله ، وحكموا بسياسة العلم والإيمان ، وسيادتهما ؛  
فاستجاب الغفور الودود لعباده الضعفاء ؛ فجعلهم من الأقوياء ، وأخذ بأيدي المساكين ؛  
إلى النصر المبين ؛

وكانت بداية نصره تعالى في يوم العاشر من رمضان المعظم عام ١٢٩٣ حيث عبر  
جنودنا الأشاوس قناة السويس ، واجتازوا خط بارليف ؛ بعد تحطيمه وتمزيقه ؛

وبعد أن استمر اليهود لإملاء الله تعالى لهم ، وأمنوا كيدهم ، وظنوا أنهم ما نعمتهم حصونهم  
من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب .

وصار جند الرحمن يحرزون النصر تلو النصر ؛ حتى اشترأبت الأعناق لإيهم ، وصاروا  
موضع المجد والفخر طوال الدهر !

هذا وقد سرت — أثناء القتال — أنباء ؛ أثارها انتصار الجيش المصرى المجيد ،  
على قوى الشر والعدوان ؛ التي لا تقهر : فقهرتها !

فمن قائل : إن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد روى في المعركة !

ومن قائل : إن جنوداً مجهولة اشتركت في القتال مع المقاتلين !

ومن قائل : إن مقاتلات العدو : كانت تلقى حمولتها المهلوسة بعيداً عن أهدافها !

وقد أثار ذلك بعض الكتاب ؛ الذين ابتعدوا عن الروحانيات ، التي تحس بالحس ؛  
لا باللمس . وترى بالبصيرة المدركة . لا بالبصر الزائف !

ولم يتحقق لديهم إلا ما يدرك باللمس ، ويرى بالعين ، ويسمع بالأذن !

وغاب عنهم أن الإيمان : مشروط بالغيب ؛ الذين يؤمنون بالغيب .

وقد كتب الدكتور فؤاد زكريا ، الأستاذ بكلية الآداب ؛ مقالا مطولا ؛ بعنوان

( معركتنا والتفكير اللاعقل ) نشرته له جريدة الأهرام بعددها الصادر في يوم الاثنين

٢٦ نوفمبر ١٩٧٣ بين فيه أن مثل هذه الإشاعات : انتقاص من قدرة الجنود الذين قاتلوا ،

وامتحان لعقول العقلاء ؛ وأن هذا تفكير لا عقلى ، وأنه بدعة ، وخرافة ، وتصديق ساذج !

القول بما جاءت به الشريعة المطهرة ، وأنزله الله تعالى في محكم كتابه : امتحان للعقول ،

وبدعة ، وخرافة ، وتصديق ساذج ٢١١

لقد وقع في كل هذا — من حيث لا يشعر — بتفكيره اللامعقول ، وحرصه على نشر

هذه السخافات في بلد : شرع في العودة إلى الله ، وفي الانتصار بالله ، والإجابة لله !

وقد غاب عن هذا الكاتب الساذج أن التفكير اللاعقلى : معترف به لدى سائر العقلاء !

فإن جنودنا — أتم الله تعالى عليهم نعمة النصر — قد قاموا بواجبهم خير قيام :

لركونهم إلى مولاهم ؛ الذى خلقهم ورباهم ، وملا قلوبهم قوة وعزماً وإقداماً !

فلو أنهم تركوا التوكل على الله ، والاستعانة به : ما أتاها النصر بالصورة التي تم بها ،  
والتي أشاد الأعداء قبل الأصدقاء بدقتها وروعها !

وهذا الكاتب الساذج : أراد أن يدافع عن الجنود وقدرتهم : في حين أنه قد نبى  
عنهم أسمى وأعلا الصفات : وهي تقوى الله تعالى ، والاستعانة به !  
وهي أعلى من رتب البسالة والإقدام ؛ بل هي الوسيلة الوحيدة للحصول على البسالة  
والإقدام !

وهل التوكل على الله سبحانه وتعالى : قد أصبح في هذا الزمان ينافي استجماع القوى  
الذاتية والمادية ؟ كما أشار إلى ذلك حضرة الكاتب اللاعقلي !

يقول المولى سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ، وما النصر إلا من عند الله العزيز  
الحكيم ، فنفى جل شأنه النصر إلا عن طريقه .

وحين يقول المولى في كتابه العزيز ، فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت لإذ رميت  
ولكن الله رمى ، .

وما جاء في هذه الآيات البينات : ثابت دينياً وتاريخياً . فهل لأحد من العقلاء ، أن  
يقول : إن ذلك يدخل في عموم اللامعقول ؟

وحين يقول جل شأنه ، ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ، فجعل سبحانه المخرج من  
الشدائد : مقابلاً للتقوى ! ومفهوم المخالفة يقتضى : أن من لم يتق الله : لا يحدد مخرجاً  
ما يقع فيه من الرزايا والشدائد !

وهذا من الأمور المعقولة عند سائر العقلاء ؛ ولكنها غير معقولة عند ذلك  
الكاتب الفذ !

وحين يقول المولى في كتابه الجيد ، سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب ، .  
والإلقاء في القلوب : لا يرى بالعين طبعاً ؛ ولكنه يرى بانتهزام قوى الشر ! فيصير  
أمراً معقولاً ؛ بل ملموساً محسوساً - في حدود ما علمناه ، وتعلمناه من الدين بالضرورة -  
ولكنه في نظر هذا الكاتب : غير معقول !

وحينما يأتي شتاء هذا العام (١٩٧٣ - ١٩٧٤) في أمريكا وغيرها ؛ فارساً قارصاً ؛  
ببرودة شديدة غير عادية . مع ملابسة قطع البترول العربي عن هذه البلاد .

أليس من حق المؤمن بربه ، الواثق بعدله ؛ أن يقول : إن ذلك منة من المولى على عباده  
المتقين ، ونعمة على الخارجين عن طاعته ، المعاوينين لأعدائه ١

وإذا فكر في ذلك المؤمن ؛ فهل يكون تفكيره عقلياً ، أو لا عقلياً ١٩

وحين يأتي بعض الفضلاء ؛ فيقول : إنه رأى الرسول عليه الصلاة والسلام مع  
المجاهدين ؛ فأى غرابة في هذا ؟ وأى انتقاص من قدر المجاهدين ١٩

وقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام ، من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان  
لا يتمثل بي .

إنسان يزعم أنه رأى الرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ فأى غرابة في هذا ؟  
وإذا كانت رؤية الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ مستحيلة ؛ فبم تفسر قوله صلى الله  
تعالى عليه وسلم ، من رآني في المنام ؛ فقد رآني حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل بي .

وقد رآه عليه الصلاة والسلام : البر ؛ فازداد برأ ؛ ورآه الفاجر ؛ فأقلع عن فجوره ١  
ولعلي لا أذيع سرّاً إذا أنا قلت : إنني - ولست من خيار القوم ، ولا أواسطهم -  
قد رأيت سيدي رسول الله في المنام ؛ وحلت بي بركاته وفاضت علي فيوضاته ١ وظهرت  
آثار ذلك واضحة في صرى وجهرى ، وجسمى ، ومالى ، وأهلى ؛ وقد أعطاني ربي كفايتي ؛  
بل وفوق الكفاية ١

فإذا قال واحد من فضلاء القوم : إنه رأى الرسول عليه الصلاة والسلام ، أو أنه صحبه  
إلى المعركة . فأى غرابة في حدوث ذلك ١

وإذا قال ذلك الفاضل : إنه رأى الرسول مناماً ؛ فما بالك بمن يروونه يقظة ، ويكلمونه  
شفاهاً ؟ « أفتمارونه على ما يرى ، .

هذا وقد حاجني بعضهم : بمن لا يرون مواقع أقدامهم ، ولا يضمون أكثر مما فهمه  
هذا الكاتب .

وكانت حاجتهم تنصب على أنه كيف يمكن للرسول عليه الصلاة والسلام أن ينصر غيره  
بعد موته ؛ وقد كان لا يستطيع نصر نفسه حال حياته ؟

وهو احتجاج : إن دل على شيء ؛ فإنه لا يدل إلا على قصر الفهم ، وقصور الإدراك ؛  
والبعد كل البعد عن حقيقة الإيمان ١

فالرسول صلوات الله تعالى وسلامه عليه ؛ في حال حياته : يقع عليه ما يقع على البشر : من نصر وهزيمة ، وعافية ومرض ، وتكريم وإيذاء : ليتأسى به من حلت به مصيبة ، أو نزلت به نازلة : ولقد كان لهم في رسول الله أسوة حسنة .

أما وقد لحق الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بالرفيق الأعلى : فقد انقلبت صفاته البشرية حال حياته ؛ وصار له من القدرات ما لا يحده حد ؛ ومنها : ما يتسع لنصر غيره ؛ فقد أمكنه أن يعين أحبائه بالنصر الذي أرادوه ؛ بأمر ربه سبحانه وتعالى ؛ وكيف ينكر هذا منكر ؛ وقد أصبحت قدرته عليه الصلاة والسلام : تتناول شفاعته في عصاة أمته ؛ فينجيهم من النار ؛

هذا وقد منع حال حياته من الاستغفار لأقرب أقربائه ، وأحب أحبائه ؛ كما نهى إبراهيم من قبل عن الاستغفار لأبيه ، فتعالى المتفضل على من شاء بما شاء ؛ فعليك ياسيدي يا رسول الله صلاة الله تعالى وسلامه : حياً بين الأنبياء ؛ في ملكوت السماء ؛ وحياً بيننا معشر الأحياء : تهدينا — بأمر ربك — النصر تلو النصر إن شاء الله ؛ ليؤمن بحقيقةتك ؛ من وقف عند صورتك ؛

ولست أدري لماذا سمي الكتاب جميع ذلك تفكيراً لا عقلياً ؟ في حين أن التفكير : لا يكون إلا بالعقل ، ولا يصلح التفكير بدونه .

والتفكير لا يكون إلا فيما وراء المنظور بالعين ، المحسوس بالحواس .

فإن البهائم مثلاً : تؤمن بالمنظور بالعين ، المحسوس باللمس . فإذا رأت طعاماً : علمت أنه طعام فالتهمت به بلا عقل ولا تفكير .

وإذا رأت عصاً في يد إنسان : خافته ، وجفلت منه ؛ لأنها علمت — بلا تفكير — أنه يريد إيذاها .

أما الإيمان بالغييب : وهو ما وراء المنظور ؛ لأنه لا يرى بالبصر ؛ بل يرى بالبصيرة : فهو شأن الإنسان وحده ؛ وهو ما نسميه نحن بالتفكير العقلي ، والذي أسماه الكتاب بالتفكير الالعقلي ؛

ولأنه لمن المسلم به : أن سائر الديانات تؤمن بالقيامات : المعقولة عندنا ، اللامعقولة عند الكتاب .

فن الذي يجرؤ أن يقول : إن الله سبحانه وتعالى لا يستطيع أن يمد عباده بما يشاء ؛  
جالباً النصر لهم متى أراد ؟

فإذا قال الله تعالى لعباده المحاربين ، يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ،  
هل هذا الإمداد : يدخل في عموم المعقول ، أو اللامعقول ؛ يا ذوى العقول ١٩

ولإن أقسم — غير حائث ولا آثم — أن كثيراً من أبنائنا الضباط البواسل :  
قد أقسم لي — أيماناً مغلظة — أنه قد رأى بنفسه ، وبعميق رأسه المقاتلين في المعركة  
من حوله : لا يعرف أكثرهم ، ولا ينتسبون إلى وحدته ؛ التي تحارب ، والتي يعرف  
أفرادها واحداً واحداً .

فأى غرابة في هذا عند ذوى العقول ؛ حين يسمعون خالقهم يقول ، يمددكم ربكم ، .  
وكيف تؤمن بها من المولى سبحانه ؛ حين يقولها ؛ ونكفر بها حين نراها بالعين ،  
ونسبها باليد ١٩

وقد جاء على لسان المقدم رئيس أركان حرب القوات المسلحة ؛ في حديث له نشرته  
جريدة الأخبار ما نصه :

ولكنها — أولاً وأخيراً — رعاية الله تعالى لنا ؛ التي مكنتنا من تحقيق المفاجأة  
بالصورة التي تمت بها . وأن بعض قنابل طائرات العدو : كانت تقع على بعد كيلو متر من  
هدفها المراد ! . انتهى .

يا الله ! كم أنت يامولاي رحيم بعبادك ، لطيف بهم : تحددوم بحفظك ، وتكلامهم  
بعنايتك ، وتبعد عنهم أذى أعدائهم : بقذف الرعب في قلوبهم ؛ فلا يرون أهدافهم ،  
ولا يهتدون إلى مقاصدهم !

أما ما أشار إليه ذلك الكاتب اللاعقلى : من انتصار أعداء الله و اليهود ، في معارك  
سابقة ؛ فهو أمر معلوم لمن عنده أدنى إلمام بالتاريخ :

فالمغول ، والتتار ، والهكسوس ، وأضرابهم : لقوا من الانتصارات ملاحده ،  
وأخيراً لاقوا من الهزائم ملاحده أيضاً ؛ وهي سنة الله تعالى في خلقه ، ولن تجد لسنة  
الله تبديلاً ، ولن تجد لسنة الله تحويلاً .

وقد يكون انتصار اليهود في عام ١٩٦٧ راجعاً إلى إعجابنا بكثرتنا ؛ كما أعجب

المسلمون بكثرتهم في احدى المواقع ، ويوم حنين إذ أعجبتمكم كثرتمكم فلم تغن عنكم شيئاً  
وضاقت عليكم الارض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ، .

وقولهم : ان تغلب اليوم عن قلة ا فكان جزاء هذا العجب : الهزيمة !

أما اليوم فقد نصرنا المولى سبحانه : لا بقوتنا وحدها ؛ بل بتقوانا وإنا بقتنا إليه !

والله تعالى يقول : إن تتقوا الله : يجعل لكم فرقانا ، أى نصرأ ميئنا !

## أنداكبر

ولماذا نذهب بعيداً : فقد جاءنا أن المجاهدين كانوا في هذه المعارك : لا يحطون  
خطوة إلا وقالوا ، الله أكبر ، فتفتح لهم أبواب النصر ، وتناهار أمامهم الحصون ، وتهاوى  
الطائرات ، وتفتت الدبابات ! بل ويمشون على الماء !

فهل كان تفكير جنودنا وقتذاك : تفكيراً عقلياً ، أو لا عقلياً ؟

وكان جنودنا — في كثير من الاحيان — حين يرون فتنة من اليهود يكبرون أمامهم ؛  
فيلقون بأسلحتهم ، ويرفعون أيديهم فوق رؤسهم ! وحينذاك ينبثق نور القرآن بقول  
الحكيم العليم ، سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب ، .

هذا وقد كان المسلمون — في العصر الاول — قلة لا يعتد بها : عدداً وعدة . ولكن  
تقواهم ، وطاعتهم لمولاهم : دفعنا بهم إلى ملاقاته فارس والروم ؛ وهما أمتان عظيمتان ؛  
موفورتا الرجال والسلاح ؛ فهزموهما — في عقر دارهم — شر هزيمة عرفها التاريخ :  
قديمه وحديثه !

وإذن يسبقين لنا ما قدمناه : أن تقوى الله سبحانه : جالبة للنصر الواقعي الحتمي !  
وأن التوكل — لا التواكل — مدعاة للرفعة والمجد والسؤدد !

وأن رؤية الرسول عليه الصلاة والسلام : ليست بعيدة ، ولا غريبة ؛ عند ذوى  
العقول والبصائر !

ومن عجب أن جريدة الأهرام ؛ وقد نشرت هذا المقال المليء بالجهل والإلحاد  
— وهو مقال أطول من ليالى الشتاء — قد بخلت — على سعتها — بنشر ما أرسله لها  
خيرة المسلمين والكتاب ؛ من رد على هذا المقال ؛ وكلهم مشهور الإسم ، موفور العلم !

بل نشرت بضعة أسطر ؛ لا تكفي ، ولا تشفي ؛ وجعلت من الكتاب خصماً وحكماً ؛  
فسمح بنشر ما أراد ، واستبعد ما لم يرد ؛ وسمحت له بالتعقيب على ما نشر ، فكان جملة  
وإلحاده : أول ما يقرأ ، وآخر ما يسمع ؛ ولكنه إذا أفلت من غضب الأرض ؛ فلن  
يقفل من بأس السماء ؛

ومن العجيب : أن يعود هذا الكتاب إلى إلحاده وجملة : فينشر في أهرام ١١/٢٨  
١٩٧٣ مقالا بعنوان « إلى متى نغترّب عن حاضرنا ؟ » وهو مقال : لا يقل عن سابقه  
جهلاً وزندقة ؛

فقد دعا فيه دعوة صريحة : إلى التنكر لماضينا ، والتمسك بحاضرنا .

ولم أريد أن أسأله ، وأسائل من يناصره : هل يجب التنكر لماضينا — ولو كان  
مشرفاً — وتمسك بحاضرنا — ولو كان مؤسفاً ؟

أنتنكر لماضينا ؛ ولو كان فيه محمد بن عبد الله ؟ وتمسك بحاضرنا ؛ ولو كان فيه  
فؤاد زكريا ؟

أنتنكر لماضينا وفيه أمثال خالد بن الوليد ، وطارق بن زياد ؟ وتمسك بحاضرنا ؛  
ولو كان فيه من الخونة والمارقين ما فيه ؟

ولم يفته في هذا المقال : أن يشيد بما كتبه في مقاله السابق ؛ ويؤكد ، ويصر عليه ؛  
وزاد عليه : إنكار بعث الروح ، أو عودتها ؛ وهذا الحديث الأخير : ليس هو  
أول من تكلم فيه ؛ بل سبقه إليه كثيرون من لا يدينون بدين سماوي ؛

لأن القرآن الكريم ؛ وهو كتاب يزعم المؤمنون أنه من عند الله ؛ والإنجيل ؛ وهو  
كتاب يزعم المسيحيون أيضاً أنه من عند الله ؛ والتوراة ؛ وقد زعم بنو إسرائيل أنها من  
عند الله ؛ كل هذه الكتب تتحدث بما ينافي ما يقوله علامة العصر الحاضر ، وإمام  
اللامعقول ؛ فادركونا يا ذوى العقول ؛

هذا وقد شفي غلة المسلمين ، وأعلى كلمة الدين : العلامة ، المسلم : الأستاذ عبد المنعم  
النمر : مدير البحوث الإسلامية بالأزهر . بكلمة قيمة نشرت في الأهرام بعدده الصادر  
في ١٩٧٣/١٢/٣ بعنوان « النصر والهزيمة في ميزان الإسلام » ، قضى فيها على أراجيف  
الملحدّين الزائفين ، ووضع الإسلام في موضعه الذي أقامه الله تعالى فيه ؛ فله الشكر منا ،  
والأجر من الله ؛



هذا وليعلم من لم يكن يعلم : أنه ليس فخراً لجنودنا أن ننسب لهم القوة والعزيمة والإقدام ؛ وننفي عنهم فضيلة التقوى والتوكل !

بما تقدم : يتضح لنا جلياً : أن الله تعالى معنا ؛ يحدونا بلطفه وعطفه ، ويعيننا — متى استوجبنا العون — ويمدنا : إذا استحققنا المدد !

فهل نحن مع الله ؟!

وإذا لم نكن معه : بالطاعة ، والانقياد ، والإجابة ؛ في وقتنا الحاضر ؛ ألا يقتضينا الواجب نحو أنفسنا ، ونحو أبنائنا ، ونحو وطننا : أن نجاهد أنفسنا ، ونحجبها من جديد : لنكون معه ؟!

والله سبحانه وتعالى يثبت دائماً وجوده بجوده ؛ وقدرته بأخذه ؛ وسلطانه بعفوه ؛ ولطفه بهدايته ؛ وبطشه بمغفرته !

« ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ۗ ١٩ ،

لقد آتانا الله سبحانه على ما وهبنا من نعمة رضاه ، ومنة معونته ؛ ونرجوه سبحانه أن يغفر لنا ما فرطنا في حقه ؛ وأن يرزقنا التقوى ، والإيمان الصحيح ؛ حتى نلقاه سالمين آمين ، راضين مرضيين ؛ ووهبنا النصر على الأعداء ؛ بشفاعته خاتم الأنبياء ؛ صلى الله تعالى عليه وسلم !

والحمد لله في البدء والختام ؛ وسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم !

## زَجْرُ الْمُؤَلَّفِ لِلْمَآرِحِ

ياسيدي : إن كنت تمدحني لإرضاء لي : فقد جانبك الصواب ، ووجب عليك المناب !  
وإن كنت تمدحني لإرضاء لله : لحسبك الله ؛ الذي يرضيك ، حتى يكفيك !  
أما أنت وبإلباس<sup>(١)</sup> ، يا أعز الأبناء وأوفاهم : فقد تجاوزت في مدحى حدأ أضربني ،  
وشغلتني بنفسى عما خلقت له !

عنى الله تعالى عنك يا بنى فيما رميتنى به من علم : أرجو أن أحوزه ! وفضل : أتمنى  
أن ألحقه !

فقد قتلتنى بما امتحنتنى به : من مدح لا أستحقه ، وأثقلت كاهلى بحميل ؛ إن شكرتك  
عليه : أسأت إلى نفسى ! وإن لم أشكرك : أسأت إلى خلقى !

شكر الله لك نيتك ، وأعطاك بغيتك ، وأرانى فيك ما أنت له أهل !

أما ما خالفتنى فيه : فإنى أشكرك عليه ؛ لصراحتك ! ولكفى لى أرد عليه  
— لا استخفافاً بك ، ولا غمطاً لحقك — بل أطلب منك أن تعيد النظر فيما قرأت .

وإنى ألتمس لك العذر كل العذر ؛ لأن ما تقدمته : قد رسخ رسوخ الدين ، فى صدور  
أكثر المؤمنين !

هذا ولا يمتنعى ذلك عن جزيل شكرك على حسن نيتك ، وصدق طوبيتك !

(١) الدكتور إلباس محمد العتي : الذى كتب مقدمة لهذه المباحث . تعرفت عليه عام ١٩٥٠  
— على ما أذكر — وكان نموذجاً للجد والنقوى . وقد سررتى انقياده لى ، واستجابته لسكل ما يراه حقاً ،  
بيد أنه قد ساءتني منه مغلالاته فى مدحى ، وإطراؤه لى إطراء لا أرضاه منه ، ولا أستسيغه لنفسى !

## زجر المؤلف لللقاء

يا سيدي : إن كنت تذهني : ابتغاء مرضات الله : فلك الله ؛ لصدق نيتك ، وحسن طوبتك !

وإن كنت تذهني : لهوى في نفسك ، وسمعة ترتجىها ، وشهرة تبتغيها : فتباً لك ، وسحقاً لفعلك !

وسنأتى يوم الدين ، يوم لا ينفع مال ولا بنون : فيأخذ الحكم العدل من حسناتك فيضمها إلى حسناتى ! أو يأخذ من سيئاتى فيصها على سيئاتك !

وإنى — علم الله — لم أبتغ فيما كتبت : سوى وجه الله تعالى ، وإقرار ما ارتضاه ؛ لمن خلقهم لعبادته ، واصطفاهم لخلافته !

وإن أردت البرهان : فلك البيان !

١ — عصمة الرسول : من ذا الذى يستطيع أن ينسب إلى الرسول الكريم ؛ سوى العصمة المطلقة ؛ بأجلى معانيها : قبل البعثة وبعدها !

وهى خصوصية له وحده : اختصه المولى سبحانه وتعالى بها ؛ فمن ذا يخالفنى فى هذا ؟

٢ — تعدد الزوجات : لم أقل فيه ؛ سوى ما قرره القرآن الكريم ، وأقره الرسول عليه الصلاة والسلام ، وسار عليه صحابته الأجلاء من بعده ، وتابعهم عليه التابعون الأوفياء ، وتابعوا التابعين ، إلى يوم الدين !

وهل يستطيع عاقل أن يقول : إن تعدد الخليلات : خير من تعدد الزوجات ؟  
فمن ذا يخالفنى فيما قلت ؟

٣ — زوجات الرسول : أمهات المؤمنين ، وسيدات نساء العالمين ! لم أقل فيهن : سوى ما قاله التاريخ الصادق الأمين !

فسكرن : ثيبات ، مكتهلات ؛ سوى عائشة .

ولم يكن ثمت هوى دافع ، أو رغبة جامحة ؛ لشهوة طامحة ! فمن ذا الذى يكفر بقول غير الذى قلت ؟

٤ - أم المؤمنين خديجة : وما أدراك ما خديجة ! لم أوفها حقها ؛ الذي أوفاه المولى سبحانه وتعالى لها ؛ فهي سيدة نساء العالمين ؛ ولا فخر ! فمن يعارضني فيما قلت ؟

٥ - الطلاق : يقول المولى جل وعلا ، الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، وأعطى سبحانه حق الطلاق لمساكته ( وهو الزوج ) فقال عز من قائل ، أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح ، فأى قوة تنقل هذه العقدة من مالكها إلى القاضى ؟

٦ - تحديد النسل : من ذا يقول : إن القلة : خير من الكثرة ! وإن الذلة خير من العزة ! وينكر ما جاء في القرآن : ، واذكروا إن كنتم قليلا فكثروا ، ، فاعتبروا يا أولى الأبصار ، .

٧ - التبرج والسفور : أرونى رجلا واحداً - يتصف بالرجولة - يرضى بأن تكون زوجته ، أو بناته : نهياً للأبصار ، وموطناً لمتعة الغير !

ويخالف بذلك قانون الله ؛ وبالتالي قوانين الشرف والفضيلة !

٨ - التعطيل : نعماً لمن ينكر وجود الإله ! وسحقاً لمن يعيش فى هذه الحياة : أعمى ؛ بغير هادٍ يهديه ، وراع يكلؤه ويرعاه !  
ونفسه هو تشهد بأن لها موجد !

وفى كل شيء له آية - تدل على أنه الواحد !

٩ - أين الله ؟ سؤال ساذج ؛ فالله موجود فى كل الوجود ! وآية وجوده : وجوده !  
ودليل كرمه : عقوبته ! ودليل بطشه : عفوهُ !

وهو جل شأنه : لا يشابه مخلوقاته ؛ لذا فإنه تعالى لا يتعرف عليه بالحس ، أو باللمس ؛ بل بنور القلب ، وصفاء العقيدة !

أنار المولى قلوبكم ؛ لتعرفوا أين هو .

١٠ - الله معنا ؛ فهل نحن مع الله ؟ الله معنا ؛ بلطفه ، ونصره وتوفيقه ! أما نحن : فلسنا معه ؛ لانصرافنا عن تدبر آياته ، وبعثنا عن مرضاته !

ينصرتنا ؛ فننكر وجوده ! ويرزقنا ؛ فننكر غناه ! ويقرب منا بموته ؛ فنزداد بعداً عنه بكفرنا وطغياننا !

١١ - الإسراء والمعراج : الإسراء : حق لا مرية فيه ، والمعراج صدق ؛ ولكن  
لظن في حواشيه !

فالله تعالى هو الله : خالق الكل ! ومالك الكل ! ورازق الكل !  
لا قدر - مهما علا - يقارب علوه ! ولا مخلوق - مهما سما - يدنو من سموه !  
والنبي - عليه الصلاة والسلام - هو النبي : خير المخلوقات ! وسيد الكائنات !  
فلم أغال مع المغالين ، ولم أنزل بقدره مع النازلين !  
والأنبياء - عليهم السلام - هم الأنبياء : اصطفاهم مولاهم ؛ من صفوة خليقته ؛  
ووقاهم من كل منقصة ؛ خاصة منقصة الحقد والحسد !

فعاشوا - كما أراد بهم ربهم - كراماً خيرة ! وماتوا كراماً برة !  
وإن شئت : صدقتي ولك الأجر ، أو خالفتي وعليك الوزر !  
١٢ - أخطاء المفسرين والمحدثين :

لا يستطيع إنسان - بالغ ما بلغ من الجهل - أن يقول : إن كل ما جاء بالتفسير :  
صحيح ؛ بعد أن بينا خطأها بالقول الصريح !  
فهل بعد الذي ذكرناه : لعائب أن يعيب ما قلناه ؟  
هدانا الله تعالى جميعاً لصراطه المستقيم ، وآتانا تقوانا ، ورضى عنا وأرضانا !  
وسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم !

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على من لا نبي بعده  
وبعد فقد حضر

الاجتماع المذكور في تاريخ  
الخميس الموافق لـ

17  
من شهر ربيع الثاني سنة 1417  
هـ الموافق لـ

17 من شهر ربيع الثاني سنة 1417  
هـ الموافق لـ

17 من شهر ربيع الثاني سنة 1417  
هـ الموافق لـ

17 من شهر ربيع الثاني سنة 1417  
هـ الموافق لـ

17 من شهر ربيع الثاني سنة 1417  
هـ الموافق لـ

17 من شهر ربيع الثاني سنة 1417  
هـ الموافق لـ

17 من شهر ربيع الثاني سنة 1417  
هـ الموافق لـ

17 من شهر ربيع الثاني سنة 1417  
هـ الموافق لـ

17 من شهر ربيع الثاني سنة 1417  
هـ الموافق لـ

17 من شهر ربيع الثاني سنة 1417  
هـ الموافق لـ

## تصويب

مما لامراء فيه : أن كل إنسان لا يستطيع - مهما حاول -  
أن يبلغ حد الكمال ؛ إذ أن الكمال المطلق لله المتعال ١

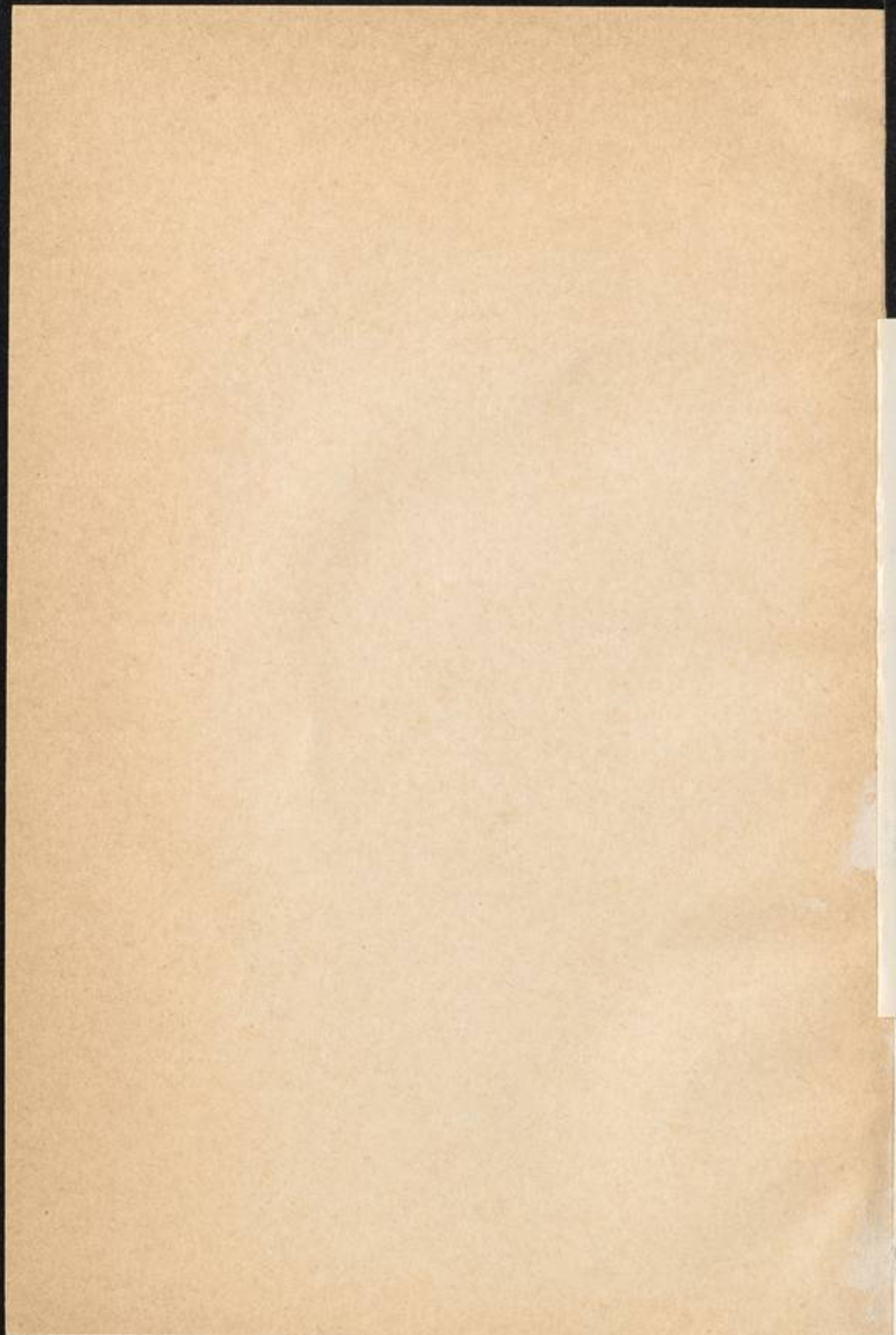
وقد سجلنا في كتابنا هذا : أقصى ما يبلغه الجهد البشرى من إتقان ؛ بيد أنه  
قد وقع فيه من الهنات ما يقع لسائر البشر ؛ ولكن لندرته لا يحتاج إلى تنبيه .

وقد وقع في صفحة ١٥١ سطر ٣ قوله تعالى ، لقد كان لكم في رسول الله  
أسوة حسنة ، فجاءت « لهم ، مكان ، لكم ، لذا لزم التصويب .

ونسأله سبحانه وتعالى الستر والمغفرة .









تأسیس عام ۱۹۴۴  
سوق الأوراق با ریض شریف، بند میرالمیرزا  
تلفن ۹۰۰۵۲۸ - محل ۱-۱۲۶۶

